

أوروبا

(١٨١٥ - ١٩١٩)

أستاذ الآداب

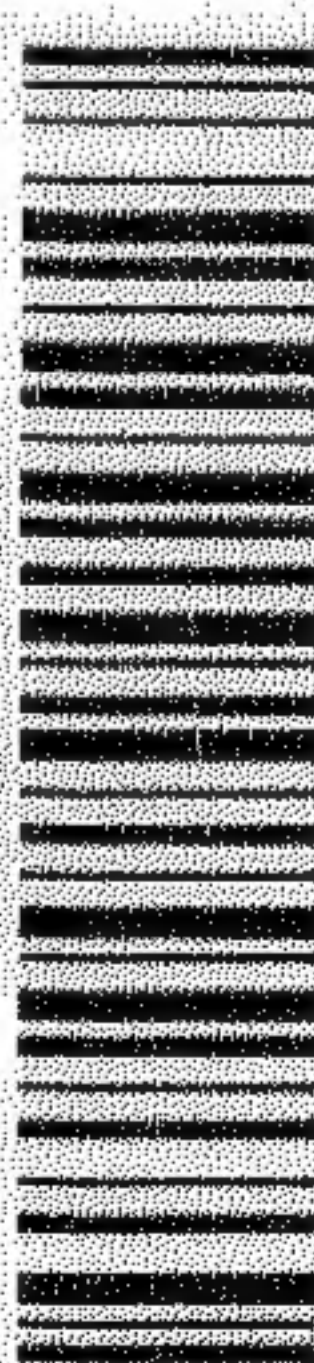
عبد العزيز

المكان التاسع المئتين
كلية الآداب جامعة الإسكندرية

١٩٩٢

دار المعرفة الجامعية
بجامعة الإسكندرية
٢٠٠٩

0006540



Bibliotheca Alexandrina

أوروبّا

أوروبا

(١٨١٥ - ١٩١٩)

الأستاذ الدكتور

محمد السيد زعيم

أستاذ التاريخ الحديث

بجامعة الأزهر - القاهرة

دار المعرفة الجامعية

١. ش. ب. ١١٦٣ - ١١٦٣

ت : ١١٦٣ - ١١٦٣

" أننى لا أعرض عليكم أجرا ولا سكنا ولا مؤنا وانما
أعرض عليكم الجوع والظما والسير الاجبارى والقتال
حتى الموت . فمن كان منكم يحب بلاده بقلبه لا بلسانه
وحده فليتبعننى "

فاريها لىدى

الفصل الاول

فكرة التنظيم الدولى قبل القرن التاسع عشر

الفصل الاول

فكرة التنظيم الدولى قبل القرن التاسع

عشر

تشمل العلاقات الدولية السياسة الدولية،
و التنظيم و الادارة الدوليتين ، والقانون الدولى .
والمقصود بامصطلح " العلاقات الدولية " تلك العلاقات
القائمة بين الدول المختلفة ، وتنقسم بدورها الى
قسمين : علاقات سلم وعلاقات حرب . وفى حالة الحرب
فالعلاقة علاقة عداء ، أما فى وقت السلم فقد تظهر العلاقات
السياسية . وفى العصور القديمة والوسطى لم يكن هناك
تمثيل سياسى ، وانما التمثيل السياسى الدائم هو وليد
العصور الحديثة ، ووليد نشوء القانون الدولى و تطوره
وكانت العلاقات بين الدول تتم فى العصور القديمة عن
طريق البعثات و السفارات ، وربما تبع هذه العلاقات
السياسية عقد اتفاقات تجارية ، أما نظام الفناصل والسفراء
فهو من نتائج العصر الحديث . وفى واقع الامر لم تنشأ
علاقات دولية منظمة الا فى الوقت الذى أصبح فيه للدولة
وزراء للخارجية بمعنى أنه أصبح للدولة سياسة خارجية
معينة .

ولقد عرف الفكر الغربى نهجين فى السياسة الخارجية

منذ الثورة الفرنسية : النهج الايديولوجى و النهج

التحليلي . ويفترض الاول ان السياسات التي تهبط في
الدول تجاه العالم الخارجى - هى تعبيرات عن المعتقدات
السياسية والاجتماعية والدينية السائدة في فتصف السياسات
الخارجية ديمقراطية واستبدادية وحررية واشتراكية
ومحبة للسلام أو عدوانية ، وهكذا . . . ويفترض النهج
الثانى ان للسياسة عدة مقومات منها تقاليد الدولة
التاريخية وموقعها الجغرافى والمصلحة الوطنية وأهداف
الامن وحاجاته ، فعلى المراقب الذى يريد ان يفهم السياسة
الخارجية ان يحيط بكل هذه المقومات وما هو اكثر منها .

وقد شهدت دراسة العلاقات الدولية رد فعل ضدد
المنهج الايديولوجى لانه يعبر السياسة الخارجية وليدة
السياسات الداخلية فيتجاهل عناصر الاستمرار فى السياسة
الوطنية ويتناسى ان المتطلبات الموضوعية للمصلحة
الوطنية تفرض قيودا على رجل الدولة الذى يتعدى لوضع
السياسة الخارجية . أيا كانت نواياه وفلسفته الاجتماعية
ونظرته الدينية فان هذا لايمكن ان يعميه عن مصالح أمته
الاستراتيجية المنبعثة من وضعها الجغرافى ودورها
الدولى ولايمكن ان تعرفه عن مراعاة هذا المصالح اذا أراد
المحافظة على استقلال بلاده . وهكذا كونت الدول الكبرى
سياستها من نتائج التفاعل بين وضعها الدولى المستمير

وبين تقاليدھا وأنظمتھا الدائمة وتابعت هذه السياسة لفترات طويلة من الزمن بالرغم مما تكون قد تعرضت لـه من تغييرات سياسية داخلية هامة . ويعنى هذا ان السياسة الخارجية تتطلب من صانعيها أن يراعوا ان المصالح التي يتعهدونها مصالح دائمة و تنظمها تسلسلية تجعل بعضها أقل أهمية من البعض الآخر . فهناك مصالح يجب الدفاع عنها بأي ثمن و مصالح تكون المحافظة عليها في ظروف معينة ومصالح لا يهتم الدفاع عنها او المحافظة عليها .

وتهدف السياسة الخارجية لكل دولة عادة الى تحقيق احد هدفين : أما الاقناع واما الاخضاع . فان كانت تبغى الاقناع فوسيلتها الى ذلك هي الدبلوماسية والدعاية ذلك ان الدبلوماسية هي وسيلة اقناع الحكام ، أما الدعاية فهي سبيل اقناع الرأي العام . وان شئت الاخضاع فطريقها الى ذلك هو القوة المسلحة ، والصورة القموية لاستخدام القوة هي الحرب . وبذلك تتمثل الاساليب الكبرى لممارسة العلاقات السياسية الدولية في : الدبلوماسية والدعاية والحرب . وتركز في هذا المجال على توضيح لفظة الدبلوماسية Diplomatie - Diplomacy التي تطلق اصطلاحا على علم علاقات الدول الخارجية

وشؤونها الأجنبية . هذا هو مدلول الدبلوماسية الواسع ،
 اما مدلولها الضيق فهو فن التفاوض فيما بين الدول
 L'art des negociations Art of Negotiations
 وبالتالي فن التعامل الدولي ، وأساليب الدبلوماسية
 وغاياتها متنوعة متطورة ، ولقد كان ابرام المعاهدات
 بين الدول ولا يزال في طبيعة هذه الاساليب . كما عرفت
 تاريخ الدبلوماسية الحديثة نظام التحالف (الاحلاف)
 Le Systeme d'alliance - System of Alliances في
 طبيعة الوسائل الدبلوماسية ، فلقد كان ينظر له طوال
 القرن الثامن عشر باعتبار كبير تدعمة مجرد فكرة الدفاع
 الطبيعي او قيام المصالح المشتركة او مجرد انتقال
 اسباب الخلاف بين المتعاقدين . فلقد كانت فرنسا - في
 عهد فرنسوا الاول (١٥١٥ - ١٥٤٧) ومن بعده لا تتردد
 كلما اتاحت لها الظروف - في الاستعانة بتركيا على
 النمسا واسبانيا .

ولقد أدى نظام التحالف والوفاق هذا بأوروبا الى
 اعظم النظم الدبلوماسية الحديثة شأنها ألا وهو نظام
 " التوازن الاوروبى " L'equilibre Europeen
 ذلك النظام الذى كان يهدف فى ظاهره الى حماية الدول
 الضعيفة من الدول القوية ، فلقد كان من مؤداه الاتميسر

دولة ما على درجة من القوة تظهرها على الدول الأخرى كلها أو بعضها مجتمعة فلا يغريها ذلك على التعمد والاستخفاف بسلام غيرها . وقد عمل مؤتمر فيينا على إعادة التوازن الأوربي إلى الصورة التي كان عليها قبل التوسع النابليوني إلى سلام دائم لأوروبا بعد حروب نابليون الطويلة . فقد كان العمل على تحقيق توازن القوى Balance of Power في صدارة موضوعات معظم المعاهدات الدولية السياسية وغاياتها في القرن الثامن عشر والتاسع عشر . ولما كانت المشكلة الحقة في العلاقات السياسية الدولية هي مشكلة القوة ، فإن العلاج التقليدي لمشكلة القوة جاء في صورة " توازن القوى " ، وهكذا فإن سياسة توازن القوى تهدف أساساً إلى حفظ السلام أو المساهمة في العمل على إقرار حسن التفاهم الدولي ليس من موانع أن تقوم الحروب أو أن تستخدم وسائل الإكراه لتحقيق التوازن في القوى أو هي - على حد تعبير المؤرخ أرنولد توينبي Arnold Toynbee - نظام فن الديناميكية السياسية يمارس حينما يربط مجتمع نفسه بعدد من الدول المستقلة .

وقد أخذ مبدأ توازن القوى يلعب دوراً لا يستهان به في السياسة الدولية منذ القرن السابع عشر و خاصة

منذ معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ . وقد أعلن للمرة الاولى
 فى معاهدة أوترخت Utrecht عام ١٧١٣ بين اسبانيا
 وانجلترا ، ثم راج يتبوا مكانه فى الوثائق والمحادثات
 الدبلوماسية فى فترة مؤتمر فينا . ففى معاهدة باريس
 الموقعة فى ٣٠ مايو عام ١٨١٤ جاء أن Une paix solide
 fonde sur une juste répartition des forces
 entre les puissances . وظل مبدأ توازن
 القوى بعد مؤتمر فينا يعتبر قاعدة السلوك السياسى
 الكبير التى ينبغى على الدول التزامها بكل دقة ، فمما
 كان لدولة ما أن تجرؤ على التنكر له ، ولاتكاد معاهدة
 من معاهدات الصلح التى أبرمت خلال القرن التسع عشر
 تخلو من الاشارة الى ذلك المبدأ أساسا على أنه من
 بديهيات السياسة الدولية . بل ان الناظر فى المعاهدات
 الكبرى التى أبرمت فى تلك الفترة يلمس أنها جميعا
 قد اشتركت فى العمل على تحقيق غاية واحدة هى ضمان
 التوازن . وفى سبيل تحقيق التوازن الاوروبى تمسكت اوربا
 بمبدأين يضيفان على التوازن الاستقرار الذى تسعى اليه
 وهما : مبدأ الشرعية La Principe de la legitimite
 و فكرة التضافر الاوروبى Le Concert Europeen

وقبل ان نتعرض بالبحث فى الوسائل التى انتهتحتها
 اوروبا لتطبيق مبدأ توازن القوى خلال القرن التاسع عشر
 تنبغى الإشارة الى تطور التفكير فى انشاء منظمة دولية
 سياسية ذات اتجاه عالمى تختص بالعمل على حفظ الامن
 والسلام فى العالم و تجنب الحروب التى تسبب اضرارا بالغة
 للغالب والمعلوب على حد سواء (١) . وربما كان الفيلسوف
 الصينى كونفوشيوس Confucius (٥٥١ الى ٤٧٩ ق.م)
 هو أول من فكر فى انشاء هيئة تشترك فى عضويتها الدول
 للتعاون من اجل الصالح الدولى العام ، اذ جاء فى كتاب
 Li - Ki الصينى المقدس ، انه كان يرى انشاء اتحاد
 كبير Grand Union لتحقيق التعاون الدولى ولاستغلال
 ثروات البشرية لمصلحة جميع الدول . ومنذ أوائل القرن
 السابع عشر وقبل ان تنتهى حروب الثلاثين عاما ، بدأ
 بعض المفكرين فى اوروبا ينادون بضرورة انشاء هيئة
 دولية تقوم على حفظ السلام ، وتشجيع التعاون بين مختلف
 الدول . ومن أوائل من راودتهم هذه الفكرة الفرنسى
 أمريك كروشييه Emeric Cruce de Paris
 فقد نشر فى عام ١٦١٣ مشروعا بعنوان "Le nouveau Cynee,
 où Discours d'Etat representant les occasions et
 moyens d'etablir une paix generale, et la liberte de
 commerce par tout le monde".

انظر: (1) S.J. Hemleben, Plans for World Peace
 Through Six Centuries, Chicago: Univ. of Chicago
 press, 1943.

وتنحصر الفكرة الأساسية في هذا المشروع في المناداة بإنشاء
 جمعية تضم ممثلين دائمين لكافة الدول، بما في ذلك
 الدول غير المسيحية مثل الدولة العثمانية واليابان،
 تجتمع في مدينة معينة، وتختص بالفعل فيما قد ينشأ بين
 الدول المختلفة من منازعات. ولما كان كروشييه يكره
 الحرب، فقد استقى في كتابه أسبابها وحل بواعثها
 وأرجعها إلى أربعة عناصر:

- (١) رغبة بعض الدول في اظهار شجاعتها لتخشى الدول بأسها
- (٢) محاولة الملوك والامراء ان يستردوا ما فقدوا من
 اقاليم أو مسدن.
- (٣) رغبة بعض الحكام أو الامراء في تمرين جيوشهم خوفا من
 ان يكون السلام سببا من أسباب فتور العزائم وتفشى
 الجبن بين أفرادها.
- (٤) كراهية الشعوب لبعضها بسبب التعصب الدينى.

كما نادى الدوق سلي de Sully وزير هنرى

الرابع ملك فرنسا، في مذكراته المنشورة عام ١٦٣٨، بمشروع

نسبه إلى سيده Le grand dessein du roi

Henri IV يهدف أساسا إلى إنشاء مجلس لاوروب

Un conseil général de l'Europe

يتمتع ببعض الاختصاصات القضائية و الادارية للقيام بفض
المنازعات الدولية بالطرق السلمية ، ومنع قيام الحروب
ورأى سلبى ان يتكون ذلك المجلس من العناصر التالية :

- (١) الدول ذات النظام الملكى الوراثى مثل : فرنسا
وانجلترا و الدانمرك والسويد ،
- (٢) الدول التى تخضع لنظام ملكى مثل : الولايات البابوية ،
والامبراطورية الرومانية المقدسة وبولندا بوهيميا
ونابولسى .
- (٣) الدول التى تخضع للنظام الجمهورى وهى : سويسرا
والاراضى المنخفضة والبندقية وسردينيا والولايات
الايطالية الشمالية .

وقد رأى المؤيدون لسلي أنه لو طال أجل الملك هنرى
لمدة سنتين لتحقيق مشروعه فعلا . ولكن دراسة المشروع
تبين صعوبة تنفيذ مثل هذا المشروع الخيالى فى مثل
الظروف التى كانت تمر بها اوروبا فى ذلك الوقت . ومهما
كان الامر فلقد أبرز هذا المشروع أمرين لهما شأن كبير
فى التنظيم الدولى وهما : اللامركزية والمساواة بين
أعضاء التنظيم .

و نجد كذلك فى بعض كتابات هوجو جروسيوس ، Hugo Grotius ،

المعروف بأبي القانون الدولي، دعوة هريجة السي
عقد مؤتمرات دولية من الدول المسيحية لفض ماقد ينشأ
بينها من منازعات وخلافات، وفقا لمبادئ العدل والانصاف
وكتب جروسيوس يقول: (١)

" It would be advantageous indeed in a degree
necessary, to hold certain conferences of Christian
powers, where those who have no interest at stake
may settle the disputes of others, and where in fact,
steps may be taken to compel parties to accept peace
on fair terms."

وقد ساعد على انتشار نظريات جروسيوس التي أثبتتها
في كتابه De Jure Belli et Pacis عام ١٦٢٥م
وعلى قبولها في ذلك الحين أنه أخذ في بحثه مواضيع
القانون الدولي العام بنظريات كانت موضع احترام وقبول
المفكرين في ذلك العصر .

و بعد ما يقرب من ثلاث وعشرين عاما من ظهور أبحاث
جروسيوس، قضت معاهدة وستفاليا على فكرة وجود رئيس اعلى
للشؤون الدولية وأحلت محلها فكرة وجود عائلة دولية
أعضاؤها دول مستقلة متساوية لاتخضع لاي رئيس وانمسا

(1) L.Claude, Jr., Swords into Plowshares, The Problems
and progress of international organisation, N.Y.,
1950, P. 23.

تربطها بعضها ببعض المصالح المشتركة ووجوب اتبـسام
قانون يسرى عليها جميعها . ولذلك تعتبر معاهدة وستفاليا
عام ١٦٤٨ النقطة التي ابتداء منها القانون الدولي العام
الحديث . ويتلخص اهم ما جاء فى هذه المعاهدة من تيارات
فكرة حديثة فيما يلى :

(١) كانت معاهدة وستفاليا أول مؤتمر اوروبى انعقد
بمخض رضى الدول المشتركة فيه لتنظيم شؤونها ولحل
المنازعات والمشاكل الدولية التى كانت قائمة بينها
فهى التى خلقت الجماعة الدولية وجعلت منها هيئة
تشعر بوحدة المصلحة .

(٢) سوت معاهدة وستفاليا بين الدول جميعا . الجمهورية
منها والملكية ، الكاثوليكية والبروتستانتية
ولو ان الوقت لم يكن قد حان بعد ، لان يسوى بين
الدول المسيحية و غيرالمسيحية . ونزعت عن الدول
الاوروبية نير السيادة الدينية البابوية كذلك .
و بذلك قضت على فكرة وجود رئيس أعلى يسيطر على
الدول جميعا ، وهذا واضح من اشتراك الدول
البروتستانتية و الدول الكاثوليكية فى هذا
المؤتمر على قدم المساواة .

(٣) طبقت المعاهدة سياسة التوازن الاوروبى محافظة على السلم فى اوروبا ، ولكن لم يأت ذكر التوازن الدولى صراحة ضمن عبارات المعاهدة. كما جاء فى معاهدة اوترخت التى تلتها ، وانما ينتفع تطبيقها للنظرية مما قرره المؤتمر من استقلال ٣٥٥ دولة كانت تكون الامبراطورية الرومانية و من منع اتحاد المانيا مع النمسا . ولقد سيطرت فكرة التوازن الدولى - كما سبق ان اوضحت - على السياسة الدولية منذ ذلك الوقت ، وحتى قيام الثورة الفرنسية ، فهى اشادت حروب ذلك العصر وهى اول ما كان يناقش فيه عند انعقاد مؤتمرات الصلح .

(٤) استبدلت معاهدة وستقاليا نهائيا نظام السفارات المستديمة بنظام السفارات المؤقتة ، وكان هذا النظام الاخير هو المتبع الى ذلك الحين . وفى ايجاد السفارات المستديمة ما يحكم الروابط بين السدول بعضها مع بعض ، ويؤكد استمرار التشاور والتفاهم بينها فى المسائل الدولية .

ومن المشروعات الجديدة بالذكر فى مجال اقامة تنظيم

دولى مشروع المفكر الانجليزى وليم بين William Penn

وقد تعرض لشرحه فى مؤلف امدره عام ١٦٩٢ تحت عنوان

" An Essay Towards Present and Future Peace

"of Europe" ويشبه هذا المشروع الى حد بعيد ، مشروع كروشييه السابق الاشارة اليه ، الا ان بن يرى تمثيل الدول فى الجمعية او المجلس المقترح بعدد من الممثلين يتناسب ومقدار الدخل القومى او التجارة الخارجية لكل منها وقد تضمن كتابه الاراء التالية :

(١) أن يقوم بين الدول الاوروبية اتحاد مصدره الاخفاء والحب المتبادل بين كافة الشعوب . ويتم ذلك بمنح التنافس فى التسليح ، على ألا يكون هذا المنع ماسا بالشؤون الداخلية لاية دولة ، أو متعارضاً مع سيادتها او ضارا باقتصادياتها .

(٢) يقوم بمعاونة الاتحاد فى أداء هذه الرسالة برلمان مؤلف من الدول الاوروبية يتولى وضع القواعد العادلة التى يلزم الحكام بمراعاتها . ويتولى هذا البرلمان امر الفصل فى كل ما ينشأ من خلاف بين الدول ، وتصدر قراراته بأغلبية ثلاثة أرباع الاصوات .

(٣) يتألف هذا البرلمان من تسعين عضواً ، وتكون كل دولة ممثلة فيه بأعضاء حسب قوتها ، فيكون للإمبراطورية الالمانية اثنا عشر عضواً ، وفرنسا عشرة أعضاء ولاسبانيا عشرة ، ولانجلترا ستة ، ولكل من السويد وهولندا أربعة وهكذا .

(٤) لم يذكر في مشروعه شيئاً عن الوسائل التي يجب اتخاذها ضد كل دولة لاتنفذ قرارات برلمانه المقترح واكتفى بأن تكون " قوة الراى العام " هي العامل القوى فى تنفيذ قرارات البرلمان .

ومن أجدر المشروعات بالاهتمام كذلك مشروع القسيس

الفرنسى سان بيير Saint - Pierre المنشور عام ١٧١٣

تحت عنوان

Projet pour etablir la paix perpetuelle en Europe

ويرمى هذا المشروع الى منع الحروب ، ومحاولة حل المشاكل الدولية بالطرق السلمية عن طريق التوفيق او التحكيم وذلك بإنشاء منظمة اوروبية تسمى Senat de l'Europe تقوم على تحقيق هذه الاهداف . وتمكيننا لهذه المنظمة من أداء مهمتها ، اقترح المشروع تزويدها بقوة بوليس دولية تتكون من كتائب تمدها بها الدول الاعضاء لتعمل بعد وضعها تحت تصرف المنظمة وفقاً لاوامر هذه الاخيرة وحدها - وواضح مافى هذا المشروع من ثورية وطموح لايتفقان البتة و ظروف المجتمع الدولى المعاصر لنشره ولقد اثبت سان بيير بلباقة ان توارى القوى لايمكن ان يودى الى استتباب السلام ، لان الدول غير متساوية ، ولذلك يكون كل توازن عرضة للاختلال بسبب مطامع

بعض الملوك او الامراء ، او بسبب الانقلابات الداخلية .
وليس السلام في رايه وليد توازن القوى ، ولكنه على العكس
يتولد من عدم توازن القوى ، ويفسر هذه الفكرة تفسيراً
معناه ان تكون كفة الدول المحبة للسلام أرحح من كفة
الدول العدوانية ، وبهذا تتمكن الدول المحبة للسلام
من رد أى عدوان يقع عليها . ولا يتم ذلك الا باقامة
اتحاد بين الدول الاوروبية .

ولا يقل عن هذا المشروم في الاهمية ما اقترحه

الاقتصادي البريطاني الشهير جرمي بنتام Jeremy
Bentham في كتاباته العديدة المنشورة خلال الفترة
من ١٧٨٩ الى ١٨٢٨ من انشاء محكمة تحكيم ذات طابع سياسى
تتكون من ممثلين لكافة الدول تختص بالفصل في كافة
ما ينشأ بين أعضاء المجتمع الدولي من منازعات على ان
يضمن تنفيذ قراراتها تعهد الدول الاعضاء سلفاً بمقاطعة
أية دولة لاتستجيب لقرارات المحكمة في مواجهتها
بل وباستخدام القوة المسلحة ضدها اذا لم تجد المقاطعة
السياسية او الاقتصادية في حملها على الخضوع . ومن
أهم ماتعرض له بنتام قضية السلام التي درسها في كتابه
Principles of international law (١٧٩٣)
وجعل عنوان الباب الرابع في هذا الكتاب " مشروع لسلام

عالم دائم " A Plan for an universal and
 pexpetual peace واقتراح بنتمام لتحقيق هذا المشروع
 الخطوات التالية :

- (١) تخفيض تسليح كافة الدول .
- (٢) تحرير جميع المستعمرات وجلاء المستعمر عنها
- (٣) مكافحة المعاهدات السرية ، والديبلوماسية الخفية
 لانهما تعكران صفو السلام والحرية ، ولا تتفقان مع
 قضاياهما .
- (٤) تشجيع تبادل التجارة بين مختلف البلدان .
- (٥) انشاء محكمة عدل دولية تفعل في الخصومات ، ولكن
 ليس لها أن تفرض عقوبات .
- (٦) تكوين ما يسمى " ديت " أي هيئة دولية مكونة من
 نائبين عن كل دولة . وتكون المناقشات في تلك
 الهيئة علنية ليكون الراي العام العالمي على علم
 بقضاياه ، وليدافع عن السلام والامن .

وفي عام ١٧٩٥ نشر الفيلسوف ايمانويل كنت Emmanuel

Kant بحثا أسماه " Zum Ewigan Frieden "

أي السلام الدائم . وقد وضع فيه مبادئ لحكم العلاقات بين
 الدول ، وذكر ان مراعاة هذه المبادئ يترتب عليها
 ابعاد احتمال نشوب الحرب . وتتمثل هذه المبادئ في :

- (١) الغاء جميع المعاهدات او الاتفاقات الدولية التى تكون مشتملة على تحفظات او شروط يمح ان تكون نواة الحرب ، او تتضمن مشروع اقامة حرب مقبلة .
- (٢) لايجوز لاي دولة ان تمتلك اقليما من اقاليم دولة اخرى ولو كان هذا التملك عن طريق الهبة او التبادل او الشراء .
- (٣) وجوب تسريح الجيوش المنظمة لان من شأنها الحط من قدر الانسان وكرامته .
- (٤) تحريم القروض الاجنبية نظرا لما تثيره من مشاكل وباعتبارها عقبة كبيرة فى طريق السلام الدائم .
- (٥) تحريم التدخل فى شؤون الدول الاخرى .
- (٦) منع المحاربين من استعمال وسائل غير مشروعه قد يترتب على استعمالها فقدان الثقة بعد انتهاء الحرب وعند عقد معاهدة السلام .

ومن دراسة المشروعات السابقة يتضح انها باستثناء مشروع "Cruce" يقتصر نطاقها على الدول الاوروبية ، ومن ثم فليس لها الطابع العالمى الذى يميز المنظمات الدولية فى الوقت الحاضر . كما يتضح ان هذه المشروعات كانت فى مجموعها تغلب عليها المصلحة السياسية او الدينية او كتبت تحت تاثير احداث سياسية معينة عاصرها كاتبوها ولذلك

فانه من الصعب الاخذ بفكرة وجود اى صلة تاريخية بين هذه المشروعات وبين المنظمات الدولية السياسية التى نجحت الدول فى اقامتها منذ نهاية الحرب العالمية الاولى فلم تتعد هذه المشروعات الدائرة النظرية التجريدية ولم تحدث اى تأثير فى سير الاحداث او تصرفات الدول على نحو يمكن معه القول بانها كانت حلقة فى السلسلة الطويلة التى مهدت لقيام المنظمات الدولية السياسية ولم تقتصر المدرسة المثالية الخيالية فى عالم السياسة والعلاقات الدولية على المفكرين الاوروبيين ، بل ظهرت مشروعات مماثلة لها لدى فلاسفة المسلمين ومفكرينهم فنشر ابو نصر الفارابى (١) فى منتصف القرن العاشر كتابه " آراء اهل المدينة الفاضلة " دعا فيه الى ضرورة اقامة اتحاد بين دول العالم . وقد اشار فيه الى ما بين مختلف شعوب العالم من تضامن فقال : " ان الانســــــــــــــــان لا يمكن ان ينال الكمال الذى لاجله جعلت له الفطرة الطبيعية الا باجتماع جماعة كثيرة متعاونة الافراد يقوم كل واحد منهم للآخر ببعض ما يحتاج اليه فى قوامه . ثم قسم المجتمع الانسانى الى مجتمعات كاملة وغير كاملة ، وقسم

(١) ولد بمدينة فاراب احدى مدن البلاد التركية ، واستقر فى العراق ، ثم قدم الى حلب واتعمل بسيف الدولة الحمدانى . ولقد تأثر الفارابى بجمهورية افلاطون تأثيرا كبيرا ، ومات بدمشق عام ٩٥٠ م .

الكاملة الى ثلاثة أنواع وهى : العظمى ، الوسطى ، والصغرى وعرف العظمى بأنها " اجتماعات الجماعة فى المعمورة " ثم قال : " والاجتماع الذى به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل ، والامة التى تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هى الامة الفاضلة . كذلك المعمورة الفاضلة انما تكون اذا كانت الامم التى قام فيها يتعاونون على بلوغ السعادة " وفى أواخر القرن التاسع عشر دعا الكواكبي (١٨٤٩ - ١٩٠٢) فى كتابه " أم القرى " الى انشاء اتحاد بين الشعوب الاسلامية " وقد سماه الكواكبي " ام القرى " " لانه فرض ان هذه الآراء وضعت على بساط البحث فى مكة ، وتباحث فيها المؤتمرين الذين يمثلون اقطار الامم الاسلامية فى أرجاء العالم ، وتتم استعراضها فى اثنتى عشرة جلسة ، تناولت أحوال المسلمين واسباب فتورهم وانهيأ قواهم ، وجعل شعار المؤتمرين " لنعبد الا الله " وقد ناقش الكواكبي اتحاده المقترح برسم مبادئه العامة ، وفصل شروط العضوية فى الاتحاد والهيئات العاملة . واذا كانت افكار الكواكبي لم تخرج الى حيز التنفيذ فى وقته ، فقد نفذت فيما بعد فى شكل الجامعة العربية ، والمؤتمر الاسلامى ، والكتلة الافريقية الآسيوية .

وهكذا ظلت فكرة المجتمع الدولي فيما قبل القرن التاسع عشر مجرد آراء يدلى بها الكتاب والفلاسفة ولم تظهر المحاولة الاولى الجادة لاقامة تنظيم دولى الا بعد الحروب النابليونية ، فمنذ ذلك الوقت طرأ تغيير كبير على العلاقات الدولية . فقد بدأت الدول تشعر بضرورة التعاون فيما بينها وبذل الجهود المشتركة لتنظيم المرافق الدولية على النحو الذى يهيئ استغلالها على الوجه الاكمل ويكفل انتفاع جميع الدول بها . فقد ترتب على الثورة الصناعية تقريب المسافات بين اجزاء العالم المختلفة ، وازدياد الترابط الاقتصادي بين الدول بحيث اصبحت كل دولة تعتمد على غيرها فى الحصول على جزء كبير مما تحتاج اليه من السلع ، وان تعذر الى العالم الخارجى جزءا من فائض سلعتها وخدماتها و اصبحت من الصعب على أية دولة بل من المتعذر عليها ان تعيش فى عزلة عن باقى الدول . وهكذا بدأت فكرة المجتمع الدولي تفرض نفسها فلم يخرج التنظيم الدولي الى الوجود على يد أنبياء رأوا فيه الوارث الشرعى للدول ذات السيادة بقدر ما خرج على يد رجال سياسة بحثوا عن ترتيبات ووسائل جديدة تستطيع الوحدات ذات السيادة بواسطتها ان تتابع مصالحها وتدير شؤونها فى الاوضاع المتغيرة لعصر المواصلات والحركة الصناعية .

الفصل الثانى

الاتحاد الأوروبى فى القرن التاسع عشر

- معاهدة باريس الاولى (١٨١٤)
- مؤتمر فيينا (٨١٤ - ١٨١٥)
- معاهدة باريس الثانية (١٨١٥)
- التحالف الرباعى (١٨١٥)
- الحلف المقدس (١٨١٥)

الفصل الثانى

الاتحاد الاوروبى فى القرن التاسع عشر

(The Concert of Europe)

كان المؤتمر الذى عقدته الدول الاوروبية فى مدينة
 نينا عام ١٨١٤ هو نتيجة غير مباشرة للثورة الفرنسية
 التى قامت فى اواخر القرن الثامن عشر وللحروب المروعة
 التى أدت اليها تلك الثورة . فب وفاة لويس الرابع عشر
 فقدت فرنسا الكثير ، اذ تولى عرشها ملوك ضعاف ليسوا
 فى مقدرة لويس الرابع عشر السياسية او الحربية . وكما
 كانت الملكية الفرنسية قادرة على انتزاع النصر من
 أيدي الدول المعادية لها كلما أحبها الشعب وعلق
 بها . ولكن حينما أثقلت الملكية كاهل الشعب بالمضروفات
 والضرائب الباهظة فقدت محبة الشعب لها ، وكان عليها
 ان تسلك احد طريقين : اما ان تغير من سياستها ، او ان
 تذهب الى غير رجعة . ولم يكن فى استطاعة الملكية
 ان تغير من سياستها ، فلويس السادس عشر كان ضعيفا
 ولم يتحمل المسؤولية . حقيقة انه أظهر بعض النوايا
 الطيبة نحو اصلاح حال الشعب ، ولكن الطبقات صاحبة
 الامتيازات رفضت كل التنازلات . ولقد بدأت الثورة فعلا
 بتدمير الباستيل فى يوليو عام ١٧٨٩ ، وأخذ الشعب يراقب
 الملك ، وفسروا أعماله بأكثر مما تحتل ، وازدادت الرغبة
 فى مجيئة الى باريس ليكون تحت مراقبتهم . فقامت مظاهرة

الى فرساي فى ٥ اكتوبر عام ١٧٨٩ أجبرت الملك على العودة الى باريس حيث أصبح فى حقيقة الامر سجين الثورة . وحاول الملك فى عام ١٧٩١ الهروب مع عائلته من سجنه ولكن قبض عليه عند فارن و أعيد الى العاصمة وأصبح تحت حراسة مجلس طبقات الامة .

وقامت بعض المفاوضات نيابة عن الملك مع عدد معين من الدول الاوروبية (وهى النمسا واسبانيا وبعض الدول الأخرى) للتعاون العسكرى مع الجيش الملكى لاعادة الهدوء الى فرنسا . ورغم عدم اكتمال هذا المشروع فقد تكون فى عام ١٧٩٢ تحالف من الدول الأوروبية ، وأعلنت دول التحالف الأوروبية الحرب عليها فى عام ١٧٩٣ . ويرجع تكوين هذا التحالف ضد فرنسا الى العوامل الآتية :

(١) لم يقابل الانجليز يعين الارتياح الهجوم على الملكية الفرنسية وقتل الملك ، فوجدوا فى ذلك تناقضاً لمبادئ الثورة الفرنسية .

(٢) لم تعد الثورة الفرنسية مسألة داخلية هرفة تهتم فرنسا وحدها ، فالثورة قد خرجت من حدود فرنسا الى بلجيكا ، واستولى الجيش الفرنسى عليها و أعلن حرية الملاحة فى مصب نهر شلست Scheldt وكانت انجلترا حريصة على اغلاق مصب هذا النهر

حتى لاتنافس تجارته تجارة نهر التيمز ، و لذلك وجدت
انجلترا ضرورة التدخل فى الحرب .

(٣) لم تعد الثورة الفرنسية محلية مرفقة ، فعندما أحرز
رجال الثورة بعض النجاح فى مدهم لقوات الاعداء
(فالى) اعلنوا فى ١٩ نوفمبر عام ١٧٩٢ قيـراراً
بتأييد فرنسا لكل أمة تطالب بحريتها ، أى أن فرنسا
مستعدة للتدخل فى شؤون الدول الاخرى ، وهذا ما لاتقره
الدول الاوروبية .

لقد بدأت الحرب الفرنسية الكبرى عندما غزت قوات
النمسا وبروسيا فرنسا ، وتمكنت جيوش الثورة من صد
هذه القوات ، وتم الاستيلاء على ولاية الفلاندرز و كـل
ولايات الاراضى المنخفضة ماعدا Luxemburg
وقام الجنرال الثورى كوستين Custine ببعض
العمليات العسكرية الناجحة فى المانيا ، كما استولى
الفرنسيون ايضا على سافوى . وشجع نجاح كوستين فى المانيا
مجلس طبقات الامة على العمل من أجل الحصول على فتوحات
اكثر ، وفى النهاية انفرط عقد التحالف الاوروبى
الاول بسبب انقسام الاعداء على أنفسهم بخصوص تقسيم
بولندا مرة اخرى فى عام ١٧٩٣ ، فعقدت بروسيا المـلح
منفردة مع فرنسا متباشرة بتقسيم بولندا دون ان يكون لها

نهييب في الغنيمة (صلح بال في ٥ ابريل ١٧٩٥) و كذلك
اسبانيا التي خشيت من عبور القوات الفرنسية لاراضيها
(٢٢ يوليو ١٧٩٥) . وفي عام ١٧٩٧ عقدت فرنسا صلحا
مع النمسا يعرف باسم صلح كامبو فورميو . ولما كانت
فرنسا تعلم ان اوروبا لابد وان تقوم بحرب اخرى ضدها
بدأت تعمل على تقوية نفوذها في البلاد المفتوحة ، وعلى
انشاء جمهوريات موالية لها في البلاد المجاورة (فـ في
هولندا وسويسرا وبييد مونت ونابولي والولايات البابوية)
ورأت الدول الاوروبية ضرورة وضع حد لاطماع فرنسا ، فتكون
في عام ١٧٩٩ التحالف الاوروبي الثاني من انجلترا والنمسا
والروسيا وتركيا . وانتهى هذا التحالف بتوقيع معاهدة
اميان Amiens في ٢٥ مارس ١٨٠٢ ، ولكنها فـ في
الواقع لم تكن نهاية الحرب بين انجلترا وفرنسا ، فـ في
عام ١٨٠٥ استطاع بت Pitt وزير خارجية انجلترا
تكوين حلف اوروبي ثالث ضد فرنسا من روسيا والنمسا
والسويد ، وتمكن نابليون بونابرت من اقناع بروسيا
بالوقوف على الحياد في هذه الحرب نظير منحها مقاطعة
هانوفر . وكانت الاهداف المعلنة لهذا التحالف فـ في
اعادة فرنسا الى حدودها القديمة ، ودعوة مؤتمر لتسوية
المسائل الدولية المختلفة التي نشأت اثناء الحرب
واقامة نظام فيدرالى للمحافظة على السلام في اوروبا

وهذا الهدف الاخير يستوعب الانتباه بعفة خاصة ،فهو يبين لنا ان فكرة ايجاد اساس مستقر ما للمحافظة على النظام في اوروبا قد خطرت في الازمان حتى في تلك الفترة المبكرة اثناء الصراع مع نابليون . ولسوف نشاهد كيف ان تلك الفكرة هي التي نشأ عنها ما عرف بالحلف المقدس اثر سقوط نابليون .

ولقد استمرت الحرب حتى عام ١٨١٤ ،وفي النهاية دخلت الدول الاربع الكبرى : النمسا وانجلترا وبروسيا وروسيا ،في محالفة عظمى بموجب معاهدة شومون Chaumont في ٩ مارس ١٨١٤ . فقد تعهدت الدول الموقعة على تلك المعاهدة بتوحيد جهودها في محالفة مدتها عشرون عاما واتفق رأيها اولا على اسقاط نابليون ثم الحيلولة دون عودته هو وأسرته الى فرنسا ،واخيرا على ضمان التسوية الاقليمية التي تضعها الدول المتحالفة لمدة عشرين عاما وقد كان اثر المحالفة مباشرا ،فقد قرر الحلفاء ولم ينقض شهر مارس اعادة آل بوربون الى فرنسا ،واحتلوا باريس بالفعل في ٣١ مارس ١٨١٤ . وفي ابريل تنسأزل نابليون عن حقه وحق أسرته في العرش ،فجلس الحلفاء ليشكلوا خريطة اوروبا من جديد وفقا لاهوائهم . وفي ٣ مايو ١٨١٤ دخل لويس الثامن عشر باريس بينما أبعاد

نابليون الى جزيرة البا فى اليوم التالى ،وعندئذ
 بدأت المفاوضات بين لويس الثامن عشر والحلفاء لعقد
 معاهدة باريس الاولى . ولما كان الموقعون على معاهدة
 شومون قد اتفقوا على عقد اجتماعات دورية لتأكيد
 التفاهم وتوثيق العلاقات الودية فيما بينهم ،فان المعاهدة
 قد تضمنت ايضا اساس نظام المؤتمرات التى عقدتها
 الدول الكبرى وهى المهمة التى اضطلعت بالقيام بها
 وكان مؤتمر فينا نفسه أول وأهم هذه المؤتمرات التى
 عقدتها الدول لهذه الغاية ،وان لم يكن آخرها .

معاهدة باريس الاولى (٢٠ مايو ١٨١٤)

: The First Treaty of Paris

وقعت معاهدة الملع الاولى فى باريس فى ٣٠ مايو
 ١٨١٤ ،وقعها تاليران من الملك الفرنسى وممثلو النمسا
 وروسيا وبريطانيا وبروسيا . وأعلنت المادة الثانية
 ان حدود فرنسا لابد وأن تظل كما كانت عليه فى ١ يناير
 عام ١٧٩٢ مع بعض التغييرات المعينة ،وهكذا لم يتقرر
 عودة حدودها فى اوروبا الى ماكانت عليه عام ١٧٨٩ . كما
 تعهدت المعاهدة بالاعتراف بكل الترتيبات التى يتفق
 عليها الحلفاء بشأن الاقاليم التى تخلت عنها فرنسا
 و النظام الذى سوف ينجم عن هذه الترتيبات ليكفـ

التوازن الحقيقى و الدائم فى اوروبا . واما هذه الترتيبات
المنتظرة فكان قد تم تقرير المبادئ التى تقوم عليها
بحيث تتألف من الاراضى المنخفضة دولة واحدة تجمع بين
بلجيكا وهولندا ، وان تسترجع النمسا كلا من لمبارديا
والبنديقية وان تستقل المانيا ، ويتألف منها اتحاد
كونفدرالى ، و ان تحتفظ انجلترا ببعض الجزر التى
استولت عليها ، وكانت جزءا من المستعمرات الفرنسية
ثوبا جو وايل دى فرانس وسانت لويس وسيشيل .

ودلت شروط الملح الذى تم فى باريس اذا على ان
الذى حصل لم يكن رجوع الملكية الى فرنسا وحسب ، بل كان
الفرض المتوخى منها كذلك اضعاف فرنسا ذاتها . حقا
لقد احتفظت فرنسا بأفينيون Avignon
(فى الجنوب على نهر الرون) ، ومونتيليار Montebeliard
وملهوسن Milhausen (فى الشرق فى اقليم الراين
الاعلى) وشامبرى Chambéry وأننسى Annecy
(فى سافوى) و كانت فرنسا قد استولت على هذه الاقاليم
قبل ١٧٩٢ . وكذلك احتفظت بحقوقها القديمة فى الميــــن
فى نيوفوندلاند ، والجزيرة الانجليزية فى امريكا الشمالية
ولكنها فقدت عددا من مستعمراتها ، وحرمت من ان يكون
لها صوت ما فى توزيع الاسلاب من الامبراطورية النابليونية

وبعقد الصلح مع فرنسا فى معاهدة باريس الاولى
 انتهت الحروب التى بدأت فى اوروبا فى عهد الثورة
 الفرنسية ، ثم استمرت فى عهد الامبراطورية النابليونية
 واصبح من الضرورى عقد مؤتمر للتباحث فى شؤون اوروبنا
 العامة وتسوية المشكلات التى نجمت من هذه الحروب
 الطويلة . ووقع الاختيار على فيينا لتكون مقرا لهذا
 المؤتمر لانها مدينة اوروبية عظيمة ، وعاصمة الدولة
 من الدول الكبرى التى انتصرت فى الحرب ، ولان حكومتها
 حكومة الامبراطورية النمساوية - كانت تمثل كل ماينطوى
 عليه معنى المحافظة على التقاليد والقانون والنظام
 فى اوروبا وقتئذ . وهكذا قال المؤتمر لم ينعقد لابرار
 الصلح لان الحرب كانت منتهية فعلا وقانونا بين فرنسا
 وبين الدول المتخالفة ، وفى استطاعة فرنسا كذلك عند
 انعقاد المؤتمر ان تطلب الانضمام الى الاسرة الدولية .
 ولم يكن الغرض من عقد المؤتمر اعادة تنظيم شؤون اوروبا
 على قواعد جديدة ، باعتبار ان النظام الاوروبى قد انهيار
 فعلا من اساسه نتيجة لحروب الثورة و نابليون خلال العشرين
 سنة الماضية . ولكن الذى حدث ان السياسيين الذين
 اجتمعوا فى هذا المؤتمر اعتقدوا على العكس من ذلك
 ان النظام القديم بالمعورة التى عرفها القرن الثامن
 عشر ، أى احترام السلطات الحكومية وتمجيد التقاليد

و المحافظة على التوازن الدولي ، هو خير نظام و جـد
 ليضمن للشعوب حرياتهما ، وليحقق سيادة القانون . وكان
 الاصل في نشأة هذا المؤتمر انه جاء في معاهدة باريس
 الاولى ، في مادتها الثانية و الثلاثين ، ان تتعهد الدولة
 المشتركة و قتشد في الحرب من كلا الطرفين بارسال
 مندوبيها في خلال شهرين الى فيينا للاجتماع في مؤتمر
 عام لوضع التسوية التي تضمنتها نصوص هذه المعاهدة (١)
 على انه لما كان يحق لفرنسا بحكم هذه المادة ، ولانها
 كانت في حالة سلم مع الدول بفضل ابرام معاهدة السلام
 هذه ، وان تشترك في وضع التسوية المزمعة ، فقد اراد
 الحلفاء ان يحرموها هذا الحق ، فأضافوا مادة سرية ،
 اضرت فرنسا الى الموافقة عليها ، نعت على ان يكون
 الحلفاء فيما بينهم هم وحدهم فقط الحق في وضع المبادئ
 والقواعد التي تجرى عليها تسوية الملح النهائية .

(1) Article XXXII ran as follows: "All the Powers engaged on either side in the present war shall, within the space of two months, send plenipotentiaries to Vienna for the purpose of regulating, in General Congress, the arrangements which are to complete the provisions of the present treaty".

مؤتمر فيينا (١٣ سبتمبر ١٨١٤ - ٩ يونيو ١٨١٥)

تكون المؤتمر من الدول التي وقعت على معاهدة باريس الاولى ، وكانت سبعة هي : بريطانيا ، روسيا ، النمسا ، بروسيا ، السويد ، اسبانيا ، والبرتغال . وعندما تبين ان العدد كبير انحصر النشاط بموجب اتفاق بين الدول الكبرى بين دول اربع فقط هي : بريطانيا ، روسيا ، النمسا وبروسيا ، تألف منها ما يعرف باسم " لجنة الاربعية " ولقد نجح تاليران عند اجتماع المؤتمر بفعل مهارته السياسية ، في ان يجعل الدول توافق على انضمام فرنسا الى هذه اللجنة التي تحولت عندئذ الى " لجنة خماسية " وكانت لجنة الخمسة هذه هي المؤتمر فعلا ، فاستأثرت وحدها ببحث المشكلات والمسائل الهامة ، وباتخاذ القرارات الحاسمة بشأنها . وعندما انتهى مؤتمر فيينا من أعماله انضمت ثلاث دول اخرى هي السويد ، واسبانيا ، والبرتغال الى الدول الخمس الاولى في التوقيع على وثيقة او قرار المؤتمر النهائي (Final act) في ٩ يونيو ١٨١٥ . واما ممثلو سائر الدول و الامارات الذين بلغ عددهم في فيينا المائة تقريبا ، فقد اشترك قليلون منهم في أعمال اللجان الاخرى الفنية . ولم يعقد المؤتمر جلسة واحدة رسمية تضم جميع اعضائه ، سواء عند البسده في العمل او عند الانتهاء منه .

بدأت أعمال المؤتمر باجتماع ممثلى الدول الاربع
 انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا فى ١٣ سبتمبر ١٨١٤
 وبعد عشرة ايام وصل تاليران ولم ترقه عزلة فرنسا
 وبعدها عن لجنة الاربعة ، فبذل جهدا كبيرا وتحققت رغبته
 عند انشاء اللجنة الخمسة التى ضمت فرنسا اليها . والى
 جانب هذه اللجنة الخماسية أنشأ المؤتمر عددا من اللجان
 الاخرى لدراسة الموضوعات التفصيلية واعداد البيانات
 اللازمة . فكانت هناك لجنة الثمانية وهى التى وقعت على
 القرار النهائى كما سبق فى ٩ يونيو ١٨١٥ . ولم تكن
 مهمة هذه اللجنة سوى تلقى القرارات والبحوث الخاصة
 بالمسائل الاوروبية الهامة ودرست هذه اللجنة موضوع
 تجارة الرقيق ومسألة الاتحاد السويسرى ، ثم كانت هناك
 " اللجنة الالمانية " لبحث شؤون المانيا ووضع دستور
 لها ، ثم " لجنة الاحماءات " وقد اختتمت بتعداد السكان
 فى الاراضى التى يراد استبدالها او اعطاؤها كتعويض
 كجزء من التسويات التى يتفق عليها المؤتمر . ولقد
 تناول المؤتمر مسائل تسعا تتعلق ببولندا وسكسونيا
 وبحدود الراين ، وببلجيكا و هولندا ، وبالدانمرك والسويد
 وبسويسرا وبايطاليا ، وبالاتحاد الالمانى ، وبالانهمسار
 الدولية ، وبتجارة الرقيق .

بلغت الخلافات في فيينا في بداية ١٨١٥ درجة خطيرة
حدثت بفرنسا والنمسا وانجلترا الى تكوين حلف دفاعي
لمقاومة مطالب روسيا وبروسيا في ٣ يناير ١٨١٥ وقصد
أسفرت هذه الخطوة المتطرفة عن نتائج طيبة : فقد
استسلم اسكندر في بعض النقاط وحدثت بروسيا هدوء . وكانت
جميع الامور قد سويت في الواقع عندما فوجئ العالم
بأنباء انطلاق نابليون من أسره في البنا ، وفرار لويس
الثامن عشر ، واستقبال فرنسا من جديد للامبراطور الذي
حكمت بسقوطه بقية أوروبا . ولذلك انزعج المندوبون
انزعاجا كبيرا وبادروا بعملون بكل سرعة لانجاز القرار
النهائي الذي وقع بالفعل قبل معركة ووترلو بتسعة أيام
فقط . وقد تضمن القرار النهائي التسوية التي وضعها
السياسيون للمسائل التسع التي سبقت الإشارة اليها .

قامت تسوية فيينا على أساسين هما : توازن القوى
Balance of Power و التعويضات Compensation
قاعدتا الدبلوماسية الأوروبية في القرن الثامن عشر .
فأعاد السياسيون فرنسا الى ماكانت عليه (Status quo
ante bellum) قبل حروبها الأخيرة كي يعيدوا
التوازن الدولي في أوروبا ، ثم انهم اتبعوا خطة تعويض
الدول التي أخذت منها اراضيها لاعطائها الى دولة اخرى

كذلك صار ارجاع الاسر القديمة الى الحكم فى الدول التى
نحى نابليون أصحابها عن عروشهم وضمها الى فرنسا
ولكن هذا المبدأ الشرعية " Legitimism " لم
يتبع أيضا حذافيره فلم يشأ المؤتمر عودة الاسر
الحاكمة التى كان يسوءه رجوعها او البتى أراد توزيع
املاكها فى شكل " تعويضات " تعطى للدول التى تولى
المؤتمر التعرف فى املاكها . وفى الواقع ان هذا كله
انما كان يجرى وفق المبادئ والتقاليد وما اخذ به
العرف الدبلوماسى فى القرن الثامن عشر ، فلم يفكر
انسان ان هناك ما يدعو لاستشارة الشعوب التى أخذ المؤتمر
على عاتقه ان يفعل هو وحده فى مصيرها . ولم يلبست
المؤتمر ان اضاف الى قاعدتى توازن القوى والتعويضات
اعتبار آخر ، وهو ضرورة الاطمئنان لعدم تكدير السلام من
ناحية فرنسا فى المستقبل اى اتخاذ التدابير والاجراءات
التي تمنع فرنسا من الاقدام على أية اعتداءات جديدة
فاحاط المؤتمر مدن فرنسا بحلقة من الدول التى أرادوا
أن تكون قوية بدرجة تكفى لمنع فرنسا من استئناف
الاعتداء فضموا بلجيكا الى هولندا ، و أعطوا الاراضى
الواقعة على ضفة الراين اليسرى الى المانيا بينما
دعموا استقلال سويسرا التى ضمنت الدول حيادها ، ثم
أعطوا سافوى الى بيدمونت لتقوية الحدود الشرقية
الجنوبية بالنسبة لفرنسا .

ولقد أدى العمل بمبدأ توازن القوى الى نتائج هامة
فقد كان اساس النظام الجديد طبقا لتسوية فيينا انشياء
توازن القوى بين مجموعتين من الدول العظمى : انجلترا
وفرنسا ، والدولتان الغربيتان في جانب ، روسيا وبروسيا
والنمسا الدول الثلاث الشرقية في جانب آخر ، ولم تكسب
واحدة من هذه الدول العظمى قوة بالدرجة التي تعطيها
السيطرة بمفردها على شؤون اوروبا او القدرة على
المغامرة بدخول الحرب واخراج النصر على الدول الاخرى
وكان يقع بين هاتين المجموعتين اقليم وسط اوروبا
ويشمل المانيا وايطاليا وسويسرا والاراضي المنخفضة
(بلجيكا وهولندا) . اما المانيا وايطاليا فكانت كل
منهما مجزأة الى دويلات وامارات صغيرة ، بينما ضمنست
الدول حياد سويسرا ثم الاراضي المنخفضة ، وتمكنت أسرة
هابسبرج النمسوية من السيطرة على الدويلات الصغيرة
في ايطاليا و المانيا بفضل ماكان لها من املك في ايطاليا
وماتمتعت به من نفوذ في المانيا بسبب ان الامبراطور
النمسي كان رئيس الاتحاد الكونفدرالي بها فلم تعد
أسرة هابسبرج في حاجة الى توسيع جديد من ناحية ، ففى
حين انها وجدت من ناحية أخرى ان من صالحها ان تظل
قائمة هذه الدويلات الصغيرة . فصارت سياسة النمسا
التمسك بالوضع القائم والمحافظة عليه واخماد كل الثورات

القومية و الدستورية فى المستقبل . وكان من أشر
 زيادة نفوذ النمسا فى كل من ايطاليا والمانيا ان
 تأخرت وحدة الاولى ، وتعطل اتحاد الثانية مدة خمسين
 عاما تقريبا ، أى حتى عام ١٨٧٠ - ١٨٧١ . كما ان حصول
 بروسيا على بعض الاقاليم الواقعة على نهر الراين منحها
 حق الدفاع عن المانيا عموما ، فعلا شأنها ثم انتقلت
 اليها تدريجيا الزعامة فى المانيا .

وعلى أية حال تتكون معاهدة فيينا الموقعة فى ٩
 يونيو ١٨١٥ من عدة أقسام رئيسية . اولى تلك الاقسام
 مايتعلق بمبدأ ارجاع الحقوق الشرعية لاصحابها ، أى بمعنى
 آخر تحقيق مبدأ التوازن الدولى الذى كان موجودا فى
 ذلك الوقت . وقد تطلب تحقيق هذا المبدأ ان عوضت بعض
 الدول عن بعض المناطق التى فقدتها بمناطق اخرى ليظل
 التوازن الدولى معمولا به . كانت هذه هى القاعدة
 المرعية اذا ما استثنينا روسيا التى خرجت بنسب
 الاسد نتيجة تشددتها ، ولما كانت تحتفظ به من جيش كبير
 العدد بلغ المليون جندى . ولذا اضطرت كل من انجلترا
 والنمسا مرغمتين على منح ولاية وارسو - بعد تنازل
 بروسيا عنها - الى روسيا رغم كبر مساحة هذه الولاية
 مما سيتيح للروسيا التفوق فى اوروبا ، وما يستتبع ذلك
 من اخلال بالتوازن الدولى فى نظر كل من انجلترا والنمسا

أما فيما يتعلق بمطالب بروسيا في ضم اقليسم
 سكسونيا بأكملها اليها في مقابل تنازلها لروسيا عن
 بولندا (ولاية وارسو) ، فقد عارضت النمسا و انجلترا
 في منحها اياها كاملة حتى لا يتضخم حجم بروسيا فيخلل
 ذلك بالتوازن الدولي . فاضطرت بروسيا في نهاية الامر
 الى قبول ضم نصف سكسونيا ومقاطعة الراين الالمانية
 وبذلك أصبحت مساحتها اكثر مما كانت عليه في عام ١٨٠٥
 وهو التاريخ الذي حدد لارجاع حدود كل دولة الى ما كانت
 عليه وقتئذ .

أما بخصوص الولايات الالمانية التي اجتاحتها
 قوات نابليون و أقامت فيها نوعا من الوحدة ، فقد تمت
 تسوية اوضاعها السياسية طبقا لمشية الدولتين
 الالمانيتين الكبيرتين النمسا وبروسيا اللتين كانتا
 تنافسان حول زعامة هذه الولايات . وقد نجحت النمسا
 في الجولة الاولى واستطاعت ان تشكل الولايات الالمانية
 تبعا لاهوائها ، وذلك للحد من سلطة بروسيا ، فأقامت
 النمسا ولاية بافاريا كدولة قوية تعتمد على ولائها في
 مقاومة النفوذ البروسي في الولايات الالمانية . كذلك
 تمكنت النمسا من اقامة اتحاد للولايات الالمانية التسعة
 والثلاثين تحت زعامتها بعفتها الدولة الالمانية الكبرى

ورغم ان تسوية المسألة الالمانية قد تمت بما لايتفق
 ورغبات الولايات الالمانية ، الا انها لم تكن مجحفة بحقوق
 الالمان مثلما حدث فى المسألة الايطالية .

واذا انتقلنا الى الولايات الايطالية التى كانت تشبه
 فى وضعها السياسى الولايات الالمانية الى حد بعيد ، نجد
 ان نظرة الدول الاوروبية اليها وعلى رأسها النمسا
 قد اختلفت عن نظرتهم للولايات الالمانية . فقد أهملت
 المطالب القومية للولايات الايطالية اهمالا شديدا فيه
 مساس بكرامة الايطاليين . وتم هذا بفضل سياسة مترنيخ
 الرجعية الاستبدادية وموازرة الدول الاوروبية لــــه .
 فايطاليا لم تكن فى نظر مترنيخ سوى تعبير جغرافى ومنطقة
 نفوذ لها . ولذا فقد شكل ايطاليا طبقا لاهوائه ووفق
 ميوله الاستبدادية الرجعية . فقد أعاد مملكة نابولى
 الى ما كانت عليه من قبل مع وضع أحد أفراد أسرة
 البوربون الفرنسية ملكا عليها . وفى نفس الوقت عقد
 معه معاهدة سرية تمنعه (ملك نابولى) من منع بــــلاده
 حكما دستوريا الا بعد موافقة النمسا ، ولم تكن الاخيرة
 ترضى بأى حال من الاحوال ان يجد النظام الدستورى طريقه
 الى ايطاليا حتى لاتنتقل عدواه الى الولايات الايطالية
 التابعة لحكمها . كذلك استطاعت النمسا استرجاع لمبارديا

واحتلال ولاية البندقية ،وبذلك تمكنت من استعادة نفوذها
 فى ايطاليا والضغط على الولايات الايطالية الاخرى لاتتبع
 سياسة تتفق مع رغباتها و مصالحها . كذلك استرد البابا
 ممتلكاته (الولايات البابوية) . كما ضمت بيد مونت
 اليها مدينة جنوه .

أما القسم الثانى من تسوية فينا فهو الخاص باحاطة
 فرنسا بدول قوية تمنعها من الاعتداء على غيرها . و لما
 كانت كل من هولندا وبلجيكا تقع على حدود فرنسا الشمالية
 ولاتستطيع بمفردها ان تقاوم التوسع الفرنسى ،فقد روى
 ادماج الدولتين فى بعضهما لتكون دولة واحدة قوية
 على حدود فرنسا ،رغم كره البلجيكين الشديد لجيرانهم
 الهولنديين . كذلك اعترفت الدول الاوروبية باستقلال
 سويسرا وضمان حدودها واستعادت كل من اسبانيا والبرتغال
 ماكان لهما من حدود قبل الغزو النابليونى . كما كوفئت
 السويد على انضمامها الى جانب الحلفاء فى الحرب ضد
 نابليون بمنحها النرويج التى كانت تابعة للدانمرك .

ومن التسويات الهامة التى تمت بمقتضى هذه المعاهدة
 وضع تنظيم دولى لاستغلال الانهار الدولية ،حتى لا يسيء
 تلويث المصالح بين بعض الدول حول الاستفادة من هذه

الانهيار الى قيام نزاع دولي قد يؤدي الى نشوب حرب
كذلك أعلنت الدول الموقعة على المعاهدة استنكارها
لتجارة الرقيق بصفتها تجارة غير مشروعة و لا تتفق مع
أبسط القواعد الانسانية . وكان لهذا الاستنكار مداه في
تحريم ممارسة هذه التجارة في المستعمرات الخاضعة
لحكم كل من اسبانيا وفرنسا والسويد وهولندا .

والحقت بالمعاهدة سبع عشرة وثيقة أخرى هي عبارة
من المعاهدات التي وقعت بين الدول المشتركة في المؤتمر
لوضع الترتيبات السابق الاشارة اليها واستكمالها (١).

ورغم عيوب تسوية فيينا ، فقد نجحت في تحقيق الغرض
المباشر الذي هدفت اليه الدول التي وقعت على معاهدة
باريس الاولى في ٣٠ مايو ١٨١٤ و كانت تريد وقتئذ اقامة
نظام حقيقي ودائم للتوازن الدولي في اوروبا . حقيقة
طرا على هذا النظام شيء من التعديل بانفعال بلجيكا
عن هولندا في عام ١٨٣١ ، أو حينما خلت ايطاليا خطوة
كبيرة نحو وحدتها في عامي ١٨٥٩ و ١٨٦٠ ، ولكن هذا
النظام لم يتعدهم و على العكس فقد استطاعت تلك التسوية
ان تحث اوروبا حربا اخرى لمدة اربعين عاما ، وحتى
هذه الحرب (حرب القرن ١٨٥٣ - ١٨٥٦) وقعت في ميادين

(1) Oakes and Mowat, The Great European Treaties of the Nineteenth Century, PP.95-96.

بعيدة . ولكن التوازن الدولى الذى أوجدته تسوية فينسا
 قد تهدد فعلا فى عام ١٨٧٠ عندما قامت الحرب السبعينية
 بين المانيا وفرنسا واستولت الاولى على اللزاس واللورين
 من فرنسا . وعلى أية حال خضعت التسويات التى اقرها
 مؤتمر فينا بمرور الوقت لضغط شعبى أو اوتوقراطى
 وهو امر لم يكن من المحتمل التنبؤ به او منعه فى
 حينه .

معاهدة باريس الثانية (٢٠ نوفمبر ١٨١٥):

بعد هزيمة نابليون فى ووترلو واجه ساسة اوروبسا
 امرين : الاول عقد الصلح من جديد مع فرنسا التى آذرت
 نابليون أثناء حكم المائة يوم ، والثانى تجديد محالفة
 الدول العظمى على اساس الاتحاد فيما بينها بعمل مشترك
 الغرض منه اتقاء اية أخطار قد تهدد السلام العام من
 جانب فرنسا فى المستقبل ، ثم المحافظة على التسوية
 النهائية التى تمت فى فينا لعدم تكدير السلم كذلك
 فى اوروبا . وبالنسبة للامر الاول ، عقد الحلفاء
 (انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا) معاهدة جديدة مع
 فرنسا هى معاهدة باريس الثانية The Second Treaty
 of Paris وقد فقدت فرنسا بمقتضاها كثيرا من

المزايا التي كانت قد نالتها في معاهدة باريس الاولى
 في ٣٠ مايو ١٨١٤ ، فأرجعت فرنسا الآن الى الحدود التي
 كانت لها عام ١٧٩٠ (أى بدلا من حدود ١٧٩٢ التي كانت قد
 نمت عليها معاهدة باريس الاولى) كما طلبت من فرنسا
 دفع تعويض قدره سبعمائة مليون من الفرنكات يؤخذ منها
 جزء لتقوية الحصون التابعة للدول ذات الحدود الملامقة
 للحدود الفرنسية ، ويوزع بقية المبلغ على حكومات
 الحلفاء والدول الاخرى التي اصابها اضرار من ناحية
 فرنسا . وقد قسم هذا المبلغ الضخم بعبارة يتمكن بها
 الفرنسيون من سداة في خلال خمس سنوات على اقساط متساوية
 وبشريطة ان يحتل مائة ألف مقاتل من جيوش الحلفاء
 حصون فرنسا الشمالية الشرقية الى ان يتم تسديد المبلغ
 بأكمله .

التحالف الرباعي (٢٠ نوفمبر ١٨١٥) :

أما بالنسبة للامر الثاني فقد انطوت فكرة الاتحاد
 الاوروبى على انشاء تحالف بين الدول التي اشتركت في
 النضال ضد فرنسا من جهة ، ثم السعى من اجل المحافظة
 على السلام عموما في أوروبا من جهة اخرى . و استطاع
 كاسلريه ، وزير خارجية انجلترا على وجه الخصوص ان يظفر
 بتحديد المبدأ الذى تضمنته معاهدة شومون السابقة ،

من حيث المبادرة بتقديم القوات العسكرية اذا وقـع
عدوان جديد من جانب فرنسا . وفى اليوم الذى وقعت فيه
معاهدة باريس الثانية مع فرنسا ، أبرمت الدول الاربـع
الكبرى فيما بينها تحالفا رباعيا Quadruple
Alliance كانت هى الاساس الذى قام عليه نظام
الاتحاد الاوروبى فى السنوات التالية .

وقد تعهدت الدول الاعضاء فى هذه المحالفة الرباعية
بتأييد معاهدة باريس الثانية المبرمة مع فرنسا فى
التاريخ نفسه ، ثم انها اخذت على عاتقها أن تبادر كل
منها بتقديم ستين ألف مقاتل لمساعدة أى عضو من اعضاء
المحالفة يقع عليه هجوم فى المستقبل . وأبرزت المادة
السادسة من المعاهدة فكرة الاتحاد الاوروبى كما صورته
معاهدة شومون وانما بصورة عملية ، فنصت على مايتلى:
" حتى يمكن دعم الروابط التى تجمع فى الوقت الحاضر
الملوك الاربعة فى اتحاد وشيق ،يوافق المتعاقدون على
تجديد عقد اجتماعاتهم فى فترات معينة سواء كانت هذه
الاجتماعات تحت اشرافهم شخصيا ، او حضرها وزراءهم
الذين يمثلونهم ، وذلك لتبادل الراى فيما يتعلق
بممالحهم المشتركة ، و لفحص الوسائل التى يقر الراى فى
كل فترة او دورة من هذه الدورات على اعتبارها ذات أعظم

أثر طيب في تأمين هدوء وسكينة الأمم ورخائها وفــــى
 تأييد واستقرار السلام في أوروبا " (١) وقد ترتب على
 هذا النص وتطبيقه قيام الاتحاد الأوروبي The Concert
 of Europe الذي أخذ يعالج المشاكل التي ظهرت في
 أوروبا في الفترة التالية .

-
- (1) Article VI of the Quadruple Alliance of Paris, November 20, 1815: "To facilitate and to secure the execution of the present treaty, and to consolidate the connections which at the present moment so closely unite the Four Sovereigns for the happiness of the world, the High Contracting Parties have agreed to renew their Meetings at fixed periods, either under the immediate auspices of the Sovereigns themselves, or by their respective Ministers , for the purpose of consulting upon their common interests , and for the consideration of the measures which at each of these periods shall be considered the most salutary for the repose and prosperity of Nations, and for the maintenance of the Peace of Europe"

ومما دفع روبرت ستيوارت كاسلريه ،وزير خارجية إنجلترا الى انشاء التحالف الرباعي خوفاً من فرنسا وتجدد الاعتداء من ناحيتها فاحتياط للامر بعقد أوامر المحالفة مع الدول الكبرى من جهة ،وتدبير احتلال فرنسا نفسها (وقد استمر هذا الاحتلال حتى عام ١٨١٨) من جهة أخرى ،وكان تحقيق هذه الحيلة اذن في ابرام المحالفة الرباعية . ولم يرض كاسلريه فيما بعد ان يخرج هذا التحالف الرباعي عن الغرض الاساسي الذي أنشئ من اجله ،فيتخذ منه السياسيون الرجعيون في اوروبا وعلى رأسهم مترنيخ أداة للتدخل في شؤون الدول الداخلية ،بدعوى ان اخماد كل ثورة او انقلاب قد يحدث في داخل هذه الدول ضروري من اجل ميانة السلام العام في اوروبا . وهكذا تكون سياسة كاسلريه عند انشاء التحالف الرباعي قد نجحت في تحقيق مايلى :

- (١) ضمان تنفيذ الشروط التي فرضها المنتصرون في الحرب على فرنسا بمقتضى معاهدات الصلح .
- (٢) ان انشاء نظام الاتحاد الاوروبي قد اتاح الفرصة لتسوية عدد من المشكلات التي ظهرت فيما بعد ،من غير حاجة للالتجاء الى الحرب كوسيلة ناجحة لفرضها

الحلف المقدس (٢٦ سبتمبر ١٨١٥) :

وفى الوقت الذى وضع فيه ساسة اوروبا القواعد العملية لتنفيذ شروط التسوية الاوروبية فى فينسيا، أخرج اسكندر الاول (١٧٧٧ - ١٨٢٥) القيصر روسيا الى الوجود مشروما آخر للسلام من ثمرات خياله الخصب يعرف باسم الحلف المقدس The Holy Alliance

وقام مشروم القيصر على فكرة ان يصبح الملوك اخوة و ان يسترشدوا فى معاملاتهم مع بعضهم بعضا بمبادئ المسيحية وتعاليمها ، و أراد القيصر الروسى أن يستند الاتحاد الاوروبى الذى يدعمو اليه على كل المبادئ و التعاليم التى جاءت بها المسيحية ، أى انه أراد ان يتخذ من الدين اساسا تقوم عليه العلاقات بين الدول و كان لمشروع القيصر بهذا الشوب الدينى الذى أضفى عليه آثار عديدة ومنوعة لقد كان القيصر رجلا تنطوى شخصيته على متناقضات كثيرة ، وعندما تقدم بهذا المشروع كانت تغمره موجة من الورع و التقى ، ويعيش تحت تأثير أرملة احد السياسيين الروس هى البارونة جوليانا فون كرودنر Krüdner ، كان القيصر قد قابلها فى مدينة بال بسويسرا فى خريف ١٨١٢ ، فى وقت كانت فيه هذه السيدة قد نبذت حياة الترف واللهو التى انغمست فيها سابقا ، وصارت تأخذ على عاتقها مهمة اعتقدت انها موصى بها اليها ، و هى ارشاد الملوك والامراء الى الطريق السوى .

وثألفت وثيقة الحلف المقدس من مقدمة وثلاث مواد .
 وجاء في المقدمة مامعناه ان امبراطوري روسيا والنمسا
 وملك بروسيا صاروا يعتقدون بأنه قد بات ضروريا
 ان يسترشدوا في علاقاتهم مع بعضهم بعضا بالمبادئ السامية
 التي نادى بها الدين المسيحى والحقائق العالية التي
 أتى بها . وأنهم لا يرغبون من اعلانهم هذه الوثيقة الا ان
 يطلعوا العالم أجمع على القرارات التي اتخذوها لهذا
 الغرض . فنعت المقدمة اذن على انه : " ليس لهذه الوثيقة
 من غرض سوى ان تعلن للعالم اجمع انه قد صبح عزم
 الموقعين عليها - سواء فيما يتعلق بإدارة شؤون بلاد
 كل منهم ، أو فيما يتعلق بشؤون علاقاتهم السياسية مع كل
 حكومة من الحكومات الاخرى - على ان يسترشدوا بمبادئ
 الديانة المقدسة (المسيحية) وحدها ، وهي مبادئ
 العدالة والمحبة المسيحية والسلام ، وتلك مبادئ لا ينبغي
 ان يكون الاخذ بها مقصورا على العلاقات الشخصية وحسب ،
 بل يجب ان تكون ذات أثر مباشر على ما يندر من آراء
 عن الملوك والامراء ، وان يسترشد بها هؤلاء في كل
 خطواتهم بوصف انها الوسيلة الوحيدة لدعم الانظمة
 الانسانية ومعالجة وجوه النقص بها " .

وفي المادة الاولى تعهد الملوك الثلاثة المتعاقدون

بالبقاء متحدين ، وتجمع بينهم أواصر الاخوة الحقيقية
والتى لاتنفصم عراها ، اهتداء بما جاء به الكتاب
المقدس الذى يأمر جميع الناس ان يعتبروا أنفسهم
أخوانا . ولما كانوا يعدون أنفسهم أبناء وطن واحد
فانهم يتبادلون فى كل الظروف والمناسبات (فى كل زمان
ومكان) المعاونة والمساعدة والنجدة ، وحيث انهم
يعتبرون انفسهم آباء لرعاياهم ولجنادهم فى أسرة واحدة ،
فهم سوف يسوسونهم بروح الاخوة نفسها التى تحفزهم الى
الذود عن الدين و السلام و العدالة ، والمحافظة على هؤلاء
جميعا . وفى المادة الثانية جاء مانعه : " وعلى ذلك
فان المبدأ الوحيد الذى يسير عليه العمل بين الحكومات
او بين رعاياها سوف يكون تأدية الخدمات من جانب كل
فريق للآخر ، واقامة الدليل بفضل الرغبة الطيبة الثابتة
على تبادل المحبة التى يجب ان تملأ قلوبهم ليعتبروا
انفسهم جميعا أعضاء أمة مسيحية واحدة . أما الامراء
الثلاثة المتحالفون فانهم يعتبرون انفسهم مجرد وكلاء
من قبل الاله ليحكموا فروعاً ثلاثة من أسرة واحدة : النمسا
وبروسيا وروسيا . معترفين بذلك بأن الامة المسيحية
التى يؤلفون هم ورعاياهم قسماً منها ليس لها غير سيد
واحد هو الاله يسوع المسيح " وفى المادة الثالثة
والاخيرة ، وجهت الدعوة الى بقية الدول التى تريد

الاعتراف بهذه المبادئ المقدسة حتى تنضم الى الحلف
المقدس .

و عند مقارنة ماجاء فى المادة الثانية من الحلف
المقدس ، بالمادة السادسة فى التحالف الرباعى يتضح
الفارق الكبير بين تفكير القيصر اسكندر الذى طغى
عليه نوع من التصوف الميهم وقتئذ ، وبين الطريقة العملية
الاجابية التى اهتمت اليها كاسلريه لمحاولة المحافظة
على التسوية الاوروبية . ولقد اشار الحلف المقدس دهشة
رجال الدين ورجال السياسة على السواء . فمترنيخ وصفها
بأنها " طبل أجوف " ، وفيض من عواطف التقى والورع التى
تجيش فى صدر القيصر اسكندر " . ثم ان كاسلريه صرّح
باعتبارها " خليطا " من الموفية والكلام الفارغ " . ورغم
ذلك فقد انضمت اكثر الدول الى الحلف المقدس مراعاة
لشعور القيصر اسكندر وكان من بين الدول التى
انضمت اليه فرنسا ، وهى التى تلمست دائما كل الطرق
للخروج من عزلتها السياسية ، والعودة الى المجتمع
الاوروبى . أما انجلترا فقد امتنعت عن التوقيع على هذه
الوثيقة بدعوى ان الدستور يمنع الملك او الومى على
العرش من فعل ذلك .

ومن آثار الحلف المقدس انه خلف آثارا عميقة فى اذهان سواد الناس مدة جيل بأكمله عندما ساد الاعتقاد بأن قيام الحكومات الاستبدادية ، ثم اخماد كل حركات او ثورات الشعوب التحررية ، انما كان من اسباب وجود الحلف ، كما كان من نتائج انشائه . ورغم ذلك فلان الحلف المقدس لم يكن فى ذاته مسؤولا عن انتشار الرجعية ولا من قيام نظام الحكم المبني على الاستبداد وعلى اخماد الحركات القومية و الدستورية فى اوربا ، بل كان المسؤول فى ذلك كله التحالف الرباعى وحده فقط . ويرجع ذلك لعدة اسباب من أهمها ان تعهد اعضاء الحلف المقدس بمساعدة بعضهم بعضا فى كل الظروف و المناسبات كان تعهدا يتعذر تنفيذه ، لأن الظروف و المناسبات لم تكن معينة ومحددة ، على عكس ما حدث فى معاهدة التحالف الرباعى التى اوضحت هذه الظروف والمناسبات ، ثم عينت قدر المساعدة المطلوبة ونوعها - و هى ستون ألف مقاتل يقدمها كل عضو عند وقوع الاعتداء على أحد أعضائه المحالفة . كما نعت على عقد المؤتمرات الدورية ، أى أن التحالف الرباعى ، قد وضع القاعدة التى من شأنها ان تجمع بين الدول فى صورة عملية ، وفى اتحاد اوروبى له أغراض معينة ومحددة ومعروفة .

وعلاوة على ذلك أدرك مترنيخ ماكان للتحالف الرباعي من قيمة عملية فاعتمد عليه فى تنفيذ سياسته التى كانت ترمى الى تأليف جبهة متحدة من الحكومات الاوروبية هدفها اخماد الحركات والثورات التى قد تهدد النظام القائم والسلم فى اوروبا . وبرغم ان مترنيخ كان يرى فى الحلف المقدس " طبلا آجوف " فقد ادرك ايضا امكان الاعتماد على هذا الحلف المقدس فى الجمع بين السدول الموقعة على وثيقتيه و التقريب فيما بينها للقيام بعمل مشترك - دائما على اساس التحالف الرباعي - الهدف منه تأييد النظام القائم ، ثم تحويل التحالف الرباعي الى أداة فعالة للتدخل فى شؤون الدول الداخلية اذا اقتضى تأييد النظام القائم هذا التدخل . ولكن اصطدمت أهداف مترنيخ مع السياسة البريطانية التى استنهدت كاسلريه وسار عليها جورج كاننج من بعده . وقد أدى هذا الاصطدام فى النهاية الى فشل الاتحاد الاوروبى عند معالجة المشكلات السياسية التى واجهها رجال السياسة بعد ذلك . ومن هذه المشاكل رغبة فرنسا فى الانضمام الى التحالف الاوروبى ومسألة التدخل Intervention بسبب الثورات والاضطرابات التى وقعت فى ايطاليا ، وثورة اليونان ضد السلطان العثمانى رغم ان الحلفاء لم يضمنوا ممتلكات وأراضى الامبراطورية العثمانية ، ثم أخيرا شؤون المستعمرات الاوروبية فى امريكا وهى التى لم يتناولوها الحلفاء . وكل هذه المشاكل سنتعرض لها فى الجزء التالى الخاص بدراسة " نظام المؤتمرات " .

الفصل الثالث

نظام المؤتمرات

- مؤتمر اكس - لاشابيل.
- مؤتمر تروبيسكاو .
- مؤتمر ليبسكاخ .
- مؤتمر فيرونسكا .

الفصل الثالث

نظام المؤتمرات (The Congress System)

جاء في المادة السادسة من معاهدة باريس الثانية انه من اجل تدعيم الروابط العميقة التي توجد بينهم، سيقوم الملوك الاربعة أو وزراءهم بجمع مؤتمرات، ففى فترات محددة يبحثون فيها الوسائل اللازمة لا لمجرد ضمان استمرار السلم ولكن تأكيد احترام " المصالح العامة الكبرى " وبشكل خاص " هدوء الشعوب ورفاهيتها " . ولذلك فان مسألة العلاقات مع فرنسا لن تصبح هى الموضوع الوحيد الذى يعالج فى هذه الاجتماعات ؛ فيمكن للحكومات الدول المنتصرة ان تشير كل المشكلات حتى تأخذ حيالها موقفا مشتركا . ولاشك ان فكرة المؤتمرات الدورية كان منهاجا دبلوماسيا جديدا ، يمكنه ان يسهل الوفاق بين الحكومات، فبدلا من الاكتفاء بمجرد تبادل " المذكرات " سيكون لرجال الدولة المسؤولين عن تسيير السياسة الخارجية مقابلات مباشرة ، حيث يمكنهم تبادل وجهات نظرهم بطريقة سهلة ، والبحث عن أسس لحلول وسط بين مصالحهم . و اذا كانت الحكومات فى هذه المؤتمرات ستتخذ لها هدفا يتمثل فى المحافظة على " المصالح المشتركة " ، فان هذا كان دليلا على معرفتهم بمعنى الواجب الجماعى ، او على الاقل بما يعتقدون انه من الواجب ان يقوموا به . ولكن ، هل يمكننا

ان نرى فى ذلك فكرة جديدة للعلاقات الدولية؟ و هل كان رجال الدولة يفكرون فى عام ١٨١٥ فى اقامة " اتحاد اوروبى " ؟ قطعا لا فليس هناك فى هذه النصوص ما يهدف الى تحديد سيادة الدول فى صالح منظمة دولية ، وما ينظم حماية متبادلة للسلامة الاقليمية ، أو ما يعنى التعهد بالابتعاد عن الحرب ولم يكن للحلول المقترحة أى هدف سوى تأكيد تفوق الدول العظمى المنتصرة فكانت فى اقصاها تمثل نوعا من " الادارة " Directoire ولا تمثل تمهيدا لمجهود تنظيم مستوحى من الفكرة الاتحادية .

مؤتمر اكس لاشابل (Aix-la-Chapelle) :

عقدت الدول الاوروبية أول اجتماعاتها فى سبتمبر ١٨١٨ فى اكس لاشابل من أعمال وستفاليا فى المانيا للفعل فى موضوع فرنسا . لقد طالبت فرنسا بجلاء قوات الحلفاء عن اراضيها ، دون انتظار لمدة الخمس سنوات المحددة فى معاهدة باريس الثانية ، وبقبول الحلفاء بدخولها فى " المجموعة الاوروبية " . ولقد استخدم دوق ريشليو Richelieu رئيس وزراء فرنسا - السياسة الداخلية حجة اساسية ، لكن يدفع الحلفاء الى الموافقة على الجلاء عن الاراضى الفرنسية قبل الميعاد . ولم تعترض

الدول على هذه الرغبة ، فكاسلريه كان قد أطمأن إلى فرنسا ، وهمار لايرى ما يحول دون عودتها إلى حظيرة الاتحاد الأوروبي . وبمجرد أن تم الاتفاق في المؤتمر على الطريقة التي تسدد بها فرنسا فورا بقية التعويضات المطلوبة منها ، وافقت إنجلترا وبروسيا والنمسا وروسيا على جلاء جيش الاحتلال في معاهدة اكس لاشابل في ٩ اكتوبر ١٨١٨ . أما بخصوص طلب فرنسا الانضمام إلى المحالفة الرباعية فقد اختلفت آراء الدول حول هذا الموضوع . فاقترح القيصر الروسي بقاء التحالف الرباعي كما هو موجهها ضد فرنسا ، على أن يسمح لفرنسا في الوقت نفسه بالانضمام إلى محالفة عامة أخرى ، تعلن فيها الدول عزمها على القضاء على الثورات ، ومساعدة بعضها بعضا ، وعلى الخصوص مساعدة الدول التي تتعرض لحكوماتها للاضطراب . ولكن كاسلريه رفض هذا الاقتراح وامتنع امتناعا تاما عن أي تدخل في شؤون الدول الداخلية .

كانت السياسة الروسية ترغب في ادخال فرنسا في المجتمع الأوروبي " لكي تستخدمها كقوة موازنة إما لانجلترا أو للنمسا ، وكانت إنجلترا تفضل الاحتفاظ بالاتجاه المتفق عليه في عام ١٨١٥ ، لا لمجرد استمرار اعتقادها في " الخطر الفرنسي " ولكن لخوفها من قيام تعاون بين

روسيا - وفرنسا . وكانت كل من النمسا وبروسيا تشارك في الشعور بهذا الخوف ، ولكنهم اعتقدوا مع ذلك في انهم سيزيدون من الاخطار برفضهم طلب فرنسا : وحين تفقـــــد الامل ، يمكن للحكومة الفرنسية ان تتوجه صوب سياســـــة " التحالف الخاص " مع روسيا . وعلى أية حال اقنـــــع مترنيخ الدول الاربع بعقد اتفاق سري فيما بينها فـــــى اول نوفمبر عام ١٨١٨ تتعهد بموجبه باستخدام جيوشها مشتركة ومتحدة ضد فرنسا اذا حدثت ثورة ناجحة يترتب عليها تهديد امن جاراتها وسلامتهم . ولقد وافقت انجلترا على هذا الاجراء ولكن في حالة واحدة فقط ، هي اعتـــــلاء أحد أفراد أسرة بوناپرت عرش فرنسا .

وفي ٤ نوفمبر ١٨١٨ وجهت الدول الاربع في مذكرة مشتركة الى فرنسا الدعوة الى الملك الفرنسي ليعمل من الآن فصاعدا بآرائه وجهوده للاتحاد مع الحلفاء الاربعة لتحقيق مايعود بالنفع على الانسانية وعلى فرنسا معا . وقد وافق المؤتمر على هذا الحل الوسط في ١٥ نوفمبر ١٨١٨ ، وذلك في وثيقتين ، احدهما تتضمن المبدأ الذي وافقت عليه الدول الاربع في الاتفاق السري بتاريخ اول نوفمبر ، فكانت هذه الوثيقة عبارة عن " برووتوكول سري " تجددت بمقتضاه المجالفة الرباعية لمراقبة فرنـــــسا

ولحمايتها كذلك من الاخطار الثورية التى تتهددها، وعلى
 ان يبلغ هذا البروتوكول الى دوق ريشيليو ويطلع عليه
 بصفة خاصة . وأما الوثيقة الثانية فقد قامت على المبدأ
 الذى ووفق عليه فى " المذكرة المشتركة " فى ٤ نوفمبر،
 فكانت تصريحاً Declaration دعيت فرنسا الى
 الانضمام اليه ، وجاء فيه ان الدول الخمس ، انجلترا
 وروسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا ، تنوى توثيق عرى الاتحاد
 فيما بينها على اساس المعاهدات والاتفاقات المعقودة
 للمحافظة على السلام ، وذلك كان الاساس الذى تمسكت انجلترا
 به دائماً ، والمبدأ " العملى " الذى قام عليه التحالف
 الرباعى ، والذى كان يجب فى نظر انجلترا ان يقوم عليه
 الاتحاد الاوروبى . ولما كانت انجلترا تعارض فكرة عقد
 مؤتمرات دورية باعتبار انها ترمز الى التدخل ، فقد جاء
 فى ختام التصريح تحديداً واضحاً وهو انه لاينبغى عقد
 " اجتماعات جزئية " لبحث شؤون الدول الاخرى ، من غير
 ان تطلب هذه ذلك ، وفى حضورها اذا لزم الامر . وكان معنى
 ذلك بالرغم من هذه الشروط المحددة ، أن تقرر فى هذا
 التصريح مبدأ التدخل . وهكذا تدعمت أركان المحالفة
 وصارت بعد انضمام فرنسا اليها محالفة خماسية
 Quintuple Alliance ضد الثورات فى اوروبا .

وفى الوقت الذى قل فيه الخوف من انفجار فى فرنسا، ازدادت المخاطر فى نقط أخرى من القارة . وفى المانيا نجحت الحركة التحررية فى مملكة بافاريا حيث منحه الملوك والامراء نظاما دستورية . وفى ايطاليا ظهرت الاخطار فى نابولى فى يوليو عام ١٨٢٠، وفى تورينو فى مارس عام ١٨٢١ . وكانت الحركة الثورية تهدف الى اجبار الملوك والامراء على قبول نظام دستورى، كما انهى اشتملت على برنامج وطنى : فمندوبى جمعيات " الكاربوناري " فى نابولى حاولوا ان يبعثوا فى بقية الدول الايطالية الاخرى حركة فى صالح اتحاد ايطاليا، وفكر سانتوسا روزا Santarosa رئيس الثوار فى بيد مونت فى تحرير لمبارديا والبندقية من الحكم النمساوى، ولكنها لم تكن الا مجرد آمانيات . وفى اسبانيا سقط نظام فرديناند السابع المطلق فى يناير ١٨٢٠، وفرضت حركة ثورية تقودها مجموعة من الضباط على الملك نظاما دستوريا . وحاول أنصار الملكية المطلقة ان يقوموا بحركة مضادة فى يوليو عام ١٨٢٢، وفشلوا أمام مدريد . ولم تكن أى من هذه الحركات الثورية تهدد الوضعية الاقليمية التى أنشأتها معاهدات عام ١٨١٥، بطريق مباشر، فلم يتعرض احد للحدود، ولكنها هددت النظام الاجتماعى والسياسى . وكان هذا يؤكد المخاوف التى عبر عنها اسكندر الاول

منذ اكتوبر عام ١٨١٥ . فهل كان من الضروري العودة الى الحلول التى كان القيصر قد اقترحها ، أى التدخل المشترك فى الشؤون الداخلية للدول ؟

لقد عرض الروس هذه المسألة من جديد فى أثناء مؤتمر اكس لا شابل واقترحت المذكرة التى قدمها القيصر فى ٨ اكتوبر عام ١٨١٨ ، بعد ان ذكرت مبادئ الحلف المقدس اقامة " تحالف عام " يفتح للجميع ، ويكون " اساسا لنظام ضمان مشترك لحالة الممتلكات الراهنة للدول المتعاقدة " . ولكن الحكومة الانجليزية اعترضت على ذلك ، وأعلن كاسلريه بطريقة تهكمية فى مذكرة فى ١٩ اكتوبر ان مبادئ معاهدة التحالف المقدس ، حتى اذا ما " اعتبرت كأساس لنظام اوروبى فى نطاق الضمير السياسى ، لا يمكن الرجوع اليها فى نطاق " الالتزامات الدبلوماسية العادية التى تربط دولة بدولة أخرى " . وكان معنى اعطاء تحالف بين الدول هدفا يتمثل فى " الاحتفاظ بنظام الوراثة ، والحكم ، والملكية فى كل الدول الاخرى ، و ضد كل عنف او هجوم " هو التبشير بوجود حكومة دولية يمكنها ان تفرض قانون عدالة على الجميع ، فكيف يمكن التفكير فى اقامة مثل هذه الحكومة ؟ وقال كاسلرييه عن الامتداد " العالمى " لهذا التحالف ، انه امكانية " لم يكن أبدا مظهر عملى ولا يمكن أن يكون لها ذلك " .

ورغم ان مترنيخ قدر المزايا التى مثلها المشروع الروسى بالنسبة للمحافظة على النظام الاجتماعى — او السياسى ، فانه لم يؤيد المشروع الروسى . فما هو سبب ذلك ؟ لم يكن ذلك لمجرد انه خضع لضغط السياسة الانجليزية ، بل كان قبل كل شىء بسبب خوفه من مشروع تحالف " عام " الم يكن فى وسع القيصر ان يدخل فى هذا التحالف الدول الاوروبية " المتوسطة " والتى سيكون حضورها مضايقا للنمسا ؟ الم يفكر فى جعله يضم اسبانيا ، ويشكل يمكنه من ان يمد " الضمانات " ، بالنسبة لمسألة المستعمرات الاسبانية ، فيما وراء النطاق الاوروبى ؟ الم يدع اسكندر انه يظهر للعالم ان السلم يتوقف عليه شخصيا ويحاول اثبات سيطرة روسيا على السياسة الدولية ؟ ولذلك فقد أبعد اقتراح القيصر ، بوضعه فى صيغة الماضى فى " البلاغ النهائى " لمؤتمر اكس لا شابل . و كان هذا حلا سهلا ، مادامت الاضطرابات الثورية لم تكن قد ظهرت بعد ولكن الاقتراح الروسى وجد من يعغى اليه ، وتقرررت سياسة التدخل بالفعل حينما ظهرت هذه الاخطار كحقائق ملحة . وفى ثلاث مناسبات ، وهى مؤتمر تروبا وفى ديسمبر عام ١٨٢٠ ، وفى مؤتمر ليباخ فى يناير عام ١٨٢١ ، وفى مؤتمر فيرونا فى صيف عام ١٨٢٢ ، سارت الدول رغم ترددتها ، ثم مقاومة انجلترا على الطريق الذى أشار اليه القيصر .

مؤتمر تروبيساو (Tropeau) :

كان اكثر الملوك خوفا من نتائج الثورة العسكرية
 فى اسبانيا الاسكندر قيصر روسيا ، الذى خشى من
 انتقال عدوى الثورة الى بلاده حيث تعيش فى ظروف مماثلة
 لاسبانيا . فذهب للمطالبة بعقد مؤتمر من سائر ملوك
 اوربا لاستنكار قيام دستور ١٨١٢ والمطالبة بالغائه
 ولو بقوة السلاح اذا لزم الامر . وقد عارض كاسلريه دعوة
 مؤتمر للانعقاد دون بيان الغرض من انعقاده بصورة واضحة
 جلية . وقد ظل مترنيخ معارضا لعقد المؤتمر حتى شهر
 يونيو ١٨٢٠ ، ولكنه سرعان ماتخلى عن موقفه عندما حدث
 فى شهر يوليو ١٨٢٠ ان اشتعلت الثورة العسكرية فى
 نابولى واضطر ملكها فرديناند الاول الى قبول دستور
 ١٨١٢ الاسبانى (اى استصدار دستور مثله) فكان لهذا
 الحادث الذى هدد بالزوال النظام الحكومى النمساوى فى
 ايطاليا ، اعظم الاثر فى تشكيل الخطة التى اعتمزم مترنيخ
 اتباعها .

عارض كاسلريه الدعوة الى عقد مؤتمر واضطر امام
 التوسع المفرط فى تفسير تعهدات فينا الى اعلان موقفه ،
 فأصدر فى ٥ مايو ١٨٢٠ وثيقة رسمية مطولة اتخذت اساسا
 للسياسة الخارجية البريطانية فى القرن التاسع عشر

وقد قال كاسلريه فى تلك الوثيقة : " لقد كانت
 (المحالفة بين الدول العظمى) اتحادا لاستعادة جانب
 كبير من القارة الاوروبية وتحريره من السيطرة العسكرية
 الفرنسية . ويتحقق هزيمة الفاتح نابليون بسطت المحالفة
 حمايتها على اوضاع التملك التى اقراها الملىح - بيد انه
 لم يقصد بها ان تكون اتحادا لحكم العالم او للاشراف
 على الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، وقد تحوطت على وجه
 التخصيص ضد انتهاك فرنسا " لوضع التملك " التى تسم
 اقرارها فنمت على الحيلولة دون عودة المغتصب (نابليون)
 أو أى فرد من أفراد أسرته الى العرش ، وجعلت الحكم
 الثورى الذى زلزل فرنسا ودمر اوروبا موضوع انشغال بالها
 دائما - ولكن الاحتياطات التى انتوت اتخاذها كانت
 تنصب بصفة خاصة ضد الحكم الثورى فى طبيعته العسكرية
 القائمة فعلا فى فرنسا اكثر مما تنصب على المبادئ
 الديمقراطية التى كانت فى ذلك الحين ، كما هى الآن ، منتشرة
 بصورة عامة جدا فى شتى أنحاء أوروبا

" وليس ثمة ما هو اكثر ضررا لدول القارة من
 اتخاذ شؤونهم مادة للمناقشة اليومية فى برلماننا ،
 وهو الامر الذى سيترتب حتما على اسراع بعض الدول
 باقحام نفسها فى شؤون الدول الاخرى ، اذا نحن وافقنا

على المضى معهم بخطى متساوية فى مثل هذا التدخل.....

" ... والواقع ان شعورنا ليس واحدا ، ولا يمكن ان يكون كذلك بالنسبة لجميع المسائل . فان وضعنا ونظمنا وطرائق تفكير شعبنا ومشاريه تجعلنا نختلف عن غيرنا اختلافا جوهريا "

" ... وما من بلد يتبع نظام حكم نيابى يستطيع ان يتصرف وفقا لهذا المبدأ (مبدأ تدخل دولة بالقوة فى الشؤون الداخلية لدولة اخرى) - وكلما عجلنا باعلان انكار ان مثل هذا المبدأ يكون - على أى نحو - اساس محالفتنا كان ذلك أفضل "

" ... ونحن - (انجلترا) - سنقف فى مكاننا عندما يتهدد نظام اوروبا (الاقليمى) خطر حقيقى، ولكن هذا البلد لا يمكن ان يتصرف ولن يتصرف وفق مبادئ الحيلة المجردة القائمة على التكهنات "

لقد أوضح كاسلريه انه يعتبر الثورة الاسبانية مسألة داخلية لاتشكل خطرا على البلاد الاخرى ، وانه لا يرى مبررا لتأييد انجلترا أية محاولة لقمع تلك الثورة بالقوة ووضح الديبلوماسى للقارة بأن انجلترا تدين بأسرها

المالكة الحالية ودستورها لثوة داخلية . ومن ثم فإنها
لاستطيع ان تنكر على البلاد الاخرى هذا الحق نفسه
فى تغيير شكل حكوماتها . فضلا عن ذلك فان الحكومة
الانجليزية لا تستطيع ان تتصرف دون تأييد برلمانها
وشعبها ، وهما لم يخطرا بأية التزامات سوى تلك التى
تم الاتفاق عليها فى فيينا على النحو الذى أوضحه وأكد
ان انجلترا سوف تفى بتلك الالتزامات ولكنها لا تتصرف
بالتزامات سواها .

وعلى أية حال كانت الثورة التى نشبت فى نابولى
مصدر خطر كبير على نظام مترنيخ برمته فى ايطاليا .
وانتهز مترنيخ فرصة وجود القيصر الروسى فى وارسو
واقترح عليه ان يعقد مع امبراطور النمسا اجتماعا
يكون مقصورا عليهما وحدهما لبحث المسائل التى تشغل
الاذهان وقتئذ ، ولكن القيصر اسكندر رفض ان يتم تفاهم
منفصل بين الامبراطوريتين وحدهما فقط ومن غير ان يشركا
معهما بقية الدول التى وقعت على تصريح اكس لا شابل لسى
١٥ نوفمبر ١٨١٨ . وقد لقى هذا رأى ايضا كل تأييد
من فرنسا . ولكن كاسلريه رفض المساهمة فى مشروع قسالى
ان من شأنه ، وبالمعنى التى يريدونها مترنيخ انشاء
محالفة عداوية ضد نابولى و ارغام انجلترا على الاشتراك

فى الحرب التى سوف تكون نتيجة هذه المحالفة العدائية
وعندئذ لم يجد مترنيخ مناصا من قبول الفكرة التى
سادت بها روسيا وأيدتها فرنسا لدعوة مؤتمر لانهقاد
على فرار مؤتمر اكس لاشابل .

حضر هذا المؤتمر روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا،
ولما كان كاسلريه مترددا فى حضور مثل هذا المؤتمر
فقد أرسل شقيقه لورد ستيورات Stewart لتمثيل
انجلترا فيه . ومنذ البداية كان مقضيا بالفشل على أمل
مترنيخ فى ان يجمع كلمة الدول على عمل مشترك لتأييد
سياسة النمسا فى ايطاليا . ولكن انجلترا سعت جاهدة
لتجنب مبدأ التدخل من بداية المؤتمرات الى نهايتها
عندها ، وتمسك كاسلريه بالفكرة الاساسية التى أوجدت
التحالف ، وقصر مهمته على تأدية الغرض الذى وجد
من أجله . وهكذا رفضت انجلترا مبدأ التدخل و أيدتها
فرنسا فى ذلك . واعتمد مترنيخ حينئذ على تأييد قيصر
روسيا ، واستنادا على هذا التأييد استطاع مترنيخ ان يغفل
معارضة انجلترا وفرنسا ، فتعددت اجتماعات ممثلى الدول
الثلاث : النمسا وروسيا وبروسيا وأسفرت هذه الاجتماعات
عن عقد بروتوكول تروبا و الذى وقعه اعضاء الحلف
المقدس فى ١٩ نوفمبر ١٨٢٠ . ومع ان انجلترا رفضت التوقيع

على هذا البروتوكول ، فقد انضمت اليه فرنسا خشية
العزلة السياسية .

و نص بروتوكول تروبا و على ان "الدول التي يحدث
تغيير في حكوماتها بسبب قيام ثورة بها ، ويترتب على
هذا التغيير تهديد للدول الاخرى ، تفقد بحكم الضرورة
عضويتها في التحالف الاوروبى ، وتظل خارج التحالف
ومستبعدة منه الى ان يجرى الوقت الذى يعطى الموقف
الداخلى فى هذه الدول الضمانات اللازمة لتأييد النظام
القانونى ، والاستقرار . أما اذا نجم عن هذه التغييرات
اخطار مباشرة تهدد الدول الاخرى ، فالدول المتحالفة
تتعهد فيما بينها بارجاع الدولة المذنبة الى حظيرة
التحالف (او الاتحاد الاوروبى) اما بالوسائل السلمية ،
واما بقوة السلاح اذا لزم الامر " ولقد نقد كاسلريه هذا
البروتوكول نقدا مرا ، لان انجلترا كما قال لايمكنها
الموافقة على نظام من شأنه ايجاد نوع من حكومة عامة
فى اوروبا لها من السلطان ما تستطيع به تحطيم السيادة
العليا فى داخل الدولة . وكعضو من اعضاء المحالفة
لاستطيع انجلترا كذلك تحمل مسؤولية القيام بأعمال
بوليسية من قبيل مايريده أصحاب هذا البروتوكول .

مؤتمر ليباخ (Laibach) :

تأجل مؤتمر تروباو من غير الوصول الى قرار بشأن
المسألة الايطالية على ان يجتمع المؤتمر في يناير عام
١٨٢١ في مدينة ليباخ ، على ان يدعى لحضوره فرديناند
الاول ملك نابولي لان الدول الثلاث رفضت المفاوضة مع
حكومة ثورية . و انعقد المؤتمر فيما بين ٨ يناير و ١٢
مارس ١٨٢١ و حضره امبراطور النمسا وقيصر روسيا
ومترنيخ وفرديناند الاول ملك نابولي . وقرر المؤتمر،
او بمعنى اصح اعضاء الخلف المقدس (النمسا وروسيا
وبروسيا) الغاء دستور نابولي ، ثم عهد ثلاثتهم الى
النمسا بمهمة تنفيذ هذا الالغاء بالقوة العسكرية . ولذلك
ارسلت النمسا جيشا الى نابولي اخمد الثورة الدستورية
واعاد الى فرديناند سلطاته الاستبدادية . وقبل ان يختتم
المؤتمر أعماله استنجد به ملك سردينيا ضد رعاياه
الناشرين ، فأرسلت النمسا الجيش الذي جمعته في لمبارديا
لهذه الغاية دائما لخماد الثورة في بيد مونت ، و أعيد
بفضل هذا الجيش النظام القديم الى سردينيا .

وفي مايو ١٨٢١ انفض المؤتمر بعد ان أعد منشورا
جاء فيه ان الهدف من التحالف الاوروبي انما هو تأييد
المعاهدات القائمة والمحافظة على السلام العام وتحقيق

سعادة الامم ، وان التغييرات النافعة والضرورية —
 الناحيتين التشريعية و الادارية ، والتي تحدث فى داخل
 الدولة يجب ان تأتى من جانب أولئك الذين أعطاهم
 " الله " مسؤولية الحكم فى هذه الدول . وهكذا فإن
 المؤتمر لم يقنع بتأييد مبدأ التدخل Intervention
 الذى أسفر عنه مؤتمر تروباو ، بل عمل على ارجاع النظام
 القديم بحذافيره ، على اساس الاعتراف من جديد بالحقوق
 الالهى المقدس للملوك فى الحكم . وقد أدت تلك القرارات
 الى اتساع شقة الخلاف بين دول الحلف المقدس (روسيا
 والنمسا وبروسيا) وبين انجلترا بالذات ، مما عجل فى
 نهاية الامر بفشل نظام الاتحاد الاوروبى . فلقد أعلنت
 الحكومة الانجليزية استنكارها لما حدث وعدم اعترافها
 به وتنمّلها من تبعاته وتمسكها بما سبق ان اعلنته من
 قبل .

وفى اثناء انعقاد المؤتمر فى ليباخ قام اليونانيون
 بالثورة ضد الحكم العثمانى و طالبوا باستقلالهم عن
 الدولة العثمانية ، وقد نظر مترنيخ الى هذه الثورة على
 أنها تهديد للحكم الملكى آيا كان نوعه بصرف النظر
 عما اذا كان الملك فى هذه الحالة السلطان العثمانى
 المسلم . فليس هناك فارق بين الملك المسلم والملوك
 المسيحي ، فالثورات تهدد كليهما على السواء . وكان من

رأيه ان يقوم بعمل من شأنه تأييد موقف السلطان العثماني
 ليحول بذلك دون تدخل روسيا ضد الدولة العثمانية لنصرة
 اليونانيين . أضف الى هذا ان الثوار في اسبانيا
 استطاعوا ان ينتزعوا من الملك فرديناند السابع دستورا
 أقيمت بفضلها الحكومة الدستورية في مدريد ، و هذا بينما
 كانت الثورة مشتعلة في مستعمرات اسبانيا في امريكا
 الجنوبية ، فأعلنت الارجنتين استقلالها منذ ٩ يوليو ١٨١٦
 وأنشئت ديكتاتورية مستقلة في براجواي منذ ١٨١٧، وأعلنت
 ديكتاتورية اخرى في فنزويلا على يد سيمون بوليفار منذ
 عام ١٨١٣ ، واستطاع بوليفار كذلك ان يحرر كولومبيا
 في اغسطس ١٨١٩ ، و بعد ذلك بعامين تحررت بيرو ، و في
 مايو ١٨٢٢ أعلنت المكسيك استقلالها . وفي هذا الشهر
 ايضا أعلن بدرو Pedro نفسه امبراطورا مستقلا في
 البرازيل . وازاء انتشار الثورة في العالمين الجديد
 والقديم والتفكير في التدخل العسكري في هذين العالمين
 من اجل اخلاء الثورة بهما ، انعقد مؤتمر فيرونا في
 منتصف اكتوبر عام ١٨٢٢ .

مؤتمر فيرونسا : Verona :

حضر المؤتمر امبراطور النمسا وقيصر الروسي

ومارك بروسيا وسردينيا ونابولي وجراندوق تسكانيا
 ودوق بارما ، ودوق سودينا ، ثم كثيرون من السياسيين
 وعلى رأسهم مترنيخ . و مثل فرنسا وزير خارجيتها ، كما
 مثل إنجلترا دوق ولنجتون ولورد ستيوارت شقيق كاسلريه
 ولم يحضر كاسلريه لانه مات منتحرا منذ ١٢ أغسطس ١٨٢٢ قبل
 انعقاد المؤتمر ، ولم يشأ وزير خارجية إنجلترا الجديد
 جورج كاننج الذهاب الى فيرونا لانه لا يرتاح لسياسة
 مترنيخ . و كان على المؤتمر ان يعالج مسألة اسبانيا
 وايطاليا ، كما كان منتظرا ان تشيراهتمام المؤتمر الثورة
 التي قامت في المورة . ولكن المسألة الاسبانية استغرقت
 معظم نشاط المؤتمر ، وتركت مسألة ايطاليا من غير الوصول
 الى حل حاسم بشأنها ، كما لم يجرؤ المؤتمر على بحث
 المسألة اليونانية لاختلاف الدول في أمرها .

وفيما يتعلق بالمسألة الاسبانية فقد اظهر المندوبون
 الفرنسيون عزم حكومتهم على التدخل ليس فقط للقضاء
 على الثورة في اسبانيا ، بل ولاخمادها في مستعمراتها
 الامريكية كذلك . وأيدت النمسا وروسيا وبروسيا المقترحات
 الفرنسية ، وفي ٣٠ اكتوبر قرر المؤتمر التدخل المسلح
 في شؤون اسبانيا ، وفي ١٩ نوفمبر ١٨٢٢ بعثت هذه الدول
 بانذار الى مجلس الكورتيز الاسباني و سحبت سفرا

من مدريد . وامتنعت انجلترا عن مجارة الدول في هذا العمل ، فأعلن ولنجتون ان الحكومة الانجليزية لاتوافق اطلاقا على أى تدخل فى شؤون الدول الداخلية ولاتؤيده ، وانفض مؤتمر فيرونا فى ١٤ ديسمبر من نفس السنة ، وامام هذا الاصرار فشل اعضاء المؤتمر فى ان يتدخلوا ككل لاختفاء الثورة الاسبانية . ولكن فرنسا تدخلت بمفردها وعلى مسؤوليتها الخاصة لقمع الثورة . وقد أغضت انجلترا مينيها عن هذا التدخل المنفرد ، ونجحت فرنسا فى القضاء على الثورة وفى اعادة ملك اسبانيا الى عرشه مرة أخرى . ولكن المسألة الاسبانية لم تقف عند هذا الحد ، بل مضى وزير خارجية فرنسا شاتوبريان Chateaubriand يريد اخفاء الثورة فى المستعمرات الاسبانية فى امريكا الجنوبية . ولكون هذه المشروعات لقيت معارضة من جانب كائنات الذى أراد ان يظل العالم الجديد يعيش فى حرية واستقلال وان يفتح ابوابه للتجارة الاوروبية ، ولانجلترا أكبر نصيب فى هذه التجارة ، وان يغلق ابوابه دون أى تدخل مسلح من جانب أوروبا .

ولقد كان للموقف الذى اتخذه كائنات فى المسألة الاسبانية ومستعمرات اسبانيا الامريكية اعظم الاثر فى انحلال نظام مترنيخ بالسورة التى أظهرته بها فى هذه

الآونة فكرة الاتحاد الاوروبى . حقيقة ان تمادى بعض الدول مثل روسيا والنمسا وبروسيا فى توسيع اختصاصات تلك المؤتمرات أدى الى فشلها . ولقد برر كاننج عدم اشتراكه فى المؤتمرات بأسباب ثلاثة :

(١) ان الشعب الانجليزى الذى بنى حياته الدستورية على اساس الثورة لا ينظر بعين الارتياح الى جلسوس المندوب الانجليزى الى جانب مندوبى الدول الاستبدادية لعقد الاتفاقات السرية . واذا كانت انجلترا ستتمسك برأيها و بوجهة نظرها فيما يعرض عليها من مشاكل ، فان بريطانيا لا يمثلها الا صوت واحد . فهى فى هذه الحالة لن تستطيع التغلب على اصوات الدول الاستبدادية العديدة .

(٢) ان نظام المؤتمرات على النحو الذى سار فيه ، قد فرض القوة كوسيلة مشروعة للقضاء على الثورات الداخلية و التى تعتبر من الشؤون الداخلية لكل دولة ولا يجوز التدخل فيه . وان مبدأ التدخل هذا لاتقره الحكومة الانجليزية ويأباه الشعب الانجليزى .

(٣) ان هذه المؤتمرات لاتمثل الا الدول الكبرى فحسب ومن الضرورى ان تشمل المؤتمرات الدول الكبرى و المغرى على حد سواء . فاهمال تمثيل الدول

المغرى فيه جعل مصالحها عرضة للضياع ولتسلط
الدول الكبرى عليها .

لقد صممت انجلترا على منع فرنسا ولو أدى ذلك
الى استخدام القوة اذا ما حاولت قوات فرنسا عبور الاطلنطى
والتدخل فى مسائل امريكا الجنوبية ، لأن مصالح انجلترا
التجارية ستكون اذا فى خطر كبير . ولذلك اقترح
كاننج دعوة الولايات المتحدة الى مؤتمر فيرونا وان
تشترك فى مناقشاته . وكان الرأى العام فى انجلترا
فى ذلك الوقت ميالا لمناصرة حرية الشعوب و مناهضة
النظام الاوروبى القائم على ضغط آمال الشعوب و الحدد
من حريتها . ثم ماكانت انجلترا تستطيع ان تنسى ان
مصلحتها بحرية قبل ان تكون قارية ، وان لها تجارة مهمة
مع امريكا الجنوبية . ثم هى دولة راسمالية تهتم
بالانتاج الصناعى الكبير ومحتاجة الى اسواق عالمية .
فهى اذا مستعدة لان تعترف باستقلال الدول الشائرة فى
امريكا الجنوبية مهما أساء ذلك الى عواطف اسبانيا
التي كانت حليفتها بالامس ضد نابليون . ومن ناحية أخرى
عارضت الولايات المتحدة الامريكية كل تدخل يأتى من
جانب اوروبا ، بالآخرى من جانب فرنسا فى شؤون امريكا

الجنوبية . وكان موقف الولايات المتحدة الامريكية على قدر كبير من الاهمية لأنه أسفر عن وضع مبدأ عام شامل يمنع العالم القديم (أي الدول الاوروبية) من التدخل في شؤون العالم الجديد بآجمعه ، وليس فيما هو متمثل بالمستعمرات الاسبانية وحدها فقط . فقد بعث الرئيس جيمس منرو (Monroe) في ٨ مارس ١٨٢٢ برسالة الى الكونجرس الامريكي يومئذ فيها بضرورة الاعتراف بكل مستعمرة اسبانية استطاعت التحرر و الخلاص ، أمة مستقلة .

ودارت مفاوضات بين كاشنج والوزير الامريكي في لندن هدفها استمالة الحكومة الامريكية الى استصدار تصريح مشترك بينها وبين انجلترا ضد أي تدخل اوروبي في امريكا . ولكن الاقتراح الانجليزى لقي معارضة من جانب وزير الخارجية الامريكية وقتئذ John Quincy Adams الذى بنى رفضه للعمل المشترك مع انجلترا على اعتبارات عدة ، مبعثها خوفه من ان تؤدي هذه المشاركة الى دخول الولايات المتحدة ذاتها فى دائرة النظام الاوروبى الذى تسعى لانتزاع انجلترا منه ، ثم خوفه من ان التصريح المنشود ضد أي تدخل اوروبى فى امريكا لا يلبث حتى يتخذ شكلا يذل على ان الدولتين ، انجلترا

والولايات المتحدة ليس غرضهما مجرد الحيلولة وحسب دون استيلاء دولة اوروبية على قسم من املاك اسبانيا في امريكا بل انهما تتعهدان فوق ذلك بالامتناع ايضا من فعل ذلك ، الامر الذى يغفل يد الولايات المتحدة فلا تستطيع فى المستقبل الاستيلاء على بعض الاقاليم التى كانت تريدها مثل تكساس Texas أو كيوبا Cuba وكان آدمز يرغب على وجه الخصوص فى الاستيلاء قريبا على كيوبا . فكان فى رأى اذا ان من الضرورى ان تبتعد الولايات المتحدة كل البعد عن النظام الاوروبى ، وان تحرص على ان يبقى الباب مفتوحا لتضم اليها ماتشاء من الاقاليم فى المستقبل . أى أن آدمز لم يكن يريد التقييد بتصریح يغفل يد الولايات المتحدة عن العمل .

وتحت تأثير هذه الاعتبارات أصدر منرو تصريحه المشهور الذى تضمنته رسالته الى مجلس الكونجرس الأمريكى فى ٢ ديسمبر ١٨٢٣ . وكان هذا التصريح يشمل المبادئ الآتية : وأولها ان الولايات المتحدة ليست لها أى مصلحة ولا تريد التدخل فى شؤون اوروبا السياسية ، و أنها تريد من الدول الاوروبية وتطلب منها الابتعاد عن التدخل فى شؤون العالم الجديد السياسية بل انها لن تتردد

فى قتال أية دولة تحاول ان تفرض او تبسط سيطرتها —————
 السياسية فى امريكا ، وأخيرا ان الولايات المتحدة
 لا تتدخل فى شؤون المستعمرات والممتلكات الحالية التى
 للدول الأوروبية فى امريكا . ومع ان التصريح الذى
 تضمنته رسالة منرو الى مجلس الكونجرس الأمريكى كان
 تصريحاً من جانب واحد ————— Unilateral
 فقد جاء محققاً للاغراض التى أرادها كاننج . وبينما
 انتشرت الرجعية فى اسبانيا امكن ان تنجو امريكا
 الجنوبية من طغيان الحلف المقدس .

وهكذا تسببت سياسة كاننج فى فشل الحلف المقدس
 وتبعاً لذلك فى اخفاق محاولة الدول ان تحكم أوروبا —————
 بطريق المؤتمرات . وسبب ذلك ان انجلترا ما كانت تجد
 فى هذه المؤتمرات ما يحقق الاغراض التى أرادت —————
 سياستها . ولم تكن احتجاجات كاننج مجرد عبارات بليغة
 وحسب ، عندما أخذ يتساءل عن ذلك النفوذ الذى قيل انه
 كان لانجلترا فى مشاورات التحالف الأوروبى ، و الذى قال
 كاننج ان مترنيخ كان يبحث الحكومة الانجليزية على عدم
 التفريط به . ثم انبرى كاننج يقول : " لقد رفعنا
 صوتنا بالاحتجاج فى ليباخ ، وذهبت معارضتنا ادراج الرياح

فاذا كان لنفوذها ان يبقى قائما فى الخارج فالواجب ان يعتمد هذا النفوذ على مصادر القوة فى داخل بلادنا، وتلك تكون بالتعاطف و التفاهم بين الشعب و الحكومة، وتتم فى الاتحاد بين الشعور السائد والمشورة التى يتفق عليها الرأى العام، ثم فى الثقة المتبادلة والتعاون الكامل بين مجلس العموم والتاج البريطانى . " و هكذا كان معنى تحطيم سياسة التدخل اخفاق فكرة الاتحاد الاوروبى، و عندما تمسكت انجلترا بمبدأ عدم التدخل، كانت فكرة الاتحاد الاوروبى مقضيا عليها بالفشل كما ارادته الدول الاوتوقراطية . وانقسمت الدول الى قسمين : قسم الدول الاوتوقراطية وهى روسيا والنمسا وبروسيا (اعضاء الحلف المقدس الاصلية) ، وقسم الدول المتمسكة بالمبادئ الحرة وهى الدول الغربية انجلترا وفرنسا ثم الولايات المتحدة الامريكية التى وقفت الى جانب انجلترا فى مشكلة المستعمرات الاسبانية فى امريكا، فعطلت مطامع و أغراض الدول الاوتوقراطية الرجعية صاحبة مبدأ التدخل فى شؤون الدول الداخلية .

الفصل الرابع

فرنسا من ١٨١٥ الى ١٨٥٢

- فرنسا وحكم البربون الجديد .
- لويس فيليب وملكية الاورليان .
- فرنسا من الجمهورية الثانية الى قيام
الامبراطورية

الفصل الرابع

فرنسا من ١٨١٥ الى ١٨٥٢

عقد الحلفاء معاهدة شومون في اول مارس ١٨١٤ لمواصلة الكفاح ضد نابليون ، وفي ٣٠ مارس من السنة نفسها دخلت جنودهم بباريس وعاد البوربون معهم الى عاصمة ملكهم القديمة . فدخل لويس الثامن عشر الى باريس في ٣ مايو ١٨١٤ ، ثم استتب له الامر في فرنسا نهائيا بعد حكم المائة يوم وانهزم نابليون في موقعة واترلو (يونيه ١٨١٥) وذهابه الى المنفى .

ومنذ البداية كان مقضيا بالفشل على ملكية البوربون العائدة لاسباب متعددة وهي :

- (١) أخفق البوربون في ايجاد حلول موفقة للمسائل التي واجهتهم عند استلامهم الحكم .
- (٢) اخذ البوربون بالمبادئ والاساليب الرجعية متناسين جميع التغييرات التي حدثت في داخل البلاد منذ بداية الثورة الفرنسية حتى عام ١٨١٤ .
- (٣) كانت المشكلة الكبرى التي ورثتها الملكية العائدة من عهد الثورة ونابليون هي محاولة التوفيق بين هدفين مختلفين : انشاء نوع من الحكومة ترضى عنه

البلاد ، واتباع سياسة خارجية ترضى عنها الدول .
ولكن فشل البوربون في اقامة حكومة يرضى عنها
الفرنسيون ، فانتهى الامر بقيام ثورة ١٨٣٠ . كما
اخفقت ملكية أورليان التي تولت الحكم بعد ثورة
١٨٣٠ لأن لويس فيليب اتبع سياسة خارجية كانت
متعارضة تماما مع رغبات الامة .

ويدور تاريخ فرنسا منذ عام ١٨١٥ حتى انشاء
الجمهورية الثالثة عام ١٨٧١ حول أمرين هامين : أولهما
رغبة الفرنسيين في القضاء على تسوية فينا التي ارتبطت
في أذهانهم بانكماش حدود بلادهم ، واستخدام هذه الرغبة
بتصميم الدول الأوروبية على التمسك بالتسوية كأساس
للنظام الأوروبي . وثانيهما ، رغبة الطبقة المتوسطة
(البورجوازية) التي حنت اعظم فائدة من الانقلابات
والتغييرات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت ايام
الثورة و عهد نابليون في ان تظل محتفظة بما في أيديهم
من مزايا عن طريق انشاء حكومة دستورية تقف حائلا أمام
اتجاهيين :

(١) عودة النظام القديم بدعاماته الثلاث : الملكية
المطلقة ، والكنيسة ذات الاراضى و الاملاك الواسعة

وارستقراطية النبلاء الوراثةية .

(٢) تسرب المبادئ الاشتراكية الى طبقات الصناع والعمال
و تغلغل هذه المبادئ في كيان المجتمع حتى
لاينجم عن ذلك افساح المجال لعناصر جديدة تشترك
مع الطبقة البورجوازية في الحكم عن طريق التوسع
في قواعد الانتخابات .

وقد أدت هذه العوامل كلها الى قيام ثورات ١٨٣٠ ،

١٨٤٨ .

فرنسا وحكم البوربون الجديد :

انحصرت مهمة البوربون عند عودة لويس الثامن عشر
الى عرش فرنسا في أمرين اثنين :

(١) التوفيق بين مبادئ متناقضين : الشرعية

Legitimacy و هو مبدأ العهد القديم

و سيادة الشعب و هو ثمار الثورة .

(٢) عقد الصلح للمرة الثانية مع الحلفاء المنتصرين .

وقد رفض تاليران رئيس الوزراء ابرام المعاهدة القاسية معتمدا في رفضه على امكان اشارة غضب الشعب + ولكن الملك الحذر لم يشأ اشارة أزمة بينه وبين الحلفاء ، فاستقال تاليران ، وخلفه في الوزارة الجديد دوق ريشيليو Richelieu في ٢٤ ديسمبر ١٨١٥ ، ووقع ريشيليو على معاهدة باريس الثانية في ٢٠ نوفمبر ١٨١٥ .

وكان لويس الثامن عشر قد اصدر في ٤ يونيو ١٨١٤ الميثاق او العهد الدستوري ، و حكمت فرنسا وفق احكام هذا الدستور منذ عام ١٨١٤ حتى قيام الثورة في يوليو ١٨٣٠ . و كانت مآخذ هذا الدستور و نقائصه من اسباب تلك الثورة الرئيسية . وقد تألف هذا العهد الدستوري من مقدمة وستة وسبعين بندا . وجاء في المقدمة ان كل السلطة تتركز في شخص الملك . ومن مواد الدستور الست والسبعين ، تضمنت الاثنتى عشرة مادة الاولى حقوق المواطنين الفرنسيين ، و هى المساواة امام القانون بحرف النظر عن الالقاب والرتب ، و حق الجميع في شغل الوظائف المدنية والعسكرية ، ثم ضمان حرية الفرد باحترام القانون ، فلا يجوز القبض على انسان او ان توقع عليه عقوبة الا بمقتضى اجراء قانونى . ولكن الدستور السدى اعطى فيه الحرية الفردية لجميع المواطنين الفرنسيين

ترك الامة فى مجموعها من غير ضمان لحرياتها ، لان ضمان حريات الامة انما يكون بدعم المسؤولية الوزارية ، وذلك بأن يتولى السلطة التنفيذية مجلس وزراء يرتبط بقساوه بثقة المجلس الذى تنتخبه الامة ، أى البرلمان . و ذلك ضمان كان الدستور خلوا منه . فقد جاء فى المادة الثالثة عشرة : " ان شخص الملك مقدس ولايمكن ان يمسه شىء ، ووزراءه مسؤولون ، والملك وحده صاحب السلطة التنفيذية " ، ومع ذلك فقد تركت هذه المسؤولية الوزارية من غير حـلـ . وفى حين كان للملك الحق فى تعيين وزرائه ، لم يذكـر الدستور اذا كان من واجب الملك ان يختار هؤلاء من بين الاكثريـة فى المجلس حتى تكون حكومته برلمانية او دستورية ، وعلى كل الاحوال فقد صار يفسر كل من لويس الثامن عشر وشارل العاشر من بعده هذه المادة الثالثة عشرة بأنها تخولهما حق دعوة الوزارة واقالتها حسب مشيئتهما دون التقيد فى ذلك برغبة مجلس النواب .

وتألفت بمقتضى هذا الدستور الهيئة التشريعية من مجلس للاعيان ، و آخر للنواب ، وصار للملك الحق فى منع القاب الشرف والنبيل وراثـة او لمدى الحياة فقط . اما مجلس النواب فكان يتكون من نواب ينتخبون لمدة خمس سنوات ، وقد جعل حق الانتخاب مقصورا على الذين يدفعون

ضرائب مباشرة قدرها ثلاثمائة فرنك سنويا و لا تقــــــل
اعمارهم عن ثلاثين سنة ،بينما اشترط في النائب ان يبلغ
الاربعين او يزيد ،ويدفع ضريبة مباشرة قدرها الف فرنك
سنويا على الاقل ، و هي شروط في صالح طبقة الاغنياء
فقط . ولذلك فان مجلس النواب سرعان ما صار أداة حكومية
تمثل مصالح الاغنياء . و صار عدد المتمتعين بحق الانتخاب
يقلون عن مائة الف ناخب من مجموع تسعة وعشرين مليون
نسمة ، هم سكان فرنسا . واما الذين يعملون للنيابة
فكانوا اثني عشر الفا فقط . و كان يتجدد خمس عــــدد
النواب سنويا ، وللملك الحق في حل مجلس النواب في اى
وقت واجراء انتخابات عامة جديدة .

تبع عودة الملك الى باريس في يوليو ١٨١٥ وقــــوع
حوادث دامية كثيرة خصوصا في جنوب فرنسا ، وانتشر مــــا
يعرف بالارهاب الابيض ، ولم تتردد الملكية المعائدة في
الانتقام من رجال العهد الماضي . ولما كانت وزارة
تاليران التي استمرت في الحكم من يوليو الى سبتمبر
١٨١٥ قد اظهرت بعض الاعتدال في موقفها من الحــــوادث
الانتقامية فقد ابعدت من الحكم وخلفتها وزارة ريشلييه .
وفي عهده حوكم المارشال ناي أحد الابطال العسكريين

فى عهد نابليون و أعدم فى ديسمبر ١٨١٥ . وفى وسط موجة الارهاب هذه تم انتخاب المجلس الاول فى أغسطس ١٨١٥ فدخل المجلس عدد كبير من مؤيدى الملكية العائدة عرفوا باسم الملكيين المتطرفين (Ultras) . وتزايد الارهاب الابيض بعد تأليف مجلس النواب ، و عندئذ اضطر الملك الى حل المجلس فى سبتمبر ١٨١٦ . وفى الانتخابات الجديدة حصلت وزارة ريشيلبيه على اكثرية من العناصر الملكية المعتدلة ، آيدت سياسة التهدئة والتسكين التى اتبعها ريشيلبيه فى الداخل والخارج معاً .

ولما كان خمس عدد الاعضاء يتجدد سنوياً ، فقد بدأ جماعة من الاعضاء المستقلين و الاحرار يدخلون مجلس النواب بعد عام ١٨١٦ ، حتى اذا كان عام ١٨١٨ ، أصبح من الميسور ملاحظة وجود اختلاف فى رأى بين اعضاء المجلس ، ويمكن التمييز بين احزاب ثلاثة ظاهرة هي :

(١) حزب اليمين : وهم الملكيون المتطرفون وشعارهم

الحرب ضد الثورة ، وأقدر رجالهم

فيليل وشاتوبريان Chateaubriand

وصحيفتهم الجورنال دى

ديبى (Journal des Debats) .

(٢) حزب الوسط : وهؤلاء من الملكيين المعتدلين،

ويهدفون للتوفيق بين الملكية

و الثورة ، وأقدر رجالهم ريشيلبييه

و ديكاكاز .

(٣) حزب اليسار : وهؤلاء من الاحرار الذين قبلوا

الملكية ولكنهم ارادوا انشاء حكومة

مسؤولة على الطراز الانجليزى .

وكان اصحاب السطوة و النفوذ عند عودة ملكية

البوربون ، الملكيون المتطرفون الد أعداء الثورة . وكان

برنامج المتطرفين يستند الى فكرة اساسية هي احياء

النظام القديم وانما مع تعديلات تتفق قبل كل شيء مع

مصالح طبقة النبلاء و الاشراف التى هى طبقتهم وان لم

تكن هذه التعديلات ملائمة لمصالح الملكية نفسها . وقد

وجدوا ان خير وسيلة لتحقيق هذه الغاية هى ارجاع

الكنيسة الكاثوليكية الى سابق سطوتها ، وعقد محالفة

وثيقة بين الكنيسة و الدولة . وحتى تتمكن الكنيسة

الكاثوليكية من استرجاع سطوتها و مكانتها ، اراد المتطرفون

ان تستعيد الكنيسة جميع الاملاك التى اغتصبت منها

ايام الثورة و كانت لاتزال فى حوزة الدولة . ثم انهم

أعطوا رجال الدين حق الاشراف على التربية والتعليم .

و على العموم يتلخص برنامج المتطرفين في :

(أ) اقامة الملكية المستقرة والقائمة على دعائم موطئدة .

(ب) انشاء الكنيسة الفنية صاحبة الاملاك الواسعة

(ج) الاستئثار بقسط وافر من السلطة السياسية التي ظلوا حتى هذا الوقت محرومين منها .

و أما المعتدلون - من جماعات الوسط واليسار - فقد دافعوا عن الثورة ، وأرادوا استمرارها و لكن ممن غير الروح الثورية . وتمسكوا بكل قوة بتراث الثورة ، وماكانوا يرضون بعودة النظام القديم بحال من الاحوال ، ولذلك فقد تعذر أى اتفاق بينهم وبين المتطرفين . وقد تمسك المعتدلون بالدستور الذى أصدره لويس الثامن عشر ، لان هذا الدستور قضى نهائيا على تقاليد النظام القديم ، و أحل مكانها تقاليد الثورة والامبراطورية النابليونية ، حيث قد أخذ عن الثورة مبادئ التسامح والمساواة أمام القانون و عدم التمييز بين الطبقات . فى خدمة الدولة ، أى فتح ابواب الوظائف أمام الجميع ، بينما أخذ من الامبراطورية أداة الحكومة المركزية .

وكان واضحا ان التوفيق متعذر بين حزبي المتطرفيين والمعتدلين ، وان لامفر من سقوط أحد هذين الحزبين — وخروجه من الميدان السياسي في آخر الامر ، لأن فرنسا لم تكن تستطيع احتمال الصراع الى ما لا نهاية من اجل الاستئثار بالسلطة و النفوذ بين هذين الفريقين . واما نتيجة هذا الصراع فكانت اندحار المتطرفيين . ولم يكن لويس الثامن عشر يجهل حقيقة مركزه المزعزع ، و لذلك عمد الى حل ذلك المجلس الذي ضم متطرفي الملكيين — و عهد بالوزارة الى ريشيليو من المعتدلين — في الظروف التي ذكرناها (في سبتمبر ١٨١٦) .

ونجحت وزارة ريشيلويه في سياستها الخارجية ، عندما كسب ريشيلويه ثقة الحلفاء ، وتقرر في مؤتمر اكس لا شابيل (١٨١٨) انسحاب جيوش الاحتلال من فرنسا . ولكن الانتخابات الجديدة أسفرت عن دخول عناصر جديدة عززت حماسة الاحرار في المجلس ، فأجبر هؤلاء ريشيلويه على الاستقالة — في ديسمبر ١٨١٨ و عندئذ تولى الوزارة دوق ديكان ، و هو كسلفه من المعتدلين . وقد اعتمد ديكان على موازنة الاحرار في المجلس ، فألغى في اول مايو ١٨١٩ الرقابة على الصحف ، و تقررت حرياتها . ولكن مقتل دوق دي بري في فبراير ١٨٢٠ سرعان ما أشار ضد ديكان العناصر المتطرفة ، فقطعت

وزارته . و كان ذلك بداية التغيير الذى أدى الى سيطرة
الرجعيين والمتطرفين على شؤون الحكم فى فرنسا بشكل
أدى فى النهاية الى انفجار ثورة يوليو ١٨٣٠ .

وجد المتطرفون ان الوقت غير مناسب لتولى انصارهم
الوزارة ، ولذلك فقد عهد الى ريشيلبيه بتأليف الوزارة
الجديدة . وفى عهده أعيدت الرقابة على الصحف ، ثم
صدر قانون الانتخاب فى يونيو ١٨٢٠ ، ضيق حقوق الانتخاب
لمصلحة الطبقة المالكة الغنية . وقد ترتب على هذا
النظام دخول اكثرية متطرفة الى مجلس النواب ، لم تكن
ترضى عن اعتدال ريشيلبيه ، فلم تلبث ان اضطرت الى
الاستقالة فى ديسمبر ١٨٢١ . فآلف الوزارة الجديدة زعيم
المتطرفين الكونت دى فيليل الذى استمر فى الوزارة سبع
سنوات من عام ١٨٢١ الى عام ١٨٢٧ . وكانت سياسة فيليل
رجعية بحتة ، ولكنه اتبع فى تنفيذها أساليب دلت على
المهارة والحنكة . وكان فيليل معصما على الماضى فى
تجربته الرجعية مهما كانت النتائج . فشدد فيليل الرقابة
على الصحف (١٨٢٢) و فرض ضرائب عالية على السواردات
ارضاء لاصحاب المصالح الاغنياء ، و أعطى الكنيسة حـق
الاشراف على التربية والتعليم . ولاضاف الاكثرية الحرة

فى مجلس النواب استعدر قانونا للانتخاب عام ١٨٢٣ جعل
مدة مجلس النواب سبع سنوات بدلا من خمس فيتجدد سبعة
أعضاء المجلس فقط كل سنة بدلا من خمس اعضائه . وفى عام
١٨٢٤ عظم نفوذ المتطرفين فى مجلس النواب . وفى ١٦
سبتمبر ١٨٢٤ توفى لويس الثامن عشر ، وتولى من بعده
اخوة الكونت دارتوا باسم الملك شارل العاشر .

و كان الملك الجديد عظيم الاعتقاد بأن للملوك حقا
مقدسا فى الحكم ، ثم انه كان صاحب ميول شديدة نحو
الكليريكية ، (أى لتأييد الكنيسة) حتى صار الملكيون
يعرفون الآن باسم (حزب القساوسة) Parti-Pretre
ولم يكن من المنتظر وقد ناهز الملك السابعة والسبعين
من عمره ان يتخلى عن معتقدهاته أو أن ينحرف عن ميوله .
ولذلك فقد استطاع فيليل الذى بقى فى رئاسة الوزارة ان
ينفذ برنامج الملكيين المتطرفين بحذافيره . ولما كانت
سياسة التحالف بين العرش و الكنيسة التى حرى عليها
فيليل قد أيقظت مخاوف الامة ، وتركزت المعارضة الحرة
ضدة فى مجلس الاعيان ، فقد عمد فيليل من اجل التغلب على
هذه المعويات الى خلق ستة وسبعين نبيلاً جديداً فى عام
١٨٢٧ ، ثم انه بادر بحل مجلس النواب واجراء انتخابات
جديدة .

ولكن نتيجة الانتخابات جاءت على خلاف ما كان يرجوه ، فاستطاع الاحرار ان يؤلفوا اكثرية معارضة فى المجلس الجديد ، و هددوا اضطر فيليل الى الاستقالة بعد حكومة دامت سبع سنوات . وبعد شهر من استقالة فيليل ، اضطر شارل العاشر الى قبول وزارة " معتدلة " فالف الكونست دى مارتينارك (Martignac) الوزارة الجديدة وكانت غايته الاعتماد على احزاب الوسط فى الحكم ، ولكنه فشل فى استمالة الاحرار والمعتدلين ، ولم ينل تأييد الملكيين المتطرفين ، كما ان الملك وجده " معتدلا " اكثر مما ينبغى ، فاتحدت كلمة الاحرار و المتطرفيين ضده ، و سقطت وزارته فى ابريل عام ١٨٢٩ .

كلف الملك البرنس جول دى بولينياك بتأليف الوزارة الجديدة ، و قابل الراى العام الفرنسى هذا النبأ بغضب شديد ، لان بولينياك كان احد زعماء المهاجرين فى عهد الثورة . ثم ان بولينياك كان قد احتج فى عام ١٨١٥ ضد الدستور ورفض ان يقسم يمين الولاء له وبقى سنوات طويلة من اقرب المقربين الى شارل العاشر . وبمجرد وصوله الى الحكم ، أعلن بولينياك عزمه على " اعادة تنظيم المجتمع و اعادة ماكان لرجال الدين من نفوذ و شأن فى اعمال الدولة ، وانشاء ارستقراطية قوية و احاطة هذه

الارستقراطية بالامتيازات " . و لكن بولينياك لـم
يكن لضعفه و تردده الرجل الذى فى استطاعته حقا تنفيذ
هذا البرنامج الرجعى المتطرف . بل انه صار يعتمد
على كسب الانتصارات الخارجية فى استمالة الامة التى
تأيد سياسته ، فاحتل الجزائر عام ١٨٣٠ ، واعتمد على
هذا الانتصار ، فأجرى انتخابات جديدة ، ولكن نتيجة
هذه الانتخابات جاءت على عكس ما كانت الحكومة تنتظره
ومع ذلك أسر بولينياك على بقاء الوزارة على حالها ،
و على تعديل قانون الانتخاب وتقييد حرية الصحافة .

ولم تلبث الحكومة ان شعرت بحرج مركزها عندم
أتت الانتخابات بأكثرية معارضة لها فى مجلس النواب .
وعندئذ لم يجد شارل العاشر ووزيره مخرجا من هذا
المأزق الا يحل المجلس ولم يجتمع بعد . وفى ٢٥ يوليو
١٨٣٠ صدرت " مراسيم سان كلو الاربعة الشهيرة " (١) وكان
سان كلو أحد قصور شارل العاشر (٢) و تعلن :

- (١) حل مجلس النواب .
- (٢) ادخال تغييرات على قانون الانتخابات .
- (٣) دعوة الهيئة التشريعية للاجتماع يوم ٢٨ سبتمبر .
- (٤) تقييد حرية الصحافة .

وبمجرد ذيوع نبأ هذه المراسيم الاربعة نزلت أسعار
الاوراق المالية واحتج عليها كبار العلماء ، وتوقف
المصرفيون في باريس عن احراء عمليات الخصم ، وتعذر على
اصحاب الصناعة الحصول على المال او الاقتراض ، وطفقوا
يخرجون من مصانعهم العمال في اعداد كثيرة . وسرعان
ما اقيمت المتاريس في الشوارع ووقع الاصطدام بين العمال
و الجنود ، و سفكت الدماء . وعندئذ تسلح أعضاء الحرس
الاهلي القديم (وكان قد أنحل منذ عام ١٨١٨) ، واستولى
الشوار على مكاتب الحكومة ودواوينها وامتنع عن الحكومة
المال . وتولى الجمهوريون تنظيم الثورة ، وسيطروا
البورجوازيون عليها واتحدت كلمة العمال الذين هدفوا
الى اغراض سياسية وحسب ، فلم يطلبوا تغييرات اجتماعية .

و في ٢٨ يوليو اجتمع ثلاثون عضوا من أعضاء المجلس
المنحل في منزل المصرفي الغني كازمير برييه ، وكان
يكره الفوضى و " حكم الفوضى " . وتقرر تأليف حكومة
موقته اتخذت مقرها في مبنى (اوتيل دي فيل) و عرضت
رياسة الحرس الاهلي على لافاييت رجل الثورة القديم ،
فقبل المنصب ، وعرض التاج على لويس فيليب دوق أورليان
وعبثا حاول شارل العاشر اصلاح الخطأ الذي ارتكبه ،
فسحبت الحكومة المراسيم الاربعة في ٢٩ يوليو ، ولكن هذا

الاجراء جاء متأخرا ، كما لم تفلح محاولة اخرى عندما
 أراد شارل العاشر التنازل لمصالح حفيده ابن دوق دى برى
 وهو دوق دى بوردو Bordeaux فدخل لويس
 فيليب الى باريس يحمل شارة الثورة المثلثة الالوان ،
 وحينئذ لم يجد شارل العاشر مناصا من مغادرة فرنسا
 الى انجلترا ثم انتقل الى النمسا ومات بها فى عام ١٨٣٦ .

ولثورة يوليو أهمية كبير فى تاريخ فرنسا ، ولو أنه
 كان يبدو وان هذه الثورة فى ظاهرها لم تحدث تغييرات
 جوهرية ، فقد بقيت الملكية نظاما للحكم بالرغم من اقصاء
 البوربون عن العرش ، بل ان العرش انتقل الى أسرة
 اورليان ، وهى فرع من أسرة البوربون ذاتها . ورغم ان
 الجمهوريين هم الذين نظموا الثورة و تسلموا زمامها ،
 فكان من المتعذر بل من المستحيل اقامة الجمهورية
 فى فرنسا لان اوروبا فى عام ١٨٣٠ كانت ولاشك تفسر انشاء
 الجمهورية بأنه عمل عدائى تقصد فرنسا ان تتحداها به ،
 ولايمكن ان ترضى اوروبا به . وعلاوة على ذلك فان ثورة
 يوليو لم تفشل فقط فى ازالة الملكية ، بل أخفقت كذلك
 فى ادخال تغييرات واسعة على الدستور نفسه ، ولم
 تحقق سيادة الامة . فقد اهتم مجلس النواب قبل دعوة
 لويس فيليب للحكم باعداد دستور جديد حتى يقسم الملك

يمين الولا له عند تنصيبه ، ولم يكن هذا الدستور الجديد
 فى الحقيقة الا دستور عام ١٨١٤ مع تعديلات بسيطة تناولت
 المواد التى سببت المتاعب فى الماضى . فعدلت المادة
 الرابعة عشرة بشكل يجيز للملك استعداد المراسيم
 الضرورية لتنفيذ القوانين ، ويمنعه فى الوقت نفسه من
 وقف القوانين او تعطيلها . وكذلك لم يعد اقتراح
 القوانين من حق الملك وحده بل صار المجلسان (النواب
 والاعيان) يتمتعان بهذا الحق ايضا ، ثم جعلت جلسات
 مجلس الاعيان علنية مثلها فى ذلك مثل جلسات مجلس النواب
 وبدلا من النص على الكاثوليكية ، اصبحت الدين الذى
 يعتنقه اكثرية الفرنسيين هو دين الدولة الرسمى . وعلاوة
 على ذلك ، فقد اختفت من الدستور الجديد تلك المقدمة
 التى اشتمل عليها دستور ١٨١٤ و التى ايدت نظرية حق
 الملك المقدس فى الحكم . ثم صدر قانون بقواعد الانتخاب
 الجديد فى عام ١٨٣١ ظل معمولا به حتى عام ١٨٤٨ ، ووسع
 بمقتضاه حق الانتخاب حتى يشمل الذين يدفعون مائتى
 فرنك ضرائب عقارية بدلا من ثلاثمائة فرنك . وواضح من ذلك
 ان ملكية يوليو كانت تعتمد على طبقة اصحاب الملاك
 أى الطبقة المتوسطة الغنية (البورجوازية) . وهكذا
 وجد أولئك الذين اشتركوا فى ثورة يوليو وخصوصا
 العمال الذين حرموا السلطة السياسية انهم قد خدعوا

في آمالهم و أغراضهم . و كان اعتماد ملكية يولييو
على الطبقة المتوسطة (البورجوازية) و على جماعة
الييمين من هذه الطبقة ، وهم اصحاب سياسة الجمود — من
عوامل ضعف هذه الملكية التي سميت بملكية يولييو أو ملكية
الاورليان .

لويس فيليب و ملكية أورليان :

لقد تعددت العوامل — الى جانب الاعتماد على طبقة
البورجوازية وعلى اصحاب سياسة الجمود — التي سببت ضعف
ملكية اورليان وأدت الى زوالها . وهذه العوامل هي :

(١) كان من اخطر هذه العوامل تلك التي ارتبطت
بنشأتها وطبيعة تكوينها فناقش الكثيرون ما اذا كان
لويس فيليب يحكم مستندا الى حق الملوك المقدس في
الحكم ، او الى رغبة و ارادة الشعب الممثلة في نوابه .
و واضح ان ملكية يولييو — وهي وليدة الثورة — ما كانت
تستند اطلاقا الى حق الملوك المقدس في الحكم . كما
ان هذه الثورة قد اطاحت بمبدأ الشرعية الذي أيده مؤتمر
فيينا وتمسك به المتطرفون الملكييون ورغم ذلك تساءل
الكثيرون اذا كان اعتلاء لويس فيليب يعنى في هذه
الظروف ان السيادة قد هارت متركزة في الشعب . و أما

الذين خالفوا هذا الرأي فكانت حجتهم ان التشبث بهذا الكلام معناه ان ملكية يوليو ليست فى حقيقة الامر الا جمهورية ، فى حين ان الجمهورية كنظام للحكم قد رفضت تماما . وقد أفصح لويس فيليب نفسه عن نظرية الملكية هذه ، عندما قال : " انه يملك بفضل من الله وبناء على ارادة الأمة " وهذا كان الاساس القانونى الذى استندت اليه ملكية يوليو اساسا غير ثابت ، ومن اول الامر موضع مناقشة كبيرة .

(٢) لم تكن لملكية يوليو سيطرة موطدة فى داخل البلاد و هيمنة تامة على شؤونها ، ومرجع ذلك الى ان الذى فصل فى عام ١٨٣٠ فى معير فرنسا كان مجلس النواب ، وهو مجلس سبق ان حله شارل العاشر ولكنه اجتمع من تلقاء نفسه لتقرير مسألة اعطاء التاج الى لويس فيليب ، فلم يكن اجتماعه اذا قانونيا . اصف الى ذلك ان الذين اشتركوا فى بحث هذه المسألة كانوا ٢٥٢ عضوا فقط من ٤٣٠ ، وان الذين أعطوا اصواتهم فى صالح لويس فيليب كانوا ٢١٩ ، أى أنه كان مشكوكا فى مبركز هذه الملكية من الناحية القانونية منذ البداية . ونتج عن ذلك ان ملكية يوليو صرفت كل جهودها للعمل على توطيد مركزها

ووجهت معظم نشاطها لبسط سيطرتها على الشعب الفرنسي ودعم جهودها لاسيما وانها لم تكن ذات أصول بعيدة او تعتمد على تقاليد عتيقة تفرض احترامها على الشعب .

(٣) كان بقاء ملكية يوليو محوفا بالمخاطر من كل جانب . ومن أشد هذه المخاطر وجود الاعـدا الخارجيين الذين انكروا عليها حق البقاء نفسه ، ثم وجود الانقسام في صفوف أنصار هذا النظام الجديد الذين اختلفت آراؤهم بشأن السياسة التي يجب على ملكية يوليو اتباعها في الداخل والخارج معا . أما الاعـدا الخارجيون فهم الشرعيون الذين يطالبون بالعرش لـديـردو دي بوردو حفيد شارل العاشر . و الى جانب هؤلاء الشرعيين كان هناك الجمهوريون ، وبعض هؤلاء من الطبقة البورجوازية والبعض الآخر من العمال ، ويطالبون جميعهم بحق الانتخاب العام . وهؤلاء الجمهوريون الذين استطاع لافاييت أيضا الحكومة المؤقتة ان يجذبهم لاقامة ملكية يوليو بعـد ان أكد لهم انها سوف تكون " افضل انواع الجمهوريات المعروفة ، ثم تبين للجمهوريين بعد ذلك انهم خدمو فكان نشاطهم الى جانب نشاط الشرعيين مصدر خطر كبير على ملكية يوليو .

(٤) من الاخطار التى تعرضت لها ملكية يوليو وقوع الانقسام فى صفوف مؤيدى هذه الملكية أنفسهم . فقد انقسم هؤلاء الى فريقين : فريق اصحاب الحركة و التقدم ، وفريق الجمود والمقاومة من المحافظين ، وكان على رأس التقدميين لافيت Lafitte وهو من أغنياء المصرفيين فى باريس . ثم لفاييت . وكان من رأى هذا الحزب أن ثورة يوليو — ١٨٣٠ لم تنته بمجرد اعتلاء لويس فيليب العرش بل هى باقية ومستمرة وطالبوا فى برنامجهم الداخلى اجراء عدة اصلاحات ديمقراطية . أما حزب الجمود من جماعة المحافظين فكان زعمائه كازمير برييه وجيزو ، ودوق دى بروجس . وهذه الجماعة اعتقدت ان ثورة يوليو ١٨٣٠ قد انتهت ، وذلك بمجرد ان قبل لويس فيليب الدستور المعدل (٩ أغسطس ١٨٣٠) واعتلى العرش . وكان فى رأيهم ان ثورة يوليو — أحلت ملكا يريد المحافظة على النظام البرلمانى كما تأسس فى عام ١٨١٤ محل ملك آخر كان يريد القضاء على هذا النظام . وقد كان معير الملكية متوقفا لدرجة كبيرة على الطريق الذى سوف تسلكه فى ادارة شؤون الحكم . ولقد فضل لويس فيليب الاعتماد على حزب المحافظين او الجموديين ولو أنه لم يستطع فى اول الامر ان يقطع كل صلته بحزب التقدم . ولذلك فقد ظل الملك منذ ان استقام له الامر يشكل وزارات تحريبية من الحزبين ، ولكن هذه الوزارات

الائتلافية ، بسبب طبيعة تكوينها نفسه عجزت عن السير على سياسة واضحة متماسكة ، مما ترتب عليه استمرار هيساج الخواطر في باريس ، ومطالبة الجماهير باعتماد وزراء شارل العاشر . ونتج عن ذلك ان ركبت الاعمال و تعطل الصناع الذين غادر منهم حوالى مائة و خمسين ألفا باريس للبحث عن عمل فى جهات أخرى . وتزعزعت الثقة فى الحكومة .

وشعرت الطبقة البورجوازية بالاطمئنان على مصالحها فانحازت الى جماعة المحافظين الجموديين ، و بذلك تمهد الطريق امام هذا الحزب ليميل الى السلطة . و فى ١٣ مارس ١٨٣١ عهد الملك الى كازمير برييه بتأليف الوزارة من حزب الجموديين المحافظين ، وهو الحزب الذى ظل يتمتع بالسلطة ، مع تغييرات طفيفة حتى نهاية عهد هذه الملكية .

غداة تأليفه الوزارة ، أفصح كازمير برييه عن برنامج Casimir Perier رجل الجموديين او المحافظين الاول ، عن برنامج فى الحكم ، وهو المضى فى تنفيذ المبادئ التى جاءت بها ثورة يوليو من غير ضعف ، ودون حاجة للتطرف . ووصف برييه القواعد التى تسيير عليها سياسة الحكومة الداخلية بأنها استتباب النظام و تنفيذ

القوانين واحترام السلطات ومودة الامن العام الى شعابه واستقرار الهدوء و السكينة . وقال عن سياسته الخارجية ، ان الواجب يقتضى ان تقوم هذه على القواعد نفسها التى ذكرها ، ثم انه وضع مبدأ عدم التدخل بمعناه المزدوج ، أى عدم تدخل الحكومة الفرنسية فى جانب الشعوب الشائنة على حكوماتها ، ثم عدم تدخل الدول الاوروبية فيما يجرى من احداث وراء كل منها . واعتمد كازمير برييه فى سياسته الخارجية لتعزيز مركز ملكية يوليو ، على انشاء تفاهم وثيق مع بريطانيا . ولقد ظل هذا التفاهم الودى بين انجلترا وفرنسا دعامة قوية تعتمد عليها ملكية يوليو ليس فى علاقاتها الخارجية وحسب ، بل وفى مركزها الداخلى كذلك ، الى الوقت الذى قضى فيه على هذا التفاهم بسبب اصطدام مصالح الدولتين فى عام ١٨٤٦ فى مسألة الزواج الاسباني . ولكن كازمير برييه لم يستمر طويلا فى الحكم اذ أصيب بالكوليرا وتوفى فى ١٦ مايو ١٨٣٢ .

ومع ان الملك ألف جملته وزارات بعد ذلك من حزب المحافظين الجموديين ، فقد بقيت المبادئ التى وضعها كازمير برييه هى المبادئ التى استرشدت بها هذه الوزارات . الا ان التمسك بهذا البرنامج بشقيه الداخلى و الخارجى ، كان معناه فى نظر الشعب الفرنسى ان ملكية يوليو قد اخفقت فى تبرير وجودها . وفى عهد تلك الوزارات

كان أول ماعنيت به الملكية ، العمل من اجل الاحتفاظ
 ببقائها امام معارضة الشرعيين و الجمهوريين الذين
 تآمروا لقلب ملكية يوليو . ففي يونيو ١٨٣٢ جـــــرك
 الجمهوريون الثورة فى باريس و ذلك بعد وفاة كازمير
 برييه مباشرة ، و لكن أحدا من الزعماء لم يشترك فى
 هذه الحركة ، و امتنع العمال عن المساهمة فيها ، فقضت
 الحكومة على الثورة بعد قتال استمر يومين فى شوارع
 باريس . ولم ييأس الجمهوريون بسبب هذا الفشل فقاموا
 بالثورة فى عدة أماكن . على ان الحكومة التى قضت على
 هذه الثورات لم تحاول استمالة العناصر المعادية لها ،
 او ان تبحث مشاكل العمال التى كانت من اسباب هـذه
 الاضطرابات ، بل وجهت كل اهتمامها لمجرد القضاء على
 الجمهوريين خصومها السياسيين قضاء مبرما . وبفضـل
 المحاكمات والاساليب العارمة التى اتبعتها الحكومة مع
 معارضيها أمكن اسكات الجمهوريين فترة طويلة . ووقعت
 ست حوادث اعتداء على حياة الملك فيما بين ١٨٣٥ ، ١٨٤٦ ،
 واكتشفت مؤامرات كثيرة لاغتياله اشترك فيها الجمهوريون
 وتعد هذه الاعمال من الامور التى اضعفت من شأن الجمهوريين
 وقيمتهم . واستعمرت الحكومة فى سبتمبر ١٨٣٥ عدة قوانين
 لمحاكمة الذين يهددون أمن الدولة امام محكمة خاصة وكان
 أهم القوانين التى استصدرت " قانون الصحافة " لحماية
 الملك والدستور والمبادئ الاساسية التى يقوم عليها المجتمع

كان عجز الملك عن تأليف حكومة برلمانية ثابتة من أكبر أسباب ضعف هذه الملكية وزوالها في النهاية . فقد بلغت الوزارات التي تشكلت فيما بين ١٨٣٠ و ١٨٤٠ عشر وزارات ، كان رؤساؤها من المحافظين الجموديين الذين انحصرت مهمتهم في دعم مركز الملكية وتأييد سلطانها والقضاء على اعدائها في الداخل ، ثم المحافظة على السلام مع الدول في الخارج . وبمجرد أن انتصر المحافظون على اعدائهم من شرعيين وجمهوريين وبونايرتيين ، انقسموا فيما بينهم الى جماعتين كبيرتين :

- (أ) حزب الوسط اليساري بزعامة تيير (A.Thiers)
 (ب) حزب الوسط اليميني بزعامة جيزو (F. Guizot)

وكان من مبدأ تيير وجماعته ان الملك " يتولى ولايحكم " أى أن الملك يجب ان يختار وزراءه دائما من بين حزب الاكثرية في المجلس ، ولايتدخل في شؤون الحكم . أما جيزو وجماعته فكان مبدأهم " ان العرش ليس مقعدا خاليا " ، أى ان الملك مع احترامه لرأى الاكثرية فى المجلس ليس ملزما باتباع رأى هذه الاكثرية و ليس مكلفا باختيار وزرائه من بين حزب الاكثرية .

كان لويس فيليب لايرضى بأن تكون له رئاسة الدولة

فحسب، كما أراد تسيير، بل عمل على ان يكون حاكما حقيقيا،
 اى أنه اراد ان " يتولى ويحكم " وانتهاز فرصة القضاء
 على مقاومة اعدائه من شرعيين وجمهوريين وبونا برتبيين،
 ثم الانقسام الذى حصل فى صفوف الجمهوريين، و أخذ يشكل
 الوزارات التى تدين له بالطاعة . ولكن هذا العمل سرعان
 ما أثار المعارضة القوية ضد " سياسة البلاط و ضد
 وزارات البلاط " وعندئذ اضطر الملك الى استدعاء تسيير
 لتشكيل الوزارة . واضطر تسيير الى الاستقالة عندما رفض
 الملك الانسياق الى الحرب بسبب الازمة بين محمد على
 والسلطان فى عام ١٨٤٠ و طلب الملك من جيزو تأليف
 الوزارة .

وفى هذه السنوات التى سيطر فيها جيزو زعيم
 الجمهوريين من الوسط اليميني، تجمعت الاسباب المباشرة
 التى أدت الى اشعال الثورة فى فبراير عام ١٨٤٨، و زوال
 ملكية يوليو . ظل جيزو متمسكا بالدستور الصادر فى عام
 ١٨١٤ والمعدل فى ١٨٣٠ و كان برنامج الاحتفاظ بالنظام
 فى الداخل والسلم فى الخارج كخير وسيلة لزيادة ثراء
 فرنسا ورفع شأنها . واقتضى التمسك بالدستور ان يحتفظ
 جيزو بالشكل البرلماني للحكومة، أى ضرورة الاستناد
 الى اكثرية فى مجلس النواب ترعى الحكومة دائما وتوافق

على تصرفاتها . واستطاع حيزو ان يحصل دائما على هذه
الاكثريّة ولذلك فقد شهدت فرنسا في هذه الفترة (١٨٤٠ -
١٨٤٨) نوعا من الحكم يقوم على الجمود الشديــــــــــــــــــــد
أى المحافظة على النظم الموجودة و عدم التغيير . ولقد
تبين عند البحث ان الرشوة والفساد هما سبب وجود هذه
الاكثريّة التي أيدت الوزارة دائما في مجلس النواب ، ولذلك
قامت في الفترة ما بين ١٨٤١ و ١٨٤٨ حركة من اجل المطالبة
بالاصلاح النيابي في فرنسا على اساس تخفيض مقدار الضرائب
التي يدفعها العمالخون للانتخاب و النيابة ، و افساح المجال
لهيئات و طبقات معينة لا يستطيع افرادها دفع أية ضريبة
لممارسة حقوق الانتخاب . ولكن حيزو كان يرفض هـــــــــــــــــذه
المطالب ، فضع المطالبون بالاصلاح الدستوري .

وبينما أغفلت الحكومة معالجة شؤون العمال ولم تهتم بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية ، كانت عناصر المعارضة تزداد قوة ضد الحكومة ، ومن أخطر هذه العناصر جماعة الاشتراكيين الذين بدأوا يظهرن في الميدان وكانوا أكثر راديكالية من الجمهوريين أنفسهم . فقد شهدت ملكية يوليو دور الانتقال من نظام المصانع إلى المصانع الصغيرة المنزلية إلى نظام المصانع والورش واستخدام الآلات والبخار في الصناعة . و ظهرت نتيجة لهذا الانقلاب الصناعي مدة مشاكل كان لابد من استصدار تشريعات جديدة

لتسويتها او حلها من جهة ، ولحماية الطبقات العمالية من
الاضرار والمساويء التى اقترنت بحدوث هذا الانقلاب مسسـن
جهة اخرى . ولكن ملكية بيوليو التى هى حكومة البورجوازية
والطبقات الغنية والرأسمالية ، لم تهتم بهذه المشاكل
بل استمر الرأسماليون واصحاب العمل يستغلون ممانعهم
والايدي العاملة بها أسوأ استغلال . وغلاوة على ذلك بقيت
الطبقة العمالية محرومة من التمثيل النيابى عندمـا
تمسكت الحكومة بالدستور دون تغيير او تعديل . واصـبـح
من المنتظر فى هذه الظروف ان يتجه المفكرون مثـل
سان سيمون ، ولويس بلان الى بحث مشاكل العمل و العمال
والعلاقة بين العمل ورأس المال ، ثم يقومون بالدعوة
الى الاشتراكية . فكان ذلك مبدأ ظهور الحزب الاشتراكى
فى فرنسا . وقد هدف الاشتراكيون الى انشاء الجمهورية
على اعتبار ان الجمهورية افضل الوسائل التى تجعل
العناصر الديمقراطية تتمكن من السيطرة على الحكومة .

وهكذا تعددت عوامل التذمر من حكومة جيزو ، وزاد من
هذا التذمر سياسة الحكومة الخارجية التى كانت تحرص على
المحالفة الودية مع انجلترا لدرحة التفريط أحيانا
فى حقوق الكرامة الوطنية ، وتعمل على استمالة الملكيات
المطلقة والرجعية فى اوروبا . فقد عابت المعارضة على

حكومة جيزو موقفها من المسألة الشرقية ،وعقد اتفاقية المضايق، (يوليو ١٨٤١) . ثم احتجت المعارضة احتجاجا شديدا على موقف الحكومة المتخاذل من انجلترا في حادث بريتشارد Pritchard (١٨٤٤) ،وكان بريتشارد قنصلا لانجلترا لدى بومارى ملكة جزيرة تاهيتى Tahiti (فى المحيط الهادى الى الشرق من استراليا)،طُردته الفرنسيون من الجزيرة وضعوا تاهيتى الى املاكهم فسادت العلاقات بين انجلترا وفرنسا . ولكن لويس فيليب لـم يشأ الدخول فى حرب مع انجلترا بسبب ما أسماه " حماقات تاهيتى " ،و أعلن استنكاره لضم الجزيرة ،وحمل القنصل الانجليزى على تعويض كبير .

واخيرا تحطم التحالف الودى بين انجلترا وفرنسا على سخرة الزواج الاسباني ،عندما أراد جيزو ان يتخذ من هذه المسألة وسيلة لتأييد مركز حكومته ،فأعلن فى اكتوبر ١٨٤٦ ان حكومته قد صحت عزمها على عقد زواج ابن الملك لويس فيليب دوق دى مونتبانسييه Montpensier من لويزا فرناندا Louisa - Fernanda ابنة ملك اسبانيا فرديناند السابع (المتوفى عام ١٨٣٣) .وكانت هذه شقيقة ايزابيلا الثانية ملكة اسبانيا . ثم زواج ايزابيلا نفسها من فرنسيسكو دى اسيس Asis

دوق قادش . وفى عام ١٨٤٥ كان هذا المشروع قد قطع مرحلة كبيرة ، وكان معنى هذا الزواج التمهيد لاعتلاء دوق موناكسييه عرش اسبانيا ، لانه لم يكن متوقعا ان تنجب الملكة ايزابيلا وارثا للعرش الاسبانى ، ولـم ترض انجلترا عن هذا المشروع ، فقضى اصرار جيزو على المضى فى مشروع هذا الزواج (١٨٤٦) على التحالف السوى مع انجلترا ، الامر الذى أدى الى عزلة فرنسا السياسية .

وبالاضافة الى ذلك ، ظلت المعارضة تجدد مطالب اصلاح النيابى كل عام ، ولكن جيزو تمسك برفض هذه المطالب دائما معلنا ان المعارضة انما تبغى مجرد اشارة المشاكل السياسية فى حين انها لاتمثل رأى الامة الحقيقى فى شىء وازاء ذلك أعدت المعارضة مايعرف باسم " مآدب اصلاح " Reform Banquets ، وهى اجتماعات يحضرها عدد غفير من الناس يخطب فيهم زعماء المعارضة الذين يطلبون اصلاح ، وتوزع فيها المنشورات . ومما هو جدير بالذكر ان اصحاب هذا المآدب كانوا من احزاب المعارضة الموالية لملك والتي أرادت فقط ان تجعل الملكية تغير سياستها . ولكن لم تلبث احزاب المعارضة المعادية للملكية ان اقامت هى الاخرى اجتماعات شبيهة بهـذه المآدب ، وكثرت هذه " المآدب الاصلاحية " خلال عام ١٨٤٧ ،

فكانت بمثابة استفتاءات غير رسمية اظهرت بوضوح
ان الشعب يريد الاصلاح النيابى حقيقة . وقد ندد جيزو
فى خطاب تعوزه الحكمة القاه فى بداية عام ١٨٤٨ " بالنزعة
العداثية العمياء " التى ترمى الى القضاء على النظم
القائمة ، فقررت المعارضة اقامة مادبة كبرى فى باريس
للاحتجاج على مقولة جيزو . وهددت الحكومة بمنع اقامة
تلك المادبة التى حدد لها يوم ٢٢ فبراير عام ١٨٤٨ ، فأفزع
هذا الموقف الحازم لأول وهلة ذلك الائتلاف غير المتجانس
الذى يضم غلاة الكاثوليك والجمهوريين الديمقراطيين
والاشتراكيين ، ولكن غوغاء باريس تدخلوا ليلة ٢١ / ٢٢
فبراير ، فأسفر تدخلهم عن استقالة جيزو وسقوط ملكية
يوليو فى ٢٥ فبراير ، وقرار الملك و أسرته الى انجلترا .

تنازل لويس فيليب لمصلحة حفيدة الكونت دى بارى
de Paris ولكن المجلس لم يوافق على هذا الحل ،
ولم تلبث جموع باريس ان اقتحمت فناء المجلس مما أدى الى
فض الاحتماع ، ولكن الاعضاء الذين بقوا نادوا ، تؤيدهم
جموع الشعب بقيام حكومة مؤقتة تتألف من الاشخاص الواردة
اسماؤهم فى قائمة اقترحها عليهم لامارتين . وكانت
القائمة تضم سبعة أسماء كلها لمصلحين وجمهوريين
معروفين وأبرزها لامارتين Lamartine ولد روللين
(Ledru - Rollin) وجارنييه بأجرس Garnier

Pages (. ولكن بينما كان ذلك يجرى فى قامــــة
 المجلس شكلت حكومة اخرى فى دار صحيفة ريفورم Reform
 ذات الآراء الاشتراكية القوية . وقد ضمت هذه الحكومة
 اصحاب الاسماء الواردة فى القائمة السابقة ، ولكنها
 ضمت ايضا بعض الاسماء الاخرى و على الاخص اسم لوى بلان
 (Louis Blane) الذى يعد ممثلا الاشتراكية العظيم
 الاوحد فى جيله . وقد ادمجت الحكومتان فى حكومة واحدة
 هى التى عرفت باسم " الحكومة المؤقتة " . وكان اعضاؤها
 يدينون بسلطاتهم للثورة وحدها ولم يكن لهم أى سند
 قانونى .

فرنسا من الجمهورية الثانية الى قيام الامبراطورية :

قامت الخلافات الحادة بين اعضاء الحكومة منــــذ
 البداية ، فلم يقبل الجمهوريون المعتدلون المنتمــــون
 الى الطبقة المتوسطة وعلى رأسهم لامارتين مساهمــــة
 الاشتراكيين معهم فى الحكم من طيب خاطر . فلم يكونوا
 على استعداد لتأييد مشروعات لويس بلان لتأييد مظلــــمها .
 ويعد تشكيل الحكومة مباشرة اتخذت بعض الخطوات الهامة ،
 فأعلن حق الانتخاب العام لجميع المواطنين ، وتقرر ان يقوم
 الناخبون الجدد الذين يزيدون على تسعة ملايين بانتخاب

جمعية تتولى البت في أمور الدستور في موعد قريب ، وأعلن فتح باب الانتساب الى الحرس الوطنى لجميع المواطنين بعد ان ظل طويلا مقصورا على الطبقة الوسطى وحدها ، وأعلن لويس بلان لجماعة من اصحاب الالتماسات ان الحكومة تتعهد بأن تؤمن لجميع الفرنسيين العمل الكافى ليقوم أودهم ، ومدر على الفور مرسوم بإنشاء " الورش القومية " .

ولقد تبع مجرى الثورة نزعات العصر الفكرية ، وكانت باريس وفرنسا عامرة بالنشاط الفكرى السياسى والاجتماعى قبل عام ١٨٤٨ . وكان سان سيمون Saint Simon (١٧٦٠ - ١٨٢٥) هو صاحب النفوذ الاول فى هذا المضمار وقد قدم هذا المفكر العميق للعالم حشدا هائلا من الافكار العلمية والخيالية . فكان يعتقد بأن الحياة ليست سوى فترات متعاقبة من البناء والهدم . وكانت الثورة الفرنسية فترة هدم للنظام القديم ، وأنه قبل أن يلاوان لفرنسا ان تبدأ عهد البناء . وأنه على فرنسا اذا ارادت تحقيق هذا الهدف هو بناء اقتصاد مناعى متقدم يهيىء حياة أفضل للعامل بصفة خاصة والمواطن الفرنسى بصفة عامة . وكان من رأيه ان الارتفاع بالانتاج وبمستوى العمال يعتمد ايضا على تركيز رؤوس الاموال والسلطة الادارية فى أيدي الفئة القادرة على الاستغلال أى رجالات الاعمال . وحتى لايسء هؤلاء استخدام رؤوس الاموال هذه

فلا بد من وضعهم تحت رقابة دقيقة من جانب البرلمان
وقد نشر سان سيمون آراءه في مجموعة من المؤلفات أهمها
إعادة تنظيم المجتمع الاوروبي (١٨١٤) والصناعة (١٨١٧)
والمنظم (١٨١٩ - ١٨٢٠) و النظام الصناعي (١٨٢١) والمسيحية
الجديدة (١٨٢٥) . ولقد مارس سان سيمون نفوذا عظيما
على مفكرى الجيل الذى تلاه وساسته .

وقد استرعى كذلك شارل فورييه Fourier
(١٧٧٢ - ١٨٣٧) اهتمام الكثيرين من معاصريه ، ولكنه
لم يمارس نفوذا يذكر على الفكر فى الاجيال التالية .
وكان يؤمن بأن الناس ان تركوا احرارا فى تنظيم
شؤونهم سينقسمون الى مجموعات " طبيعية " لكل منها ميولها
واستعداداتها الخاصة لمختلف المهن و بذلك تودى الاعمال
التي يحتاج اليها العالم فى حرية وكفاءة . لقد كانت
آراء فورييه اكثر واقعية من آراء سان سيمون ولكنها
لم ترتفع الى المستوى الذى اصبحت فلسفة انتاجية اصلاحية
يمكن ان تشمل كل احزاء الدولة . ونشر فورييه آراءه فى
مؤلفات عدة ولكنه يعتبر مؤلفه بعنوان " عالم صناعى
جديد " (١٨٢٩) من أهم مؤلفاته قاطبة .

و شمة حركة لها اهمية مباشرة تفوق اهمية مدرستى

فورييه وسان سيمون ، وان تكن وثيقة العملة بأفكار هذا
الآخر ، ألا وهى الحركة الاشتراكية التى غدت لأول مرة
أثناء ثورة ١٨٤٨ تمثل قوى كبرى بين شعوب أوروبا .
ولقد تغير مدلولها كثيرا منذ ذلك التاريخ بتأثير
كارل ماركس خاصة . وكان داعيتها الأول فى فرنسا فى تلك
الحقبة لويس بلان (١٨١١ - ١٨٨٦) وهو كاتب وزير الانتاج
فى الشؤون السياسية والاقتصادية و من أهم المبادئ التى
نادى بها بلان " حق العمل " . فحق العمل عنده حقيق
من حقوق الانسان بل هو أقوى الحقوق ، وكان يهدف الى
تغيير نظام المجتمع الفرنسى بالتدريج بطريقة تؤدى الى
إلغاء المنافسة على اعتبار ان المنافسة هى احد الاسباب
الرئيسية فيما أصاب العمال من بؤس وفقر . والحل الذى
وضعه هو " الورش التعاونية " تتساوى فيها أحوال العمال
وتوزع الارباح على العمال . ويرجع السبب فى انتشار
افكار لويس بلان انها وضعت برنامجا واضحا لعلاج مشكلة
البطالة والفقر ، وتطلع اليها آلاف العمال والفقراء على
اعتبار انها هى المنتفذ لهم من التدهور الاجتماعى . ولقد
تعلق رأى العام بنقطة واحدة فقط وأساء تأويلها
ألا وهى حق العمل . فباتت عبارة " سنعمل ونحيا أونحارب
ونموت " شعارا للذين كانوا يعتبرون أنفسهم اتباعه .
ولقد رأينا كيف حمله التأييد الشعبى الى عضوية
الحكومة المؤقتة وكيف انه أعلن عن عزم الحكومة على

توفير العمل للجميع .

لقد فشلت الورش القومية التي صدر مرسوم بإنشائها. ولقد كان فشل مشروع لويس بلان أمرا محتوما . فان فرصة الحصول على عمل ثابت بأجر طيب قد جذبت الى هذه الورش كل ذوى الاعمال المعارضة فى باريس ، ولم تلبث ان جذبت ايضا اعدادا هائلة من الاقاليم . ففي خلال شهرين ارتفع عدد الذين يتقاضون منها اجرا - ولانقول الذين يعملون بها - من ٢٥٠٠٠ الى ٦٦٠٠٠ . ولم يعد من المستطاع توفير عمل يزيد على يومين فى الاسبوع ، فكان العاطلون ينالون فى سائر الايام منحة (سميت مرتب بظالة Salaire d'inactivite) قدرها فرنك واحد فى اليوم . ويبدو ان موافقة الحكومة المؤقتة على انشاء تلك الورش كان لامتنعاص العمال المتعطلين ولو مؤقتا حتى لا يصبحوا قوة فى يد لويس بلان يضرب بها الحكومة المؤقتة . فالمسؤول الذى اسندت اليه الحكومة الفرنسية مهمة الاشراف على الورش القومية كان معروفا بعدائه الشديد للويس بلان وللمبادئ الاشتراكية . وعلى أية حال سار تنفيذ المشروع فى اتجاه يتعارض تماما مع الاهداف التي نادى بها لويس بلان .

وفى ٤ مايو اجتمعت الجمعية الوطنية او التأسيسية
التي تم انتخابها بوساطة الاقتراع العام للرجال، لتضع
دستورا للبلاد . وقد بذلت شتى الجهود لكي تأتي الاغلبية
من الجمهوريين الا ان السواد الاعظم من الاعضاء كانوا
غير معروفى الميول ، وقد عبروا عن موقفهم من المسألة
الاجتماعية بانشاء حكومة تتألف من آراجو Arago
وجارنيير - باجس و لامارتين ، وليدرو - رولان ، ولكس
دون لوى بلان . فاقترحت مظاهرة شعبية كبرى مقر الجمعية
وحاولت حل الحكومة واقامة اخرى برئاسة لوى بلان ، ولكن
المحاولة باءت بالفشل ، وانسحب لوى بلان من الحياة
العامة منزويا فى منفاه . فما كان من الجمعية الا ان
انقلبت على الورش التي كانت ترى فيها الدعامة الكبرى
للمعارضة الاشتراكية ، وأغلقتها فى ٢٢ يونيو . ولكس
الحزب الاشتراكى قابل التحدى بمثله ، فنصبت المتاريس
فى شوارع باريس و أعلن الجمعية واعادة فتح الورش وكان
ذلك ايدانا بقيام حرب أهلية . وازاء ذلك منحت السلطة
المطلقة للجنرال كافينياك (Cavaignac) وبعد
اربعة أيام آلت السلطة على المدينة للجمعية من
جديد .

أصبح بوسع الجمعية الآن ان تستأنف مهمة وضع
الدستور ، وبدأت الجمعية عملها باصدار اعلان مبهم لحقوق

الانسان على الطريقة التقليدية الفرنسية ، ثم أقرت مبدأ الاقتراع العام او بالآخرى الاقتراع العام للبالغين من الرجال . ومنحت السلطة التشريعية لجمعية واحدة تشكل من ٧٥٠ نائبا . وبقي مستقبل فرنسا معلقا الى حد كبير على قرارها بشأن شكل الهيئة التنفيذية . واستبعدت فكرة اقامة ملكية او امبراطورية ، فقد أريد لفرنسا ان تكون جمهورية وان يكون لها رئيس . وبأغلبية ضخمة أعلنت الجمعية ان الرئيس يجب ان ينتخب بوساطة الاقتراع العام للرجال وان يشغل منصبه لمدة أربع سنوات دون ان تجوز إعادة انتخابه ، وسرمان ما أدى قرار الجمعية الى قيام الامبراطورية الثانية . وظهر ان ذلك الدستور وضع على غرار دستور الولايات المتحدة ، ولكن نسي واضعوه انه على حين تحد حقوق ولايات الاتحاد من سلطات رئيس الجمهورية في امريكا ، فان رئيس الجمهورية الفرنسية الجديد الذى حددت مدة رئاسته بأربع سنين ، على ألا يعاد انتخابه - سيكون سيد ادارة بيروقراطية تتدخل فى شؤون كل مدينة و كل قرية فى فرنسا .

وفى الاستفتاء الشعبى الذى عقد فى ١٠ ديسمبر ١٨٤٨ لانتخاب رئيس الجمهورية نال لويس بوناپرت (ابن ملك هولندا وابن اخ نابليون الاول) اكبر عدد من أصوات الناخبين . فقد أربى ما أحرزه من الاصوات على نيف واربعة

ملايين صوت اكثر مما أحرزه منافسائه فى الانتخاب : كافينياك
مخلص المجتمع الفرنسى من الشوايز الحمر ، ولامارتىــــن
خطيب الشعب ، فانه رغم التسعة والثلاثين عاما التى قضاها
لويس فى نفى زرى غير مجيد ، كان اسم بونابرت فى ذاته
كافيا لتجيبب الفرنسيين فيه وترغيبهم فى انتخابــــه .
فقد كان ذلك الاسم يعد فى كل كوخ و بيت فى أرجاء فرنسا
رمزا للنظام و القوة والسميت المجيد . وتولى لويس بونابرت
منصب رئيس الجمهورية فى ديسمبر ١٨٤٨ ، وحلف اليمين التالى
" اننى سوف اعتبر مدوا للوطن كل من يحاول بوسائل
غير مشروعة تغيير ما أقامته فرنسا " .

و منذ البداية واجه رئيس الجمهورية الجديد المتاعب
مع الجمعية التأسيسية التى كانت تخالفه فى السياسة
الخارجية ولاسيما فيما يتعلق بايطاليا . ولم يهون
من الامر شيئا يذكر اخلاء الجمعية التأسيسية (١٨٤٩)
مكانها للجمعية التشريعية التى تم انتخابها وفقا للدستور
الحديد . فقد تضاعل الجمهوريون المعتدلون الذين كانوا
يشغلون مقاعد الجمعية التأسيسية فباتوا يعدون على
الامابع فى الجمعية الجديدة . وظهرت جماعة بلغ عددها
١٨٠ من الجمهوريين الشوريين . اما اكبر حزب فكان " حزب
النظام " وقوامه الكاثوليك والملكيون الذين يرون فى
" اليسار المتطرف " الخطر الاكبر على مبادئهم وعلى

فرنسا . ورغم تمتع لويس بونابرت بتأييد شعبى كبير
فى فرنسا فلم يظهر أى أثر تقريبا لجذب بونابرتى فى
الجمعية .

وسرعان ماظهر الخلاف بين الجمعية والرئيس خصوصا
ان اغلبيه الاعضاء كانوا من الملكيين . وكان هؤلاء الملكيون
منشقين على انفسهم ، ففريق منهم - وهم الشرطيون - يرغب
فى عودة البوربون فى شخص الكونت دى شامبور Count de
Chambord بينما تطلع الفريق الآخر الى قيام ملكية
برأسها احد ابناء بيت اورليان . ولن يلبث هذا الخلاف
الواسع المدى ان يودى الى اقامة الامبراطورية كـمـا
سيؤدى فيما بعد الى قيام الجمهورية الثالثة . كان لويس
بونابرت يضع سيرة عمه نصب عينيه على الدوام ، و قد
أخذ كعمه يفكر كثيرا فى فرنسا ، و ان فكر اكثر فى نفسه
وفى المركز الذى ستمكنه الازمة من الفوز به لشخصه . ان مدة
السنوات الاربع المحددة لرياسته توشك ان تنتهى ، فهل
تراه يذهن للقانون فيبطله النسيان ؟ كان الدستور يسمح
بتعديل مواده اذا ما أقر التعديل ثلاثة أرباع أعضاء
الجمعية . وفى يوليو ١٨٥٠ ، نظرت الجمعية فى اقتراح
بالسماع للرئيس بالاستمرار فى منصبه لمدة أخرى ، فأيدته
الجمعية ب ٤٤٦ صوتا ضد ٢٧٠ . على ان هذه لم تكن

أغلبية الثلثة الأرباع المطلوبة . ولذلك فكر لويس بونابرت في حل الجمعية والجوء إلى الشعب ليصوت على دستور جديد يمنحه سلطات شخصية ضخمة .

وفي ٢ ديسمبر ١٨٥١ أعلن حل الجمعية وطرح دستور جديد على الشعب بأكمله ليبدئ فيه رأيه . وتم اجتياح قصر البوربون الذي كان مقرا للجمعية ، واعتقال عدد من أعضائها البارزين ، ومن هؤلاء تيير وكافينياك . وطرح الدستور الجديد على الناخبين وكان يقضى بما يلي :

- (١) يتولى الرئيس منصبه لمدة عشر سنوات وان يعين بنفسه جميع الوزراء .
- (٢) تشكيل مجلس للدولة يعينه الرئيس ومهمته إعداد القوانين .
- (٣) تأليف جمعية تشريعية بطريق الانتخاب العام للتصويت على القوانين والميزانية .
- (٤) تشكيل مجلس للشيوخ بطريق التعيين مهمته " السهر على الميثاق الاساسي والحريات العامة " .

وقد دعى جميع الناخبين في فرنسا للتصويت بعد اياها معدودة بـ " نعم " أو " لا " على القرار التالي : " يرغب الشعب في الإبقاء على سلطة نابليون بونابرت ويعهد اليه

اليه بالسلطات اللازمة لاقامة دستور على الاساس المقترح
 فى اعلانه الصادر فى ٢ ديسمبر " . وقد أيد الشعب
 الرئيس فى مهمته الجديدة تأييدا ساحقا . فقد صوت بالموافقة
 ٧٤٣٩٠٠٠ بينما لم يصوت بالرفض سوى ٦٤٠٠٠ . وهكذا
 أصبح لويس بونابرت رئيسا للجمهورية وفقا لتلك الشروط
 فى ٢١ ديسمبر ١٨٥١ . فلم يلبث ان استبدل لقب الامبراطور
 بلقب الرئيس ولما يمشى على ذلك التاريخ عام كامل . وقد
 جاء الاقتراح باسباغ لقب الامبراطور عليه وجعله لقبيا
 وراثيا لابنائه ، من مجلس الشيوخ الخاضع له . ثم طرح
 الاستفتاء العام وكانت النتيجة التى أعلنت ان ٧٨٢٤٠٠٠
 قد أيدوه ولم يعارضه سوى ٢٥٣٠٠٠ فقط ، فحكم نابليون
 على الفور بلقب " الامبراطور نابليون الثالث " ذلك ان
 ابن نابليون الدوق ريخستادت Duke of Reichstadt
 المتوفى عام ١٨٣٢ كان يعد فى نظر جميع أنصار الامبراطورية
 الغيورين " نابليون الثانى " رغم أنه مات دون أن يتوج .

الفصل الخامس

المسألة الشرقية وحرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦)

الفصل الخامس

المسألة الشرقية وحرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦)

تحتل حرب القرم مكانا فريدا في تاريخ أوروبا في
العصر الحديث، وذلك لعدة أسباب :

(١) ان إنجلترا خاضت حربا مختلفة دفاعا عن مصالحها
و تحقيقا لمطامع توسعية، ولكن هذه الحرب دخلتها
إنجلترا دفاعا عن كيان الامبراطورية العثمانية
وانفقت فيها الكثير من الاموال وضحت بأعداد كبيرة
من جنودها دون أن تحقق شيئا.

(٢) ان هذه الحرب هي آخر الحروب الأوروبية التي اتبعت
فيها أساليب الحرب القديمة، فرغم وقوعها في منتصف
القرن التاسع عشر، وفي وقت عرفت فيه أوروبا
بعض الأساليب الحربية الحديثة، إلا ان هذه الحرب
ظلت بعيدة كل البعد عن تلك الأساليب.

(٣) ان حرب القرم قامت لسبب ديني ظاهر، رغم انتهائ
الحروب الصليبية وعهد الحروب الصليبية منذ أمد
غير قريب.

وحرب القرم مرحلة من مراحل المسألة الشرقية التي
بدأت في الظهور حين أخذت موجة الفتح العثماني في الانسحاب،
وأخذ العثمانيون يتقهقرون تدريجيا من ولاياتهم المتطرفة
و خاصة من أواسط أوروبا. وترجع الأسباب التي أدت إلى

ضعف الامبراطورية العثمانية الى ظروف داخلية ، واخرى خارجية لاتقل عنها اهمية . ومن اهم العوامل الخارجية ظهور النمسا والروسيا كدولتين حديثتين مهاجمتين متوسعتين ، فلقد غدت هاتان الدولتان فى حالة حرب تكاد لاتنقطع مع الدولة العثمانية ، حتى استنفذت قوة الامبراطورية العثمانية وحيويتها . وبدأت المسألة الشرقية تتور بشكل واضح فى الربع الاخير للقرن الثامن عشر ، حين اضطرت الامبراطورية العثمانية امام الضغط الروسى والنمساوى الى الاعتراف بنفوذ الروس فى شمال البحر الاسود ، وبسيطرة الهابسبرج على وسط اوروبا . ولم ينقذ الامبراطورية العثمانية حقيقة من هذوتينها الكبيرتين روسيا والنمسا الا بظهور روح المنافسة بينهما . فالدولة النمساوية بصفة عامة بعد ان استرجعت المجر من الامبراطورية العثمانية وآمنت حدودها فى حوض نهـر الدانوب من ناحية العثمانيين اخذت تلحظ بعين القلق ، تقدم النفوذ الروسى فى البحر الاسود ، وخاصة فى بولونيا وأخذت تخشى بعض الشئ من هلات الجنس المقلبي التى تربط بين روسيا وبين شعوب البلقان القلبية ، وسرعان ما شغلت بحروبها مع بروسيا ثم مع الثورة الفرنسية ونابليون فى غرب اوروبا وفى الميدان الايطالى ، فاضطرت ان تغادر بصفة عامة سياسة العداء بازاء الدولة العثمانية .

وبحكم اعتناق الروسيا للمذهب الارثوذكسى المسيحى الشرقى كانت ترى نفسها وريثة للدولة البيزنطية، ويحلم قيصرتها بذلك اليوم الذى يستطيعون فيه دخول القسطنطينية . وكانت مصالحها الجغرافية و المادية الاستراتيجية تقضى بضرورة تحديد علاقاتها بالدولة التى تسيطر على المضائق (البوسفور والدردنيل) ، أما عن طريق القضاء عليها ، او السيطرة عليها ، او على الاقل ضمان حرية المرور فى كل الاوقات لسفنها التجارية والحربية واغلاق هذه الممرات امام سفن أعداء الروسيا وكانت سياسة الروسيا بصفة عامة فى القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر العمل على انحلال الدولة العثمانية ، وتشجيع شعوبها البلقانية على الاستقلال عنها وانتزاع مايمكن انتزاعه من ممتلكاتها . وحاولت روسيا فى العشرينات من القرن التاسع عشر مساعدة اليونان الارثوذكس فى ثورتهم ضد الامبراطورية العثمانية ، ولذلك وضعت انجلترا سياستها التقليدية بالنسبة للامبراطورية العثمانية وهى تتلخص فى مبدأ المحافظة على كيان تلك الامبراطورية .

وأثناء الصراع بين محمد على والسلطان تدخل القيصر الروس نيكولاس لنجدة السلطان ضد محمد على بعد موقعة

قانونية ومقدمة معاهدة اونكيار سكلسى . وهكذا تفوق النفوذ
الروسي في القسطنطينية في عام ١٨٣٣ . واحتج بامستون
وزير خارجية انجلترا على معاهدة اونكيار سكلسى
ووقف بالمرصاد امام محمد على ، وأوضح له ان انجلترا
ستقف ضده اذا قامت حرب بينه وبين السلطان . وكان
الدافع الاكبر لبامستون في الازمة المعبرية هو مصالح
انجلترا في الشرق . ولقد احتجت انجلترا وفرنسا على
هذه المعاهدة التي كانت تعتقد فيها الدولتان تدميرا
لاستقلال الدولة العثمانية وبسطا لحماية روسيا عليهما .
ومنذ الوقت الذي عقدت فيه روسيا المعاهدة مع الدولة
العثمانية زاد حقد بامستون على روسيا وزاد شكه في
سياستها . ولم تكن صداقة روسيا لانجلترا في عام ١٨٣٩
لتعنى ان انجلترا تخلت عن سياستها وانما الذي حدث
ان روسيا في هذه السنة حاولت العمل على محاملة انجلترا
وتأييدها في سياستها في وقف محمد على عند حده . هذا
في الوقت الذي تخلت فيه فرنسا عن انجلترا وأيدت مطالب
محمد على الاستقلالية . ونجح بامستون في ان تعقد الدول
الكبرى اتفاقا في ١٣ يوليو ١٨٤١ ينص على تعهد هذه
الدول والسلطان بعدم السماح لأية سفن حربية تابعة لدول
اجنبية من دخول مضيق البوسفور والدردنيل ، وبذلك قضت
انجلترا على معاهدة اونكيار سكلسى السرية .

وفى ذلك الوقت بدأ القيصر الروسى يتقرب الى انجلترا ويوضح لها بأن الدولة العثمانية مشرفة على السقوط وان الاجدر بهما ان يتفقا سويا على تقسيم ممتلكاتها فيما بينهما فتأخذ انجلترا مصر وكريت وتأخذ روسيا القسطنطينية . ولكن هذا العرض لم يجد قبولا لدى انجلترا فى ذلك الوقت لاهتناقها مبدأ المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، ولخشيتها من اقتراب الروسيا من شواطئ البحر المتوسط وما يحمله من احتمال تهديد قوات الروسيــــــــــــا للأسطول الانجليزى فى هذا البحر . واذا كانت انحلتـــــــــــــرا لم تقبل العرض الروسى فى ذلك الوقت فقد اضطرتهـــــــــــــا الظروف فى الحرب العالمية الاولى الى التسليم بوجهة النظر الروسية فى معاهدة سايكس- بيكو عام ١٩١٦.

قامت حرب القرم بسبب النزاع بين فرنسا وروسيا
على امور تتعلق بالاراضى المقدسة فى فلسطين . ومسألة
الاراضى المقدسة قديمة العهد . فلقد أقر سلاطين آل عثمان
فى الامتيازات التى منحوها لملوك فرنسا منذ القرن السادس
عشر حق بعض الرهبان الكاثوليك فى القدس و الناصرة
وبيت لحم فى انشاء الكنائس والاديرة . وأعطت معاهدة
كوتشك فينارجة الموقعة بين السلطان عبد الحميد الاول
والقيصرية كاترين فى عام ١٧٧٤ الارثوذكس فى الاماكن

المقدسة مثل الحقوق الممنوحة سابقا للكاثوليك، واعترف فيها السلطان لروسيا بامتيازات دينية لا يستهان بها. وتآزمت العلاقات بين الرهبان الكاثوليك والارثوذكس في عام ١٨٤٨ لاختفاء نجمة من الفضة تحمل عبارات لاتينية من هيكل يرمز الارثوذكس في المغارة التي ولد فيها السيد المسيح. فاتهم الكاثوليك الارثوذكس بأنهم أتلفوها ليمحوا آخر أثر يثبت ان الهيكل كان سابقا في أيديهم، واتهم الارثوذكس الكاثوليك بأنهم سرقوها ليشيروا خلافا بين الطائفتين ويعملوا على استعادة نفوذهم في الهيكل. وفي مايو ١٨٥٠ قدمت الحكومة الفرنسية مذكرة الى الباب العالي تطالب للرهبان الكاثوليك بحقوق امتلاك الاماكن المقدسة عملا بمعاهدة عام ١٧٤٠ بين السلطان محمود الاول ولويس الخامس عشر.

وفي بادئ الامر، لاذ الباب العالي بالصمت امام هذا النزاع، ولكن توالي الضغط عليه واستمرار التهديد تارة من جانب الروس وتارة من جانب الفرنسيين أخرجاه على كره منه من موقف السكوت، فشكل لجنة لتحديد الامتيازات الفرنسية الممنوحة في معاهدة ١٧٤٠ والامتيازات الروسية المقررة في معاهدة كوتشك قينارجة ولكن حلت هذه اللجنة وتشكلت لجنة أخرى لدراسة الموضوع. وبينما

كانت اللجنة تواصل عملها ، كانت هناك تطورات اخرى تجرى
 فى فرنسا وانتهت بتنصيب لويس بونابرت امبراطورا على
 الفرنسيين باسم نابليون الثالث . وتوترت أعصاب القيصر
 نقولا الاول لأن نابليون الثالث سليل بيت كان مؤسس مجده
 العدو الاليد لروسيا ، ولأنه خشى ان يقلب النظام المنبثق
 من مؤتمر فيينا كما قلب دستور بلاده . ولم يعترف به
 اعترافا صحيحا ورفض ان يقال عنه فى المراسلات السياسية
 الروسية الى الحكومة الفرنسية الا " الامبراطور لويس
 نابليون " وكلما أتى فى احاديثه على ذكره يقول انه
 دخیل لايمت بملء الى ملوك اوروباء .

وكان نابليون الثالث شديد الاعتداد بنفسه متكبرا ،
 فكظم غيظه وانتظر الفرصة الملائمة للانتقام لكرامته
 وتأديب الثائرين عليه فى الخارج و الداخل . و كان الخلاف
 على الاراضى المقدسة تلك الفرصة ، فقرر استغلالها على
 الوجه الذى يعلى شأنه ويرفع اسمه ويكسب عطف الاوساط
 الكاثوليكية المعارضة . كان نابليون الثالث يفكر فى
 حرب تنتصر فيها جيوشه فيفرض نفسه على اوروباء ، وشعر
 بسمارك بهذا الشعور وقال لاهوانه : " ان امبراطور
 الفرنسيين لاغنى له عن الحرب ، وهى ضرورية له ليمسرف
 اليها تفكير شعبه ويهيئ لنفسه السيطرة على اوروباء

وعلى أية حال لم يكن القيصر الروسى أقل من نابليون
الثالث ميلا الى الاستعداد للحرب .

وفى أواخر يناير ١٨٥٢ أصدرت اللجنة العثمانية قرارا
يرضى الى حد كبير مطالب القيصر والارثوذكس ويمنح
الكاثوليك (اللاتين) حقاً فى اضاءة شمعاً فى هيكل السيدة
الغذراء ، وكان هذا الهيكل فى يد الارثوذكس ولم يكن
للكاثوليك فى بيت المقدس أى حق فيه ، وبأن يكون فى
يدهم مفتاح لحد ابواب كنيسة بيت لحم . واحتجت فرنسا
بينما قبلت روسيا القرار و طلبت اصدار فرمان سلطانى
به ، فصدر فرمان فى ٨ فبراير ١٨٥٢ . فجدد لافاليت
La Valette السفير الفرنسى فى استانبول احتجاجه ، وحاول
الباب العالى ارضاء الفريقين معا فأرسل مذكرة الى
لافاليت يؤكد فيها تمسك الدولة العثمانية بمعاهدة ١٧٤٠
وحرصها على احترام حقوق الرهبان الكاثوليك فى الاماكن
المقدسة . ولكن طلب القيصر الروسى الغاء اعتراف الباب
العالى باستمرار معاهدة ١٧٤٠ ، فرد الباب العالى طلبه
فتأثلا ان الاعتراف وهدمه من الشؤون العثمانية التى لا كلمة
فيها لدولة أجنبية وأنه يعجب كل العجب لتدخل القيصر
الروسى فى امور لاشأن له فيها لأنها تتعلق بسيادة السلطان
وحريته المطلقة فى حكم رعاياه . فأغضب هذا الرد

القيصر ، وقرر امام موقف فرنسا القوي فيما يختص بحقوقها
 فى الاراضى المقدسة ، القيام بمناورات حربية على الحدود
 العثمانية ، وارسال بعثة منشكوف *Menschikov*
 للاستانة لانتزاع معاهدة جديدة لاتقل فى اهميتها عن
 معاهدة اونكيار سكلسي .

وصل منشكوف الى الاستانة فى ٩ مارس ١٨٥٣ على
 سفينة حربية ومعه عدد كبير من الدبلوماسيين والعسكريين
 وكان القيصر يعتقد ان ضخامة الوفد المفاوض ستحدث أثرا
 عميقا فى نفوس العثمانيين . وفى تعليمات القيصر
 لمنشكوف ، بين القيصر ان ليس له مطامع شخصية فى الدولة
 العثمانية ، وانما يريد تحقيق مطالب رعاياه . أرسل
 القيصر منشكوف فى بعثة سليمة فى الظاهر ، ولكن كان
 الغرض منها هو تهديد السلطان حتى لا يستجيب لمطالب
 فرنسا . وكان القيصر يريد فرض حماية روسيا على رعايا
 السلطان الارثوذكس . وهكذا تلخعت مهمة منشكوف - الذى
 لم يتعف بالكياسة واللياقة - فى انتزاع فرمان من
 الباب العالي بارجاع الحالة فى الاراضى المقدسة الى
 ماكانت عليه قبل فبراير ١٨٥٢ ، وأخذ فرمان آخر أو "سند"
 بتأكيد حقوق الرعايا الارثوذكس ، وحماية الروسى لهم
 وفى حالة اعتراض فرنسا او تهديدها للباب العالي يعقد
 منشكوف مع الدولة العثمانية معاهدة دفاعية سرية .

كان منشكوف رجلا متكبرا متغطرسا يرمى قبيل كل شيء الى اذلال وزراء السلطان ولذا وحده من مهمته العمل على طرد فؤاد افندى من وزارة الخارجية، فكسان هذا امتهانا واضحا للسلطان والوزراء وللحكومة العثمانية . وكان لاستقالة فؤاد افندى واستهتار الوفد الروسى بالدولة والسلطان أثر سيء فى نفوس العثمانيين وفند حكومتى انجلترا وفرنسا ، فاعتبرت ذلك مدممة عنيفة للسياسة الغربية ودليلا على أن الباب العالي منحرف حتما الى جانب الروس ، وان مهمة منشكوف تنتهى بفوز يفوق الفوز الذى سجله اورلوف Orlov فى مفاوضاته فى اونكيار سكلسي عام ١٨٣٣ ، فطلب اللورد كلارندون Clarendon وزير خارجية انجلترا - من سفيره فى الاستانة سير ستراتفورد دى رد كلف Stratford de Redcliffe ان يقطع اجازته فى لندن ويعود حالا الى مقر عمله ، لاحتباط المفاوضات بكل وسيلة ومهما كلفه الامر . ومن ناحية اخرى طلبت فرنسا الى قائد اسطولها فى البحر المتوسط ان يرسل بعض وحداته الى الميــــــــاه العثمانية . ونشطت الحكومتان لعزل روسيا بعد تأكدهما ان الغاية الحقيقية لمهمة منشكوف هى تحويل قضية الاماكن المقدسة من خلاف مذهبى بين الرهبان اللاتين والارثوذكس الى أزمة سياسية تفيد منها حكومة القيصر

للاجهاز على الامبراطورية العثمانية ، او على الاقل لكسب امتيازات جديدة فيها .

وبينما كانت الحكومتان الانجليزية والفرنسية تتشاوران في الامر ، كان منشكوف وقد زاده انتصاره على فولاد افندى غطرسه واستكبارا ، يجمع حوله مساعديه ورجال السفارة ويتدارس معهم نصوص مذكراته الى الباب العالي وفي ١٦ مارس قدم الى السلطان مذكرة أتبعها بأخـرى في ٢٢ من نفس الشهر طلب فيهما بالحاج انهاء مسألة الاراضى المقدسة على وجه يضمن استمرار حقوق الارثوذكس ويضع حدا لتعدييات اللاتين ، وسحب مفتاح كنيسة بيت لحم من هؤلاء ووضع قبر السيدة العذراء في ذمة الروم وحدهم واعطاءهم حرية ترميم قبة كنيسة القيامة . وعلى اية حال شجع السفير الانجليزى في الاستانة الوزراء العثمانيين على الوقوف في وجه المطامع الروسية مؤكدا لهم ان انجلترا لن تتركهم وحدهم ، وشرحت الحكومة البريطانية لفرنسا حقيقة أهداف بعثة منشكوف . فاقنعت فرنسا بوجهة نظر الحكومة البريطانية وبضرورة التساهل في مشكلة بيت المقدس وبيت لحم لتضييع على الروس كل حجة للانتقال من الخلاف المذهبى الى مشكلة سياسية .

ونزولا على رغبة انحلترا وعملا بنهيتها ، قبلت
 حكومة الباب العالي القسم الاكبر من المطالب الواردة في
 المذكرتين الروسيتين المؤرختين في ١٦ و ٢٢ مارس . و في ٤ مايو
 ١٨٥٣ أصدر السلطان العثماني فرمانا جديدا بحل الازمة العثمانية
 الوجه الذي اراده المبعوث الروسي . ووافق سفير النمسا
 وفرنسا في الاستانة على ما جاء في فرمان احتشادا عندهما ان ذلك
 سيفتح الباب في القريب العاجل لمطالب جديدة يتقدم بها منشكوف
 فتكشف عن حقيقة مهمته وخفايا السياسة الروسية في الامبراطورية
 العثمانية . و فعلا جاءت تطورات جديدة لوجهة نظرا الانجليز ،
 فبعد ان وافقت الحكومة العثمانية على مطالب منشكوف ، تقدم
 الى الباب العالي مذكرة جديدة طلب فيها اعلان استقلال الجبل
 الاسود Herzegovina . وعزل وزير الحرب الذي كانت روسيا
 تعتبره خيما لسياستهما . وبعد مناقشة هذه المذكرة الجديدة
 مع السفير الانجليزي ، كتب الباب العالي الى منشكوف يقبل
 له ان ما طلبه اعتداء على حقوق السلطان وتدخل سريحا في شؤون
 الدولة و خروجها عن مهمته التي انتهت بصور فرمان ٤ مايو ،
 وأخبره الباب العالي ان المشاكل البلقانية لها حلول أخرى
 منها ما هو من شؤون السلطان الخاصة ومنها ما يتعلق بالتوازن
 الاوروبي ، وان الباب العالي لن يقدم على أي تغيير في الاوضاع
 الراهنة في البلقان الا بعد أخذ رأي الدول الاوروبية الاخرى
 وموافقتها .

جاء هذا الرد مدمة لمنشكوف ، فغضب وأرسل فى اليوم
التالى (٥ مايو ١٨٥٣) الى الباب العالى مشروع معاهدة
على غرار معاهدة اونكيار سكلى وأرفقه بمذكرة لها صفة
الانذار قال فيها انه لايعتبر فرمان ٤ مايو كافيا ، وطلب
الاعتراف لروسيا بحماية الارثوذكس حماية تامة مطلقة
غير مقيدة بشرط ، وأعطى الحكومة العثمانية مهلة للرد
على مذكرته تنتهى فى ١٠ مايو ، يكون بعدها لسيده القيصر
ان يتصرف كما يشاء للقيام بواجبه وتأمين مصالحه . واعتمد
السلطان على رفض الدولتين انجلترا وفرنسا ، ان تجاب
روسيا الى طلبها ، وأخبر رئيس الديوان منشكوف قبل نهاية
مدة الانذار " انه لايعتقد ان السلطان مستعد لتوقيع
أى معاهدة تنال من استقلاله وتحد من سلطته الشرعية على
رعاياه . اما الروم الارثوذكس فانهم فى ظل السلطان
يتمتعون بحرياتهم كاملة واذا أردت دليلا على هذا فـان
التظاهرات الواسعة التى قام بها الارثوذكس احتفاء بك يوم
وصولك الى الاستانة بدون ان تمس حريتهم بأقل سوء . أنصح
الادلة وأصدقها " . وحدد الديوان لمنشكوف موعدا فى ١٣ مايو
أى بعد انقضاء المهلة بثلاثة ايام لمقابلة السلطان
وتسلم الرد على مذكرته . وفى ذلك اليوم توفت السلطانة
الوالدة ، فطلب الديوان من منشكوف تأجيل المقابلة الى
يوم آخر ، ولكنه أمر على المقابلة فى موعدا فاستاء

السلطان كثيرا وأصدر في الحال أمرا بإقالة الوزراء جميعا واسناد الإدارة العظمى الى رشيد باشا، وأدخل في الوزارة أشد الساسة العثمانيين هذا لروسيا. وفي ١٧ مايو بلغ منشكوف قرارا من مجلس الوزراء الجديد وهيئة العلماء برفض المطالب الروسية ورد انذار ٥ مايو ١٨٥٣.

وهنا تدخل سفير النمسا، وأشار على منشكوف ان يسحب انذاره ويستعيز من المطالبة بمعاهدة جديدة بطلب " مذكرة دبلوماسية لها صفة الالتزام " يتعهد فيها السلطان بمنح بعض الامتيازات للروس في الاماكن المقدسة. ونزولا على نصيحة السفير النمساوي، قدم منشكوف مذكرة جديدة بهذا المعنى ولكنه ختمها بقوله " ان رفض الباب العالي قبول هذا الطلب يعتبره جلالة القيصر عملا عداويا لروسيا ولدينها " ولكن سفيرى انجلترا وفرنسا شجعوا الباب العالي على رفض المذكرة الجديدة، فردها الباب العالي. فما كان من منشكوف الا ان غادر الاستانة وهو واهضاء وفده وحاشيته والسفير الروس ليلة ٢٢/٢١ مايو وكان اخفاق مهمة منشكوف نقطة تحول في السياسة الأوروبية في الشرق ولطمة منيفة لكبرياء نيقولا الاول.

كان انسحاب منشكوف من الاستانة خطوة خطيرة الشأن، فقرر القيصر ان يضع اوروبا امام الامر الواقع بعميل عسكري سريخ فأذاع على شعبه في الكنائس في اواخر يونيو ١٨٥٣ نداء " لحرب صليبية ضد الامبراطورية العثمانية ختمه بأن " على الروس ان يعتمدوا على الله في الدفاع عن الدين الارثوذكسي " وفي يوليو ١٨٥٣ عبر جيش روسي نهر بروت واختل مولدافيا وولاشيا (ولايتي الدانوب) وكانت اوساط البلاط الروسي مقتنعة بأن هذا العنف سيبلغ روسيا أهدافها في مدة قصيرة جدا بدون أن يكون له رد فعل دولي . وكان اقتناعها هذا قائما على ان الجيش العثماني ضعيف وان اتفاق انجلترا وفرنسا ضد روسيا من الامور المستحيلة ، وان بروسيا والنمسا لن تحيدا عن واجب الولاء للقيصر الروسي لما بينهما وبينه من روابط القربى . ولكن هذه الاسس التي ركز عليها القيصر سياسته كانت وهمية ، ولم يكن صحيحا منها غير الاساس الاول ، أي ضعف الجيش العثماني .

حاولت النمسا تهدئة الوضع وجمع الكونت بول (Poul) رئيس وزرائها - سفراء الدول الموقعة على معاهدة ١٣ يوليو ١٨٤١ لتسوية الخلافات بين روسيا والدولة العثمانية وتم الاتفاق على وضع مذكرة مبهمه الميغنة وأرسلوها الى

روسيا و الدولة العثمانية ليوقع عليها الطرفان. واشتملت
المذكرة على فقرتين اعتقد المجتمعون ان فيهما حـل
للخلاف وهما :

(١) ان اباطرة روسيا قد أضفوا في كل العهود والأزمان
عطفهم على الكنيسة الارثوذكسية وكانوا دائماً
حريصين على استمرار مالاتباعها من امتيازات وحصانات
في الامبراطورية العثمانية ، كما ان السلاطين لم
يـمتنعوا عن تثبيت هذه الحصانات و الامتيازات في
وثائق رسمية ، تدل على استمساكهم بسياسة الحنو
و العطف على رعاياهم المسيحيين .

(٢) " ان حكومة جلالة السلطان ستبقى أمينة على روح ونص
المواد الواردة في معاهدتي كوتشك قينارجة وادرنة
من حماية الدين المسيحي ، وعلاوة على هذا فانها
تتعهد بالسماح للمذهب الارثوذكسي ، ضمن نطاق العدالة
بأن يفيد من الامتيازات المعطاة للمذاهب المسيحية
الآخري في معاهدات او في فرمانات خاصة .

وقبل القیـمـر نص المذكرة وأبدى استعدادده للتوقيع

محتفظا بحق التفسير ، ولكن الباب العالي رفضها في ٢٠
أغسطس ١٨٥٣ ، وقدم مذكرة عثمانية رفضها الروس . وهكذا
أخفق مؤتمر السفراء في فيينا وتدهورت الاوضاع و انتشر

شبح الحرب، وبدأت الدول استعداداتها العسكرية . وفى ٢٠ سبتمبر أرسل الباب العالي الى روسيا انذارا بالانسحاب من ولايتى الدانوب فى مدة لاتزيد عن ١٥ يوما . وفى ٣٠ سبتمبر طلب الباب العالي من انجلترا وفرنسا ان تأمرا الاسطولين الانجليزى والفرنسى الراسيين عند الدردنيل بالتقدم الى مياه الاستانة ، فأجابته الحكومتان الى طلبه الانسحاب وعبر الاسطولان المضيق . ورفض الروس الانسحاب من ولايتى الدانوب ، فلما انتهت مهلة الانذار أعلن الباب العالي الحرب على روسيا فى ٤ اكتوبر ١٨٥٣ واضعا انجلترا وفرنسا امام الامر الواقع وتاركا لهما حرية الاختيار فى ضوء مصالحهما بين أن تنصراه وتدافعا عنه فيتم لهما القضاء على روسيا و التحرر من كابوسها أو أن يتركاه وحيثا فى الميدان يلتهمه الجيش الروسى لقمة سائغة فيسيطر على الشرق سيطرة كاملة .

لم يكن اذن بد من الحرب بعد ان هاجم عمر باشا قوات الروس فى ولايتى الدانوب ، وبدأت الحرب فعلا فى ٢٣ اكتوبر . وفى هذا الشهر نفسه ، كانت الوزارة الانجليزية منقسمة على نفسها ، فلقد كان الخوف شديدا من جانب بعض الوزراء ، من دخول الحرب ، او احراج القيصر الروسى وكان على رأس هؤلاء الخائفين الوزير ابرديين

وعلى رأس المطالبين بالحرب بامستون ورسيل،
وأخذ نفوذ ابردين يتضاءل بسرعة أمام
نفوذ هذين الوزيرين . ولقد حاول استراتفورد
دي ردكليف في الاستانة محاولة أخيرة للمحافظة على السلام
وذلك بناء على أوامر حكومته فلم يفلح ، وجاء الوفد
من جانب العثمانيين ، فلم يكونوا مستعدين لقبول السلم
بأي ثمن وخاصة بعد أن كسبت جيوشهم انتصارات على الجيوش
الروسية في أواخر شهر نوفمبر .

وكان القيصر الروسي نيقولا قد أعلن أنه لن يهاجم
العثمانيين إلا إذا هاجموا قواته ، ولكن قوة بحرية روسية
كبيرة قابلت قوة بحرية تركية صغيرة عند سينوب ودمرتها ،
فأشارت هذه الكارثة عاصفة من السخط في إنجلترا ضد
روسيا . ففي إنجلترا أطلق على تلك الموقعة Massacre
of Sinope ورأى استراتفورد دي ردكليف ضرورة دخول
الأساطيل الإنجليزية والفرنسية البحر الأسود لوضع حد
لاعتداءات وحركات الأسطول الروسي ، واستقال بامستون
من الوزارة ، واضطرت إنجلترا أن تعلن للقيصر الروسي بأنه
إذا عبرت جيوشه الدانوب ستدخل إنجلترا الحرب ضد روسيا ،
وأرسلت الحكومة الإنجليزية تعليمات واضحة إلى أسطولها
في المياة التركية بحصار الأسطول الروسي . ورأى نابليون

الثالث ان لامناص من تطهير البحر الاسود من السفن الروسية الحربية وان فرنسا مستعدة للقيام بهذه المهمة وحدها فخشيت الحكومة الانجليزية ان تنفعل عن فرنسا، وخشيت سيطرة فرنسا على البحر . وحين سمعت الحكومة الانجليزية على اتخاذ خطة حاسمة في ٢٤ ديسمبر ١٨٥٣ عاد بامستون الى الوزارة .

وحتى لاتقع كارثة الحرب ، أسرع بول - رئيس وزراء النمسا الى عقد مؤتمر في فيينا من سفراء الدول الكبرى ماعدا روسيا ، وقرروا في ١٣ يناير ١٨٥٤ وضع مذكرة في شكل بروتوكول كان لستراتفورد رد كلف اليد الطولى في صياغتها ، تطلب انسحاب الجيوش الروسية من مواقعها وتعهد الباب العالي لقاء هذا الانسحاب بمبايلي :

(١) تبقى المعاهدات السابقة بين روسيا والدولة العثمانية سارية المفعول الى ان يتم بين الفريقين اتفاق جديد على اساسها .

(٢) يمنح النمسا في الامبراطورية العثمانية امتيازات جديدة ، ويصدر السلطان قانونا اصلاحيا فيما يتعلق بأوضاعهم .

(٣) تجديد معاهدة ١٨٤١ .

وكلف المؤتمر الحكومة النمسية تقديم هذه المذكرة الى حكومتى روسيا و الدولة العثمانية . وقبل ان تصل المذكرة الى الدولتين كان القيصر ردا على دخيــــــــــــــول الاسطوليين الى البحر الاسود ، قد أمر بسحب سفيرية من لندن وباريس فردت حكومتا انجلترا وفرنسا على عمله بالمثل .

و فى ١٢ مارس ١٨٥٤ عقدت انجلترا وفرنسا معاهدة مع الباب العالى تعهدت فيها الحكومتان " بتقديم المساعدة العسكرية للباب العالى للمحافظة على استقلاله ووحدة بلاده ورد الجيوش الروسية التى اجتاحت بدون حق ممتلكاته البلقانية " . وتعهد السلطان من جهته " بأن لايعقــــــــــــد أى صلح او هدنة ولايقوم بأى مفاوضة مباشرة او غيرمباشرة مع الجانب الروسى بدون علم الحكومتين وموافقتهمــــــــــــــا وعقب توقيع هذه المعاهدة أرسلت الدولتان انذارا الى روسيا باجلاء جيوشها عن ولايتى الدانوب قبل ٣٠ ابريل ١٨٥٤ وردت روسيا برفض الانذار ، فأعلنت انجلترا وفرنسا الحرب على روسيا فى ٢٧ مارس ١٨٥٤ ، واتبعنا هذا الاعلان فى ١٠ ابريل بتوقيع معاهدة ثنائية بينهما تحدد شــــــــــــروط وأساليب التعاون العسكرى برا وبحرا لارغام روسيا على الاتسحاب من الاراضى العثمانية . وكان أهم ما فى هذه المعاهدة من الناحية السياسية المادة السادسة التى

تعطى الدول الأوروبية الاخرى حق الانضمام اليها، وقد أريد بها ترك الباب مفتوحا امام النمسا وبروسيا للانضمام الى الحلفاء، ولكن هاتين الدولتين قررتا الوقوف على الحياد ومقدتتا في ٢٠ ابريل معاهدة دفاع مشترك بينهما اكدتا فيها عزمهما على مقاومة كل جيش يقترب من الاراضى القريبة من حدودهما فى البلقان، او ينزل على السواحل المتاخمة لبلادهما.

واضطرت القيادة الانجليزية - الفرنسية الى تعديل بعض خططها، فلم تنزل قواتها على السواحل البلقانية بل وجهت جيشا الى شبه جزيرة غاليبولى لحماية الاستانة، وأنزلت جيشا آخر فى بيريه، ميناء أثينا، لتجميعه فى اليونان، وقابل القيصر نزول الحملتين العسكريتين فى غاليبولى و بيريه بهجوم شديد على خطوط العثمانيين. فقطعت جيوشه نهر الدانوب وهزمت جيش عمر باشا فى معركة دامية فتحت امامها طريق الاستانة. وفى ٢ يونيو أرسلت النمسا الى روسيا مذكرة تحتج فيها على دخول الجيش الروسى الى قلب البلقان وقطعه نهر الدانوب و تطالب " بسحب الجيش فورا الى مواقعه السابقة والا اضطرت الى اخراجه بالقوة " . وهنا قرر القيصر معالجة الامر حتى يفوت على انجلترا وفرنسا فرصة انضمام النمسا الى معاهدتهما

الثنائية ، ومدرت الاوامر الى قائد الجيش بوقف التقدم
نحو الاستانة والعودة الى ماوراء نهر بروث +

وفى ٨ اغسطس ١٨٥٤ وضعت انجلترا وفرنسا والنمسا
بناء على اقتراح من نابليون الثالث مذكرة عرفت باسم
" مذكرة الضمانات الاربع " خلاصتها ان السلام لا يمكن
ان يعود الى اوروبا الا اذا توافرت له الشروط التالية :

- (١) وضع ضمان اوروبى لولايتى الدانوب محل حماية روسيا
لهما +
- (٢) تقرير حرية الملاحة فى نهر الدانوب
- (٣) اعادة النظر فى اتفاقية المضائق (١٣ يوليو ١٨٤١)
لمالح توازن القوى فى اوروبا +
- (٤) ترك الروس ادعائهم حق حماية الرعايا المسيحيين
للدولة العثمانية ، وبدلا من هذا تأخذ دول اوروبا
وعدا من السلطان بتحسين حالة رعاياه المسيحيين .

وسلمت هذه المذكرة لجورتشاكوف سفير روسيا فى فيينا
ليرسلها الى حكومته واعطى ١٥ يوما للموافقة عليها
او رفضها + ورد جورتشاكوف قائلًا : " اذا كنت قد قبلت
فيما مضى معاهدة للملح فيها اكثر من تضحية فى سبيل
السلام فاننى لن اقبل اليوم بأى شئ أجدر فيه انقاصا

من كرامة حكومتى وشرف وطنى " ونتيجة لهذا الموقف الحازم انزل الحلفاء جيوشهم فى شبه جزيرة القرم فى ١٤ سبتمبر لمحاصرة سياستبول وتدميرها واجبار القيصر على قبول الضمانات الاربع .

وبدأت المعارك عند سياستبول ، واستبسل الروس فى الدفاع من معاقلهم ، وفى ٣٠ سبتمبر انتصر الفرنسيون على الروس فى موقعة ألما (Alma) ولكنهم دفعوا ثمن النصر غاليا ، فقل عتادهم وزادهم وكثر عدد مرضاهم فطلبت قيادتهم نجدة سريعة من باريس ، فاتفقت الحكومتان الانجليزية والفرنسية على الاستعانة بالنمسا واقرحتا عليها الدخول فى الحرب الى جانبهما لقاء اعترافهما لها بمركز ممتاز فى البلقان ، فقبلت النمسا وقررت ارسال فرقة من جيشها الى الجبهة والسماح للجيش الفرنسى بعبور اراضيها الى الحدود الروسية ، فعارضت بروسييا ، واحتجت لان هذا التصرف مخالف لمعاهدة ٢٠ ابريل ١٨٥٤

الثنائية بينها وبين النمسا . وفى هذا الوقت كانت حكومة سردينيا ترقب تطورات الازمة ، ورأى رئيس وزرائها كافور الفرصة سانحة لدخول بلده الصغير فى " التضامن الاوروبى " فيخطو الخطوة الاولى نحو طرد النمسا من لمبارديا والبندقية وتحقيق الوحدة الايطالية . وأخبر انجلترا وفرنسا ان بلاده مستعدة للاشتراك معهما فى الحرب وامداد

جبهة القرم بما تحتاج اليه من رجال وعتاد. وعندما علمت النمسا بالمفاوضات الدائرة بين انجلترا وفرنسا وسردينيا اقترح بول على انجلترا وفرنسا في ٢ ديسمبر عقد معاهدة على اساس " مذكرة الضمانات الاربع " تتعهد فيها حكومته بعدم التفاوض منفردة مع الروس في كل ما يخالف هذا الاساس . وأدرك القيصر ان النصر في القرم لن يكون حليفا في النهاية فقرر قبول " مذكرة الضمانات الاربع " والتفاوض مع الحلفاء على تحديد مفاهيم هذه الضمانات .

ازدادت معارك القرم عنفا وضراوة ، وعقدت انجلترا وفرنسا اتفاقا مع سردينيا في ٢٦ يناير ١٨٥٥ أعلنت فيه الاخيرة انضمامها الى المعاهدة الثنائية و تعهدت بارسال ١٥٠٠٠ جندي الى ميادين القتال مقابل تعهد من فرنسا وانجلترا بحماية ممتلكاتها من أى اعتداء طوال مدة الحرب . وفي ١٥ مارس عقدت سردينيا مع الدول العثمانية تحالف مستقلة قوت مركزها في البحر المتوسط وكانت هذه التطورات قد أقلقـت القيصر الروس وتدهورت صحته وتوفي في ٢ مارس وخلفه ابنه اسكندر الثاني الذى كان اكثر اهتماما بمصالح روسيا الحقيقية من اهتمامه بمكافحة الثورات ، ففضل انهاء الحرب بالطرق الدبلوماسية

وطلب من جورتشاكوف سفيره في النمسا استئناف المفاوضات على أساس قبول روسيا البندين الأول والثاني من " مذكرة الضمانات الأربع " . وفهم الحلفاء ان روسيا قد غلبت على أمرها فتشددوا في موقفهم وأمروا على ان تكتفي بمفاوضات حول تدويل البحر الاسود وتحديد القوة الروسية التي يجوز لها البقاء فيه و على سواحلها وبالتالي تعديل معاهدة المضايق المعقودة عام ١٨٤١ ووضع مندوبو انجلترا و فرنسا والنمسا مقترحاتهم فيما يتعلق بمعاهدة المضايق في مذكرة قالوا فيها : " ان الغاية من تعديل معاهدة ١٣ يوليو ١٨٤١ هي ربط الوجود العثماني بالتوازن الأوروبي ووضع حد لسيطرة روسيا على البحر الاسود . أما تفصيل هذا التعديل فتعديدها متعلات اتصالا وثيقا بأحداث الحرب ولهذا فليس من المستطاع ان توضع اسمها الآن ، ويكتفى ان يقرر مبدأها " . وقال جورتشاكوف ان روسيا لاتقبل من هذه المذكرة الا ما جاء فيها من " ربط وجود الامبراطورية العثمانية بالتوازن الأوروبي " أما انتهاء سيطرة روسيا على بحر مفلق يكاد يكون بحيرة بالنسبة لها فهو أمر تعتبره معارضا لكل مفاهيم كرامتها الوطنية .

ولما تعقدت الامور، تدخل امبراطور النمسا وأفهمهم

جورثشاكوف ان الدول الحليفة جادة فى اذلال روسيا فعليه
 ان ينقذ وطنه بأى وسيلة فى متناول يده . فوافق جورثشاكوف
 على البحث فى تعديل معاهدة ١٨٤١ والضمانات فى البحر
 الاسود . وعقدت الدول العظمى مؤتمرا فى فيينا استمر
 من مارس حتى مايو ١٨٥٥ ، ورفض الروس تحديد قوتهم البحرية
 فى البحر الاسود ، و أجل المؤتمر شهرا ثم عاد الى الانعقاد
 فى ١٧ ابريل ، ووجد الحلفاء ان روسيا لن توافق على
 تفسيرهم ، وظهر ايضا ان النمسا ليست مستعدة للدخول
 فى حرب لفرض هذا التفسير على روسيا ، ولكنها أى النمسا
 وضعت مشروعا جديدا بأن يسمح لروسيا بأسطول كبير فى
 البحر الاسود ، وأن يسمح فى نفس الوقت لاساطيل الحلفاء
 بدخول ذلك البحر . وفى ٤ يونيو رفض الروس فى مؤتمر
 فيينا مقترحات الحلفاء فى تحديد قوات روسيا البحرية
 فى البحر الاسود . ولذا انفرط عقد المؤتمر ، ولم تدخل
 النمسا الحرب انتصارا لحلفائها .

فشلت الدبلوماسية اذن ، واضطرت انجلترا وفرنسا
 الى العودة الى الحرب وهاجم الحلفاء سباستبول فسقطت
 فى ٨ ديسمبر ، وبذا انتصرت الدولتان فى حرب القرم ، ولكن
 الحلفاء كانوا فى حيرة كيف يهاجمون روسيا بعد ذلك ،
 ولم يكونوا يدرون ماذا ستكون طلباتهم بعد كسب انتصارات

أخرى . فكر الحلفاء في مهاجمة قواعد روسيا الأخرى في البحر الأسود و البحر البلطى و حرمين روسيا من شواطئها وكان بامستون لا يرى بأسا من استمرار الحرب حتى تقهر روسيا تماما ، ولكن نابليون الثالث كان قد مل الحرب وأراد استصلاح روسيا . فكر نابليون في مبدأ الأمر في إشارة موضوع بولونيا ، ولكنه وجد ان إشارة هذا الموضوع سيضم بروسيا والنمسا الى جانب روسيا ، ويعيد احياء الحلف المقدس من جديد . وكان مورني Morny أحد المقامرين المحيطين بنابليون يرى استصلاح روسيا وعقد حلف معها ، فحلف مع روسيا سيطلق يد فرنسا في أوروبا ولما علم بول رئيس وزراء النمسا بهذه المحاولة محاولة التفكير في عقد حلف روسي فرنسي ، أسرع وقرر ان تفرض النقطة الأربع كما فسرها الحلفاء على روسيا ، وقدم بذلك انذارا الى روسيا وقرر اشتراك الدول الثلاث في ضمان سلامة الدولة العثمانية وقبل الانجليز و الفرنسيون ذلك الموقف وفسر بول النقطة الاولى في صالح النمسا ، فتتطع بسارابيا من روسيا ، وبذلك تبعد روسيا من معب الدانوب وفسرت النقطة الثالثة بحيادة البحر الأسود ، فلقد اختفت القوة البحرية الروسية في البحر الأسود ، وقرر الحلفاء ايضا الا تكون للدولة العثمانية قوة بحرية في البحر الأسود . وأرسل الانذار النمساوى الى روسيا في ١٥ ديسمبر ، وحاول

الروس المساومة فرفض بول في ٥ يناير ١٨٥٦ ، وبين : ملك
بروسيا للقيصر الروسى اهمية التسليم . واقتراح جورتنشاكوف
رفض الانذار النمساوى ولكن نسلرود - رئيس وزراء روسيا
رأى عكس ذلك وضرورة قبول شروط النمسا . كانت النمسا
تخشى من اتفاق روسيا وفرنسا ، ان يصبح الفرنسيون أحرار
التصرف فى ايطاليا ، وكان هذا الدافع وراء الانذار النمساوى
الذى قدم لروسيا .

وقررت روسيا التسليم وأمضيت مقدمات السليح فى
أول فبراير عام ١٨٥٦ وبذلك انتهت حرب القرم . والواقع
ان روسيا لم تخسر كثيرا بقبول " مذكرة الضمانات الاربع " ،
فلقد دمر أسطولها بالفعل ، ولم تعد لها قوة بحرية
فى البحر الاسود حتى تعارض جديا فى جياده . وتقبل طلبها
فى انشاء سفن صغيرة للاعمال البوليسية فى شواطئها .
وبذا قبلت النقطة التى رفضتها فى فينا ، أما مسألة الرعايا
المسيحيين فهذه استدعت بعض المناقشة ، واتفق أخيرا على
ان يعدر السلطان وهذا بالعمل على المساواة التامة
بين رعاياه المسلمين والمسيحيين . واصبحت الملاحة حرة
فى نهر الدانوب ، ومنحت ولايتا الدانوب استقلالهما تحت
سيادة Suzerainty السلطان ، وضم جزء من بسارابيا
اليها . وعادت الحدود بين الدولة العثمانية وروسيا فى

آسيا الى ماكانت عليه قبل الحرب ، واصبحت الدولة العثمانية تتمتع بكل الحقوق فى ظل القانون الدولى كما اتفقت انجلترا وفرنسا والنمسا على ان اى اعتداء على تركيا سيكون معناه دخولها الحرب .

بينت حرب القرم ماعليه روسيا من وهن ، فلقد كانت الدول تظن ان روسيا اقوى بكثير من حقيقتها - كانت هذه الحرب غزوا من جانب غرب اوروبا لروسيا . ولم يعد لروسيا بعد حرب القرم قيمة كبيرة فى مسائل اوروبا ، ولم تستعد مركزها فى اوروبا الا فى عام ١٩٤٥ ، وتعرف فى مسائل اوروبا دول غرب اوروبا ووسطها .

وفى ٢٥ فبراير ١٨٥٦ انعقد مؤتمر الصلح فى باريس وامضيت معاهدة باريس فى ٣٠ مارس ١٨٥٦ ، ولكن ظل اجتماع المؤتمر الى ١٦ ابريل ، فلقد تحول الى اجتماع اوروبى وكان مؤتمر باريس اول مؤتمر اوروبى بعد مؤتمر فيروننا عام ١٨٢٢ فكل الاجتماعات الدولية السابقة له كانت لحل مشكلة معينة ، واما مؤتمر باريس فقد اجتمع لحل مشكلة الشرق الادنى لا لحل المشكلات الاوروبية العامة . وكانت معاهدة باريس اول معاهدة يوقعها السلطان لا يكون فيها اى انتقاض لممتلكاته او اضعاف لقوته ، لقد جعلت معاهدة

باريس للدولة العثمانية مركزا اكثر امتيازاً من ذي قبل،
 وضمنت على الاقل نظرياً انضمام الدول الأوروبية الغربية
 الى جانبها ضد روسيا لحين من الدهر، وجعل أمر استقلالها
 في امورها الداخلية جزءاً من القانون الدولي والدبلوماسية
 الأوروبية . كما دمرت قوة روسيا الحربية مدوة الدولة
 العثمانية لمدة عشرين عاماً . والخريب في معاهدة باريس
 ان الدول الأوروبية نسيت او تناست اوضاع الاماكن المقدسة
 في فلسطين وحقوق الروم واللاتين واكتفت بالمادة السابعة
 منها بالمحافظة على وحدة الامبراطورية العثمانية
 وقبولها عضواً معنوياً في التضامن الأوروبي . ولما قام
 على باشا الصدر الاعظم ورئيس الوفد العثماني الى المؤتمر
 يطالب بالغاء الامتيازات الاجنبية في الامبراطورية
 العثمانية لانها اصبحت باعتراف المعاهدة الدولية عضواً
 في التضامن الأوروبي، ولأن هذه الامتيازات تعتبر حرجاً
 على القانون الدولي العام والسبب الاول في تطاحن الدول
 في الشرق وعضواً من أهم عناصر الضعف والانحلال في
 الدولة ، قيل له ان معاهدات الامتيازات يجب ان تبقى لان
 الدولة العثمانية لم تقم بعد بتنفيذ اصلاحاتها و منح
 المساواة الفعلية بين جميع رعاياها .

ولم تسجل معاهدة باريس انتماء سياسياً لدولة

على أخرى ، ولم تفع حلاولا جذرية لاهم المشكلات الدولية .
وسبب هذا ان الحرب لم تبدل شيئا من أوضاع الدول الكبرى
فظلت مصالحها واهدافها متضاربة وانتهى مع الحـرب
تعاونها وتفاهمها . وبقيت احكام معاهدة باريس قائمة
على علاقاتها ودستورا للعلاقات الدولية حتى عام ١٨٧٨ . وقد
نعت معاهدة باريس على بعض النقاط التالية :

(١) احترام استقلال الدولة العثمانية وهدم المساس بممتلكاتها.

(٢)
اعلان حيده البحر الاسود ، فلم يعد لروسيا قوة بحرية--
فى البحر الاسود تجعلها تعارض بشكل جدى فى موضوع
الحياد . ويتسلم الروسيا بهذا المبدأ لم تحدد
تهتم كثيرا بالشؤون الاوروبية ، وذلك لمدة خمسة
عشر عاما ، ويمكن القول بأنها قد اهتمت اهمالا
يكاد يكون تاما ، وذلك لشعورها بالمرارة من موقف
الدولتين الكبيرتين انجلترا وفرنسا منها . فالبحر
الاسود بصفة خاصة والمسألة الشرقية بصفة عامة
هى حجر الزاوية بالنسبة للسياسة الروسية منذ
القرن الثامن عشر ، فتحطيم المشروعات الروسية
فى هذه المنطقة قد دفع الروسيا الى الاهتمام بالشؤون
الاوروبية . وترتب على ذلك توسع الروسيا فى اواسط
آسيا و تضخم حجم الامبراطورية الروسية فى ذلك الوقت .

- (٣) تعهد الدولة العثمانية بتحسين احوال رعاياها —
المسيحيين في البلقان على الا تتدخل أية دولة
خارجية في شؤونها الداخلية . ولكن يبدو ان السلطان
العثماني لم يف بهذا التعهد و ظلت احوال الرعايا
المسيحيين موضع شكوى بصفة مستمرة .
- (٤) الاعتراف بحرية الملاحة في نهر الدانوب ، وكان هذا
نجاحا للنمسا فاستطاعت ابعاد الخطر الروسي من
معبر نهر الدانوب ، ولكنها في نفس الوقت خسرت صداقة
الروسيا الى الأبد .
- (٥) الاعتراف بحق الدولة العثمانية في إغلاق مضيقي
البوسفور والدردنيل في وجه السفن الحربية لسائر
الدول . وهذا البند جزء متمم لحياض البحر الاسود .
ولمبدأ احترام سيادة الدولة العثمانية واستقلالها .
- (٦) تعديل الحدود بين روسيا والدولة العثمانية .
- (٧) في حالة حدوث خلاف بين الدولة العثمانية وغيرها
من الدول ، يجب قبول مبدأ التحكيم لفض الخلاف قبل
ان يستفحل خطره ويؤدي الى نشوب حرب أوروبية .

الفصل السادس

الوحدة الإيطالية

الفصل السادس

الوحدة الإيطالية

(Unification of Italy)

يُعتبر قيام الوحدة الإيطالية من أهم أحداث أوروبا في القرن التاسع عشر . فمنذ ان تداعت الامبراطورية الرومانية في الغرب الاوروبى قامت التجزئة الاقطاعية في شبه الجزيرة ، وأخذ التنافس بين المدن و الاسـر ذات النفوذ والسيادة فيها . وفي العصور الحديثة ظهر التناقض جليا بين أشراق الحضارة في ايطاليا وبين ضعف السلطة السياسية والركود الاقتصادي . وأدى هذا الوضع الى السيطرة الأجنبية من اسبانية ونسوية . حتى ان العناصر الموحدة في ايطاليا كالكاثوليكية الرومانية والتراث الثقافي الروماني طغت عليهما قوى داخلية فرقت شبه الجزيرة . ومع هذا فقد عاشت ايطاليا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر عهدا سعيدا يعتبر بحق من أسعد و أهدأ عهودها التاريخية . لقد كان السلام يخيم عليها منذ معاهدة اكس- لاشابل (١٧٤٨) اذ قسمت ايطاليا آنذاك الى عشر دول مختلفة النوع ، لا يوجد بينها أي رابطة سياسية ، ولكن هذه الدول وان كانت تختلف في نظمها السياسية ، الا انها كانت تتفق في المفاهيم . لقد كانت كلها خاضعة للنظام الاستبدادي الذي يعتمد من الوجهة الاجتماعية على نظام الطبقات ، ومن الناحية الفكرية على

الاختلاف الفكري الذي يحافظ عليه من طريق الكنيسة
و المدارس والجامعات والاكاديميات، وعند الضرورة من
طريق السياسة . ولقد أوجد هذا الوضع في مختلف الدول
الايطالية الهدوء والنظام . وبدا ان عهد الفوضى التي
عرفتها ايطاليا ، كما في عصر النهضة مثلا ، قد مضت
وانقضت لان كل مافيهما سائر ضمن النظام السائد .

وعلى اية حال ، لم يكن من الصعب تحقيق الوحدة
الوطنية في ايطاليا لانها لم تكن " مصطلحا جغرافيا "
وهو التعبير الذي وصف به مترنيخ Metternich
هذه البلاد - الا من الناحيتين السياسية والتاريخية
وفيما عدا ذلك كانت هنالك قومية ايطالية محددة المعالم
تضافرت على انشائها العوامل الآتية :

- (١) ان شبه الجزيرة الايطالية ذات حدود جغرافية معينة .
- (٢) لم تكن شبه الجزيرة الايطالية تتألف من عناصر
غربية او اجنبية من الايطالية ، حقيقة وجدت اختلافات
(اقليمية) محلية ، ولكنها لم تكن اختلافات عنصرية
ناجمة عن اختلاف في الجنس والعنصر ، فهناك قطعاً
(جنس) ايطالي بمعنى ان التقاليد الجغرافية ، من
جانب ، والحركات التاريخية والاقتصادية من جانب آخر ،
فقد أوجدت جماعة متجانسة تشترك في العقيدة واللغة

وانعد م من ايطاليا وجود أدب اقليمى ينبىء بأن
هناك اختلافات روحية .

(٣) كان يربط اهل البلاد جميعهم شعور الزهو والافتخار
بتراثهم المتخلف من امجادهم الغابرة على ايام
الامبراطورية الرومانية فى العصور القديمة والبابوية
العنيدة ، خلال العصور الوسطى . ولقد كانت هذه
الامجاد السابقة الموضوع المفضل لدى دعاة القومية
والوحدة الوطنية طوال القرن التاسع عشر ، يستثيرون
به حمية مواطنيهم وليدفعوهم نحو العمل .

وكان ينقض هذه العوامل العزيمة المادقة ، والارادة
القوية ، التى تعمل على نقل هذه القومية و الذاتية
الايطالية ، من عالم الفكر و الروح الى عام الواقع وميدان
السياسة .

وفى عام ١٨٣٠ فقط بدأت تشاهد فى ايطاليا حركة
تهدف الى تحقيق الوحدة القومية ، وقبل ذلك كانت عوامل
التفكك تتغلب على عوامل الترابط والاندماج بسبب الاحوال
الاجتماعية والسياسية السائدة فى شبه الجزيرة . لقد
أدت تسوية فينا عام ١٨١٥ الى تقسيم ايطاليا ، فقامت سبع
دول من حجوم جعلت لها قدرا من الهمية . من ذلك مملكة

العقليتين وعدد سكانها سبعة ملايين ونصف مليون نسمة ،
 ثم مملكة بيد مونت - سردينيا ، وعدد سكانها أربعة ملايين ،
 ثم مملكة لمبارديا - فينيسيا و عدد سكانها أربعة
 ملايين وربع مليون نسمة ، ثم الولايات البابوية —
 مليونين ونصف ، وفيما عدا ذلك ، فإن
 الدوقيات الثلاث بارما ، ومودينا ، وتسكانيا ، كانت أقل
 في حجمها كثيرا . و قام النظام السياسي الذي أرسيت
 قواعده في مؤتمر فينا على حقيقة واحدة هي إخضاع الحكومات
 التي أنشئت في إيطاليا لسلطان النمسا ، سواء أكانت ، هذه
 تحكم اجزائه من إيطاليا حكما مباشرا ، كما كان الحال
 في لمبارديا - فينيسيا ، أم أنه كان لها نفوذ و سلطان
 غير مباشر على سائر الدول والامارات الإيطالية . ولا شك
 في أن العمل بمبدأ ارجاع اصحاب الحقوق الشرعية إلى
 هروشهم في إيطاليا ، قد أيد سلطان النمسا وسيطرتهما
 عندما رجعت الاسرات الحاكمة القديمة - قبل عهد الثورة
 ونابليون - معصمة على استئناف سيرة الحكم كما كان
 أيام النظام القديم . فتناسى الحكام العائدون قوة
 المبادئ التي نادت بها الثورة الفرنسية ثم تغلغلت في
 إيطاليا في عهد الامبراطورية النابليونية ، وبحيث صار
 أهل شبه الجزيرة الإيطالية - و المفكرون والقادة خصوما
 من الطبقة اليورجوازية ، ومن فريق المتنورين من النبلاء

كذلك لا ينظرون الى المبادئ التالية كأنها مجرد اوهام:
 المساواة امام القانون، حرية الضمير والعبادة، حرية
 القول و الرأي، حرية النشر، حق المواطنين فى الالتحاق
 بالوظائف العامة دون تفرقه أو تمييز، وقبل كل شئ
 حق المواطنين فى تأسيس الحكومة الوطنية . وحكمت النمسا
 فى ايطاليا حكما رجعيا مستبدا باعتبار ان هذا النوع
 من الحكومة ضرورى لاستمرار سيطرتها ولدعم نفوذها فى
 ايطاليا .

ولكن بعد عام ١٨١٥، وبعد همد الثورة الفرنسية
 ونابليون، لم يعد متيسرا فى ايطاليا اغفال ارادة الشعوب
 او اهانة الشعور القومى، بل ان الاستهانة بمطلب
 الايطاليين، وبقوميتهم سرعان ما حرك الثورات فى ايطاليا
 فلم تفض ثلاثون سنة على المعاهدات التى أبرمت والتسويات
 التى حصلت فى فينا، حتى كانت قد بدأت فى ايطاليا
 حركة اصلاح كانت متعارضة تماما مع المبادئ التى قامت
 عليها هذه المعاهدات ذاتها و التسويات التى تمت فى
 فينا، ولقد كانت هذه الحركة اصلاحية موجهة فى صميمها
 نحو غاية واحدة : التحرير من السيطرة النمساوية . وهى
 الحركة التى أفضت الى الثورات التى قامت فى عامى ١٨٤٨ و
 ١٨٤٩، وكانت هجوما عنيفا على النمسا - الدولة التى

كان السياسيون في مؤتمر فيينا قد أرادوا ان يمكنوها
من فرض سلطانها فرضا على شبه الجزيرة الايطالية .

ولكن ماهى المعوقات التى واجهت قيام الحركة القومية
في ايطاليا ؟ تتمثل هذه المعوقات فيما يلى :

(١) السيطرة النمساوية والاسبالية التى اتبعتها للنمسا
في الحكم في ايطاليا ، فقد صمم مترنيخ على ان يسود
الحكم المطلق والمستبد في ايطاليا بدموى ان ايسة
تنازلات من جانب النمسا لارضاء الاحرار ، سوف تؤدى حتما
الى توحيد ايطاليا في دولة ذات نظام جمهوري .

(٢) لم تكن هناك حياة اقتصادية مشتركة ، فكان بكل
جهة سوقها الخاص بها ، منعزلا عن الاسواق الاخرى ،
ويفصل كل اقليم عن الآخر حاجز من الضرائب الجمركية
المفروضة لحماية المعالج المحلية ، اوالتى كان
الغرض منها كذلك منع دخول منتجات الاقاليم الاخرى
اطلاقا . ولم تكن في ايطاليا عملة مشتركة ، اوموازين
ومتبايس واحدة معمول بها في كل الدويلات
والامارات . وانعدم بسبب ذلك كله وجود الصناعات
الهم الا اذا استثنيت بعض صناعات نسج الحرير في
لمبارديا وبيد مونت . ولم يكن لدى ايطاليا مـ
تمدره الى الخارج سوى الحرير الخام من الشمال ،

وزيت الزيتون من جنوى ولوقا ونابولى ، والكيريت من
مقلية .

(٣) كان للحياة الاجتماعية أثر فى التفكك والعزلة
الاقليمية فى ايطاليا ، كان حوالى ٦٠ ٪ على الاقل
من الطليان يعملون فى الزراعة ، ويعيشون فى تأخر
ملحوظ فلم يتبعوا نظاما زراعيا مدرسا . ولم
تزد نسبة العمال الصناعيين على ١٥ ٪ من عدد السكان
فى ايطاليا ، وكانت لاتزال الصناعة اما حرفية او مهنية
فى المصانع والورش ، واما منزلية . ولقد انعدم بينهم
اى شعور طبقى ، ولذلك تعذر كسبهم الى جانب النشاط
السياسى الا بعد عام ١٨٣٠ وذلك على يد جمعية ايطاليا
الفتاة . ولم تسترع الاحوال التى هاش فيها هؤلاء
(العمال والفلاحين) انتباه الطبقات الاخرى الى
ادراك ان هناك مشكلة اجتماعية تتطلب معالجة وحلا .

والى جانب تلك الكتلة الشعبية الكبيرة ، ضم
المجتمع الايطالى كتلة ضخمة من القساوسة ورجال الدين
بلغ عددهم ١٥٠.٠٠٠ ، وتمتعوا بنفوذ عظيم على الاهالى .
وتمتع الاكليروس فى ايطاليا بكل الامتيازات . ولم يكن
بايطاليا ارسقراطية عقارية تستطيع الهيمنة على سواد
الشعب وتوجيهه . على ان اهم الطبقات اطلاقا التى تألف

منها المجتمع الايطالى ،والتي كانت بمثابة القــــوى
الاحتياطية التي اعتمدت عليها ايطاليا فى تحقيق وحدتها
القومية والوطنية وتأييد المبادئ الحرة كانت الطبقة
المتوسطة (البورجوازية) . وهكذا لم يكن المجتمع
الايطالى يضم اليه القوى التي تجعل منه مجتمعا واحدا
ذا أغراض مشتركة واحدة . ولكن هذا المجتمع كما أوضحنا
كان يحتوى على عناصر وقوى متفرقة مستمدة من الاحوال
السائدة فى مختلف جهات شبه الجزيرة الايطالية، وهى أحوال
الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتشابهة
ولقد كان من الطبيعى ان تستأثر الاعتبارات المحلية
باهتمام الاهلين فى مجتمع مثل الذى شهدناه ،كان موزعا
فى جماعات منعزلة عن بعضها بعضا ولم يكن يهتم بما يمكن
تسميته بالمسائل العامة ،والتي كان من المتعذر تولد
الشعور بها أى بأن هناك اعتبارات " عامة " تربطها
تيارات هامة .

كانت المسألة الرئيسية التي شغلت الايطاليين فى عهد
الحكومات الرجعية بعد عام ١٨١٥ ،هو النضال ضد المساوىء
والاستبداد . ومما تجدر ملاحظته أنه كان نضالا محليا ،فلم
يكن هناك نضال فى مجهود عام مشترك ،ومن أجل انقاذ
ايطاليا من هذه الكوارث التي حلت بها بسبب النظام القائم

بل كان الغرض من هذا النضال ، ازالة المظالم المحلية
 التى ناء تحت اعبائها الا هلون فى كل اقليم . كما ان
 هذا النضال المحلى حدث متفرقا ، أى فى كل بلد أو جهة
 منعزلا عنه فى البلدان والاقاليم الاخرى ، ولم يكن مستطافا
 القيام بهذا النضال بواسطة الجمعيات السرية ، لانه كان
 ممنوعا اللجوء لغير ذلك من وسائل . وتعذر افعال هذه
 الجمعيات السرية بعضها ببعض ، فكان ذلك من أسباب بقاء
 النضال محليا . ولاجدال فى ان تغلغل روح الحزبية بين
 الايطاليين ، كان من أهم الاسباب التى ساعدت على انتشار
 الجمعيات السرية .

أخذت الجمعيات السرية تنتشر فى ايطاليا هندما
 بدأت تنهار السيطرة النابليونية فى شبه الجزيرة فتألفت
 قبل سقوط نابليون جمعية راجى Raggi ، فى بولونيا ،
 وجمعية شينترى Centri فى مانتوا Mantua
 وجمعية الكاربوناي فى نابولى . وزاولت هذه الجمعيات
 نشاطها سرا ، وكان لكل واحدة من هذه الجمعيات أمانيتها
 وغاياتها الخاصة بها ، ولكنها كانت متفقة على شئ واحد
 هو مقاومة السلطات الحكومية التى أقامها الفرنسيون فى
 شبه الجزيرة . ثم ما لبثت هذه الجمعيات ان تكاثرت بعد
 تسوية عام ١٨١٥ . وعلى اية حال كانت اهم هذه الجمعيات

وأوسعها انتشارا جمعية الكاربوناي في مملكة نابولي،
ويبدو أنها تأسست حوالي عام ١٨٠٢ في جبال هذه البلاد،
وتألفت من المشتغلين بحرق الخشب لإنتاج الفحم في غابات
كلايريا، وكان الغرض من تشكيلها طرد الفرنسيين من البلاد
وبعد انتهاء السيطرة الفرنسية في إيطاليا أصبح هدف
الكاربوناي طرد النمساويين من شبه الجزيرة، والعمل من
أجل توحيد إيطاليا وتأسيس الحكومة الدستورية فيها.

وفي عام ١٨٢٠ قامت ثورة في نابولي أرغمت فرديناند
على تأدية يمين الولاء لدستور ديمقراطي، وتلتها ثورة
في بيد مونت (١٨٢١) شارك فيها بمشاعره ولي العهد
(الذي سيعرف فيما بعد باسم شارل البرت) ولم تلبث
أن أخمدت على الفور تقريبا، وإن هي الافترة وجيزة حتى
تمكن جيش نمسوى من الاجهاز على دستور نابولي، فساد
القمع الوحش شتى أنحاء إيطاليا . ومما تجدر ملاحظته
ان العنصر العسكري هو الذي قامت على أكتاف الثورات
في ١٨٢٠ و ١٨٢١ . ولم يكن الثوار يتمتعون بأي تربية
سياسية، وانعدم لذلك وجود أي برنامج لهم . ولابد
في أن هذه الثورات لم تكن تستهدف أغراضا وطنية أو قومية
لان مبعثها لم يكن العمل على طرد النمسا من إيطاليا
او تحقيق الوحدة الوطنية . كما افتقرت كل هذه الثورات

الى التنظيم والتنسيق فكان من السهل اخمادها . ولقد كانت تدابير القمع التى اتخذتها الحكومات فى غايصة الشدة ، فعمدت الحكومات الى تطهير الجيش ودواوين الحكومة من العناصر المشتبه فى ولائها للنظام الرجعى القائىم . ومن ناحية اخرى استطاع اكثر قادة الثورة سواء فى نابولى او فى بيد مونت الهرب الى الخارج ليتآلف منهم الرعيل الاول من المهاجرين الايطاليين فى سويسرا و فى انجلترا ، وبعد حين فى فرنسا كذلك .

أما الثورات التى قامت فى ايطاليا فى غضون ١٨٢٠ او ١٨٣١ فكانت احدى نتائج الثورة التى قامت فى فرنسا فى يوليو ١٨٣٠ . فقد حدث بعد فشل الثورات الاولى فى ١٨٢٠ - ١٨٢١ ، ان هارت الحكومات تتعقب الجمعيات الثورية ، وقوى سلطان النمسا فى ايطاليا ، مما جعل شعور البغض والكراهية ضد النمسا يسود كل ايطاليا وهو الشعور الذى كانت قد ظلت تشعر به ايطاليا الشمالية وحدها . وانتقلت الحركات الثورية من الجنوب (نابولى) او من بيد مونت - مسرح الحوادث فى عامى ١٨٢٠ - ١٨٢١ ، الى اقليم رومانيا - القسم الشمالى من الولايات البابوية - والسبب فى ذلك ان البابا بيوس السابع ووزيره كانا يتبعان سياسة هدوء وسلام فى هذه الامقام ، لم تلبث ان حلت محلها لوفىة

البابا ووزيره في ١٨٢٣ - ١٨٢٤ سياسة قائمة على الرجعية والحكم الاستبدادي الشديد على أيدي البابا التالي لـ ليون الثاني عشر (١٨٢٤ - ١٨٢٩) ووزيره الكاردينال ريفارولا Rivarola فقد تعقب البابا ووزيره الكاربوناري وألقيا بالكثيرين في السجون، وطلب من كل فرد التبليغ من أعضاء الجمعيات السرية، فإذا قصر أحد الناس في ذلك كان اليمان عقوبته . وعلى ذلك فانه سرمان ما صارت رومانيا وبارما ومودينا مراكز للحركة الثورية الجديدة . وفي هذه المرة اتخذت الحركة طابعا مختلفا من طابعها السابق في ١٨٢٠ - ١٨٢١ ، فقد صارت تضم اليها عناصر من الطبقة المتوسطة (البورجوازية) اكثر من العناصر العسكرية . وشمة فارق آخر هو ان الثورة في هذه المرة كانت تعتمد على عامل " خارجي " هو قيام ثورة يوليو في باريس ، وعلان حكومة باريس تمسكها بمبدأ عدم التدخل . ولكن النمسا سیرت جيوشها الى بارما ومودينا وأوقعت الهزيمة بالاحرار والحكومة المؤقتة في كل منهما في ٢٥ فبراير و ٦ مارس ١٨٣١ على التوالي . وأرجع النمسيون حكومة البابا في الولايات البابوية .

و الجديد في ثورة ١٨٣٠ / ١٨٣١ الذي يميزها عن الثورات السابقة ، كانت العناصر التي تألفت منها هذه

هذه الحركة . فقد كان هناك الى جانب المشتغلين
 بالقانون فئات من التجار : الامر الذى يدل على زيادة
 انتشار المبادئ الحرة ، و تغلغلها فى اوساط جديدة فى
 المجتمع . وزيادة على ذلك فان هذه الثورة فى عامي
 ١٨٣٠/١٨٣١ كانت على ما يبدو متحررة من المصالح الذاتية
 والاغراض او الاطماع الشخصية اكثر من الثورة السابقة
 فى عامي ١٨٢٠ / ١٨٢١ . فلم تكن العناصر العسكرية الدعامية
 التى قامت عليها الحركة ، ولم يكن تحقيق النفع الشخصي
 الغرض الذى أرادت تحقيقه . ومع ذلك فيجب القول ان هذه
 الثورات فى ١٨٣٠ / ١٨٣١ - ومثلها فى ذلك مثل الثورات
 السابقة فى ١٨٢٠ / ١٨٢١ ، لم يفكر اصحابها اطلاقا فى
 التوجه بالدعوى الى صفوف الشعب للاشتراك فى الحركة ،
 بل على العكس من ذلك أزججت هذه الثورات أهل القسرى
 و المدن الصغيرة الذين شعروا بالخزي والعار من حركة
 أعلنت سقوط السلطة البابوية ، وذلت هذه الحقيقة ذاتها
 على أنهم كانوا معادين للثورة - وبالرغم من التذات
 المتكررة التى صدرت عن القائمين بالثورة فقد ظلت بقية
 ايطاليا دون حراك ، فلم يسهم أحد فى الثورة المشتعلة
 فى اقليم روماناء .

و على أية حال فان فشل الثورات التى حدثت فى

سنوات ١٨٢٠، ١٨٢١، ثم ١٨٣٠ و ١٨٣١ لم يكن معناه القضاء على الحركة الثورية وانهاؤها بل بقيت هذه الحركة ولسم يقض عليها . ولكن بدأت الحركة الثورية تتحول من المحلية الى الاقليمية الى الوطنية الايطالية - اى التى تشمل كل ايطاليا . وكان من أسباب تحول الحركة الثورية ذلك الهوان الذى شعر به الطليان من جراء اخفاق جمعية الكاربونارى ، وكان طبيعيا ان يجعلهم الفشل الذى أصاب الكاربونارى والهوان الذى شعر به الايطاليون يتحولون الى الحياة الذهنية والفكرية ليجدوا فى هذا الحقل النظرى منفذا لنشاطهم . وتحت هذين المؤثرين : خيبة العمل الثورى والتأثير التربوى للحركة الرومانسية فى الادب ، شعر الايطاليون بضرورة العمل من اجل تطهير الحركة الثورية واعطائها معنى روحيا يسمو بها عن مستواها النفعى والاقليمى المحدود . وقد جسد ماتزينى هذه الحركة الجديدة .

ولد جوزيبى ماتزينى Mazzini فى جنوى عام ١٨٠٥ من أسرة بورجوازية كبرى ، كان أبوه طبيبا مشهورا وأمه امرأة عظيمة بقوتها ومفهومها العارم للدين . تربى ماتزينى فى جامعة جنوى حيث درس الحقوق ، وعندما حصل على الدكتوراة وقف نفسه لمهنته واستعداداته السياسية . لقد نشأ وتربى وتشقف فى بيئة مثالية ونكرية . لقد

بدأ حياته الادبية عام ١٨٢٨ بكتابة سلسلة من المقالات
التي نشرتها صحيفة تجارية كانت تصدر في جنوى (دليل
جنوى) . وفي غليان الافكار الذي تلا ثورة ١٨٣٠ في
ايطاليا اصبح ماتزيني مشبوها ، فقد قبض عليه وسجن ستة
اشهر في سافونا ، وحكم عليه بمغادرة جنوى ، ثم فر الى
كورسيكا ومنها الى مرسيليا حيث اقام هناك . وكان اثناء
سجنه في سافونا قد استطاع تحديد العناصر التي تألفت
منها عقيدته السياسية . ولما كان ماتزيني قد وصل
الى مرسيليا في اللحظة تقريبا التي اعتلى فيها شارل
البرت مرش بيد مونت في ٢٧ ابريل ١٨٣١ فقد بادر ماتزيني
بارسال كتاب باسم " الايطاليين " يذكر فيه الملك الجديد
انه وهو ولي للعهد كان مقتنعا بفكرة تحرير ايطاليا
ويهيئ به ان يعفى لموت ايطاليا الذي لا ينتظر غير كلمة
واحدة ، ولكن ماتزيني لم يظفر برد على رسالته الى شارل
البرت ، بل كان من أثر هذه الرسالة ان صدر الامر بالقاء
القبض عليه اذا هو حاول العودة الى ايطاليا . فكان ذلك
انقسام كل علاقة بين ملكيه بيد مونت وماتزيني .

وأسس ماتزيني في مرسيليا جمعية وجريدة باسم
" ايطاليا الفتاة " في عام ١٨٣٢ وكانت هذه الجمعية لاتضم
سوى رجال سنهم دون الاربعين عاما . وتألف اعضاؤها من
رجال القانون والاطباء والاساتذة من اهل الطبقة المتوسطة

بصفة عامة والذين كان من بينهم جوزيبي غاريبالدى (Garibaldi) احد ضباط البحرية التجارية . وكانت ايطاليا الفتاة جمعية سرية ترمي الى العمل الثورى وتهدف فى الوقت نفسه الى " تربية " الشعب وتلقينه المبادئ الحرة والوطنية . وعلى ذلك لم تمض سنة واحدة على تأسيسها حتى كانت قد بدأت حياتها ١٨٣٣ بالنزول الى ميدان العمل وتدبير المؤامرات فى ايطاليا استعداد للثورة ولقد أثر ما تزيينى على الناس بكتاباتة وجاذبيته وجماله وتعصبه المثالي ، كان بعيدا عن المنفعة ، يعيش عيشة خشة ، وكل من لازمه أو عاشه كان يشعر بأن فيه سحرا فاتنا ، فقد كان عظيم التأثير بفصاحته ومراسلاته الاولى الجسمية . وعم تأثيره حتى اصبح زعيم الحركة الثورية فى ايطاليا والمحرك الاساسى للحركة الثورية الدولية بما أعطاها من برنامج ومذاهب .

لقد نظر ما تزيينى الى الشعب الاسبانى الذى ثار على نابليون ونجح فى طرد الاجنبى واستخلص من ذلك نتيجة وهى ان المتطوعين ، الذين يحركهم الايمان أعلى من الجيوش المنظمة ، وان الجيوش النظامية تمنى بالافاق امام الحركة الشعبية . ولكن لاثارة الجماهير يجب ان يقدم لها مثل أعلى ، وهذا المثل الأعلى هو الأمة . لقد كان ماتزيينى أول

من اعطى للحركة الثورية الايطالية برنامجا قوميا ، فحتسى ذلك الحين كانت الحركة الثورية حركة حرية محلية ، ولكنها بما تزيينى أصبحت قومية . ومفهومه عن القومية مفهوم طاهر نقي سام متصاعد الى عناصر روحانية تماما . ويقصد بالامة عموم المواطنين الناطقين بلغة واحدة ، والمشاركين بالمساواة فى الحقوق المدنية والسياسية فى نية مشتركة وهى ايقاظ القوى الاجتماعية وتحسينها بالتدريج . وهو يعرف القومية ايضا بهذا الشكل : " القومية فكرة مشتركة ، مبدأ مشترك ، هدف مشترك . الامة هى تجمع كل الناس الذين تجمعهم اللغة او بعض الظروف الجغرافية ، او الدور الذى فرفه التاريخ عليهم ، ويعترفون بمبدأ واحد ، ويسيطرون تحت تأثير حق واحد لكسب هدف معين واحد . ان النشاط المنسجم واعمال جميع القوى الفردية التى يحتويها التجمع نحو هذا الهدف الوحيد ، تؤلف الحياة القومية " . وواضح ان هذه العبارات التى عرف بها ما تزيينى القومية ، انما كانت تفسر معنى وفكرة يقظة الشعور القومى ، وبداية ظهور المبدأ القومى . وعلاوة على ذلك فقد ارتقى ما تزيينى بفكرة القومية بدرجة تجاوز بها المعنى ليمسوا بها الى المعنى الانسانى فيقول : " القومية هى القسط الذى صنعه الله للشعب فى عمل الانسانية ، هى رسالته ، هى العمل الذى يجب اداؤه على الارض لتحقيق فكرة الله على هذه الارض ، هى الاثر الذى يخوله طبعه ويعيد له مكانته بين

الشعوب ، اخوته " .

كان من المنتظر ان يتجنب ما تزيى السير فى الطريق الذى سارت عليه الكاربونارى من قبل ، ولكن ماتزىنى لم يلبث ان سلك نفس الطريق . فلم يمح عام واحد من تشكيل " ايطاليا الفتاة " حتى شرعت هذه الجمعية فى عام ١٨٣٣ تهيء لتحرير الثورة فى مودينا ، وفى مملكة سردينيا (بيد مونت) ولكن سرعان ما اكتشفت المؤامرة ، وألقى القبض على عديدين ونفذ حكم الاعدام فى طائفة منهم . وقد صدر الحكم باعدام ما تزيى لرفعة الحضور امام المحكمة . وفى عام ١٨٣٧ انتهز ما تزيى انتشار وباء الكوليرا فى صقلية وحصول المجاعة فى شمال شرقى نابولى لتحريرى الاضطرابات فى المملكة . فاتخذ الملك فرديناند الثانى (١٨٣٠ - ١٨٥٩) من هذه الاضطرابات ذريعة لالغاء ما كان متبقيا من حقوق وحرىات لاهل صقلية . وعلى العموم أشارت هذه المحاولات الفاشلة خيبة الامل حتى ان ماتزىنى لم يلبث ان اعترف ان هذه الحركات العسكرية المنعزلة عن بعضها بعضا انما هى جهود عديمة الفائدة ، وان من الواجب الانتظار حتى يتم امتزاج اكبر بين مختلف الجماعات فى كل الاقاليم الايطالية لمحاولة القيام حينئذ بحركة واسعة وعظيمة . وعلى العموم دبرت ثورات متعددة فى شمال

ايطاليا وجنوبها ، ومؤامرات كثيرة ، ولكنها باءت بالفشل .
بيد ان الفائدة الوحيدة لكل هذه المؤامرات الماتزينية هي
اطالة قائمة شهداء الحرية الايطالية . وذكرى هؤلاء الشهداء
غدت ووسعت الايمان بالوطن .

ومنذ عام ١٨٤٠ طرأ تعديل على الافكار واسلوب العمل
في ايطاليا ، وجرى هذا التعديل بمحاذاة الحركة الثورية
الماتزينية ثم اتخذ الشكل الذى صارت تعرف به الحركة القومية
بعد ذلك وهو البعث او الاحياء (Risorgimento)
لقد تحولت ظروف الحياة الاجتماعية ، ولكن هذا التحول لم يكن
في كل الميادين تاما وعاما في ايطاليا كلها ، بيد أنه يمكن
القول اجمالا ، بأن ايطاليا التى ظلت حتى الآن متخلفة ، اخذت
تتجدد . ولوحظ التقدم المادى وخاصة في الحياة الزراعية
التى ظلت اساس الحياة الايطالية : لقد تحسنت الطرق الزراعية ،
وأفادت ايطاليا الشمالية من النظم الادارى الفرنسى والنمسوى
واهتم النبلاء باستغلال اراضيهم ، وشكلوا جمعيات زراعية ،
وحاولوا تنمية التعليم الفنى والزراعى ، وفتحت مزارع مدرسية
وصناديق ريفية لتنمية الرأسمالية القروية . وتمت زراعة
الارز والذرة ، وبدىء بتربية الحيوانات بطريقة علمية لانتاج
الحليب والجبن . وأضيفت معامل لتكرير السكر الى الصناعات
الفاخرة النامية ، وخاصة صناعة نسيج القطن والحرير ، كما بدىء

باستصلاح المناطق المغمورة بالماء والموبوءة بالملازيا على الشاطئ ، ونمت المدن الكبرى ، وفي الجنوب نمت حينئذ البذخ والثراء في نابولي على حساب الارياف ، وجاء هذا الثراء من الايجارات الباهظة التي كانت تقتطع من الفلاحين هذا وتجدر الاشارة الى ان الدويلات البابوية ظلت متخلفة ، دون تقدم ، وفي فوضى بسبب اضطراب الادارة .

ولم يقتصر هذا التقدم على الميدان المادى والعملى والتطبيقى ، بل كانت تناقش الافكار التي كانت فى اساس هذا التقدم . لقد تمت مفاهيم الاقتصاد السياسى الواسعة ، وبدأ الكلام عن تشكيل خطوط جمركية وتخفيض التعريفات بين الدول . كما بدأت الحركة العلمية بمناقشات عامة بين العلماء الايطاليين من مختلف البلاد . وافتتحت المؤتمرات العلمية وكان المحرك لها شارل بونابرت بن لوسيان ، أخى نابليون ، وانجليزى مقيم فى ايطاليا وهو السير جون بورنسج (Bowring) وجرت العادة ان تكون المؤتمرات سنوية وفى مدينة جديدة فى كل مرة ، وعلمية تقنية بحثية . ولكن المشاكل التي كانت تعالج فيها كانت تتجاوز بسرعة وبسهولة قضايا البرنامج وتصبح عامة اكثر منها محلية ، اذ من المستحيل ان يحدد العلم او الاقتصاد السياسى فى اطار الدول الصغيرة . وكان سياق البحث يقتضى النقاش بمشاكل تهتم ايطاليا كلها . وكان يلتقى فى هذه المؤتمرات أناس

وعلماء من جميع الدول الايطالية وبالتالي كانت تنمو فيها روح عامة . وكان التقدم الفنى يقوى وضع البورجوازية الاجتماعية والسياسى وخاصة فى ايطاليا الشمالية أى فى لومبارديا وبيد مونت وتسكانيا .

لقد أدت نتيجة هذا التقدم الفنى وبداية هذا الاقتصاد القومى والاختراق الذى لاقاه اعضاء جمعية الكاربونارى فى الطريق الثورى الى توسيع وتحويل فى العقيدة السياسية ، وتفوقت الفكرة القومية على الفكرة الثورية . واصبحت الحركة السياسية تهم أناسا آخرين من غير الديمقراطيين لأن الحركة السياسية تعممت فى المجتمع ولم تبقى قاصرة على فئة صغيرة من العسكريين المستأئين او البورجوازيين الذين ليس لهم وضع فى المجتمع ، كذلك لم يعد نفوذ الفكرة القومية مرتبطا بالبرنامج الليبرالى وحده .

لقد ظهرت الافكار الجديدة بعدة اشكال ، وأتت بادىء ذى بدء من المهاجرين الايطاليين : ففي ١٨٣٦ صدر فى باريس كتاب ألفه نيقولا توماسيو تحت هذا العنوان : " آممال ايطاليا الجديدة " . وهو نداء الى الاقاليم والاكليروس للتعاون فى التجديد القومى ، وتجد فى هذا الكراس اول فكرة لبابا مصلح يتنزع تجديد البلاد . وفى ١٨٣٥ و ١٨٣٦ نشر القانونى الفيلسوف ماميانى كتاب فلسفة بعنوان " تجديد الفلسفة

القديمة الايطالية " ، وفى ١٨٤٣ نشر " تاريخ الادب " خاصا
 بشعراء العصر الوسيط . ولكن الذى يهمنى قبل كل شئ
 انه نشر فى عام ١٨٤١ كراسا فضل فيه قبل كل شئ . استقلال
 ايطاليا : فهو يرى فى المستقبل ايطاليا فاتحة لاستقلالها
 بحرب يقودها أمير قومى . ولكنه يرى لهذا الاستقلال شروطا
 مبدئية : وذلك بأن تطرح النمسا فى مشاكل دبلوماسية
 تمنعها من الدفاع عمليا عن المملكة اللومباردية البندقية
 التابعة لها . وأن يربى الشعب تربيته السياسية التى لم
 يحصل عليها بعد ، وأن تشارك الطبقات العليا فى حزب
 الاستقلال هذا ، ويغيف ماميانى الى فكرة الاستقلال برنامجا
 كاملا للإصلاحات الاجتماعية ليعيد الى الشعب كرامته وأمن
 حياته .

ان كراستى توماسيو وماميانى لم يتلقيا الديــوع
 والانتشار الواسع وتنحصر أهميتهما فى انهما بنهضان دليلا
 على ذلك التغيير الذى طرأ على الفكر . ولكن تهيأ السراى
 العام بسبب هذه الحركات او التيارات الفكرية ، التى كانت
 سباقة فى ظهورها ، لقبول البرنامج الذى أتى به جيوبيرتى ،
 والتحمس للأراء التى احتواها كتابه عن المكانة الرفيعة
 التى يتمتع بها الطليان خلقيا وحضاريا بين شعوب العالم .

(١٨٠١ - ١٨٥٢) من رجال الدين البيد مونتيين من تورين ،
 واشتغل كاهنا فى خدمة كنيسة البلاط واشترك فى حركة ايطاليا
 الفتاة ، فأوقف وحكم عليه عام ١٨٣٣ ، ولجأ الى باريــــــــس
 وبروكسل . كان جيوبرتى يشتغل أصلا بالفلسفة ، ويعمل لوضع
 نظام ميتافيزيقى (مختص بالتفكير فيما وراء المادة) ومع
 ذلك فقد كان جيوبرتى صاحب فلسفة كاثوليكية واسعة . ومن هذه
 الفلسفة نرى ان جيوبرتى يؤمن بففيلة الافكار وقوة المحبسة
 للتقريب بين الناس ، وينكر العمل الثورى غير ان ما ينقصه
 هو الشبات ، لأن الملاحظ عليه تردده وتغير اهتمامه وافكاره .
 فقد شارك فى حركات ايطاليا الفتاة الثورية واستهوته الفلسفة ،
 وجذبتة الفكرة القومية ، حتى انه نشر فى عام ١٨٤٣ كتابا
 مؤثرا فى بروكسل بهذا العنوان " تفوق الايطاليين المدنى
 والاخلاقى " .

ان اساس مذهب جيوبرتى وشاغله واهتمامه هو وطنيته
 الايطالية وكبرياؤه وفكره المحافظ ووضعه كاهنا . هذه هى
 العناصر التى توضح لنا اتجاه افكاره . ان نقطة انطلاق
 مذهبه هى حب ايطاليا والارادة فى رؤيتها عظيمة . فهو يرى
 " ان الأمة لا تستطيع ان تحتل فى العالم المكان الذى يلائمها
 الا اذا اعتقدت بانها اهل لاحتلاله " ونراه يبحث عن رسالة
 ايطاليا التى يجب ان تغخر بها لأن الرومانيين نشروا فى
 العالم فكرة العدل والحق ، ولأن روما المسيحية علمت العالم

السلام والمحبة . ان عظمة ماضى ايطاليا وتفوقها يجب ان يوحيا بالتفاؤل والامل . ولتجد ايطاليا تفوقها فسى العالم الحديث يجب ان يتحد الايطاليون اتحادا سلميا لا اتحادا مبنيا على القوة ، ويجب استقلال ايطاليا ولكن على اى اساس يجب ان يتم الاتحاد ؟ على اساس تقاليدنا ، وتقاليد ايطاليا كما يقول جيوبرتى ، هى اتحاد ايطاليا والبابوية اذ لايمكن للايطالى ان يكون ايطاليا تماما اذا لم يكن كاثوليكييا . وقال جيوبرتى اذا ما اتحد الايطاليون وتعاونت الطبقات أمكن تحقيق ايطاليا فى شكل اتحاد كونفدرالى تحت زعامة البابا ، لأن الكنيسة لها توجيه ايطاليا حسب التقاليد ، وهذا الاتحاد يحقق العبقرية الايطالية التى هى ملكية وارشراطية واتحادية معا . وعندئذ تستطيع ايطاليا ان تستعيد دور القائد للانسانية وتجدد العالم كما فعلت فى القديم .

وتقترب نظريات جيوبرتى من نظريات ماتزينى بالتبشير الذى يقوم به للعمل والرخاء والامل فى رفع جيل الايطاليين المتعب الى عظمتهم القديمة . ويقترب من ماتزينى ايضا بفكرة رسالة ايطاليا والاستقلال القومى الذى يجب كسبه ولكنه يختلف عن ماتزينى فى عدة نقاط : أولا ، باكليريته لانه يعتمد فى مذهبه على الكنيسة ، على حين ان ماتزينى مناوئ للاكليريكية ، ثانيا ، لانه ينكر الثورة ، بينما

يجعلها ما تزيينى عنصرا اساسيا لعمله ، ثالثا ، لانه يرى اتحاد ايطاليا ، لا وحدة ايطالية ، وبالتالي ينقى الجمهورية التى يريد ماتزيينى تنظيمها ، ويبقى على الامراء والدول القائمة .

لقد كان تأثير جيوبرتى عظيما ، وكسب شعبية واسعة وقبلته الاوساط المختلفة من دينية وعلمانية ، باستثناء اليسوعيين . ولكن آراء جيوبرتى اثارت من جهة اخرى انتقادات متعددة ، ونخص بالذكر انتقادات اعداء النمسا ، وانتقادات اعداء الحكومة الزمنية للبابا . على ان الناقد الاساسى الذى انتقد جيوبرتى كان سيزار بالبو (١٧٨٩ - ١٨٥٣) وهو كاتب ايطالى عمل ضابطا ثم انصرف للدراسات التاريخية ونشر عام ١٨٣٠ " تاريخ ايطاليا فى ظل البرابرة " وفى ١٨٤٣ ألف كتابا تحت عنوان : " آمال ايطاليا " . ولم يوافق جيوبرتى على تفوق ايطاليا فى الماضى والحاضر ، واعترض عليه بانه لم يقم شرطا مبدئيا فى تحويل ايطاليا وهو الاستقلال ، وقال بدون استقلال قومى تكون الامور الاخرى الصالحة عدما ، ولا شيء ممكن قبل طرد النمسيين . غير أن بالبو أدرك ان الايطاليين ليسوا على درجة من القوة تمكنهم فى الوقت الحاضر من طرد النمسيين ، وبانه لا دعم يرجى من الخارج لا سيما وان موقف الملك لويس - فيليب ملك فرنسا ، قد دل على ذلك ، ويرى ان ينتظر حدوث حادث

سعيد فى الخارج يساعد على طرد النمسيين ، وذلك يكون فى تفتيت الامبراطورية العثمانية القريب ، لأن هذا الحادث يشغل اهتمام النمسا ، والتي ترغب فى الحصول على ارث فى البلقان وقد يكون فى هذا الحادث ما يخطر النمسا الى قبول التنازل عن المنطقة اللومباردية - البندقية .

ولقد وجد بالبو الافكار لصالح ملكية بيد مونست ، وهذا التوجيه الفكرى الجديد سرعان ما وجد تربة خصبة فى ايطاليا الشمالية ، حتى انه لم تلبث ان تشكلت عقيدة جديدة سوف يكون لها اثرها البالغ فى المستقبل حثول الزعامة التى سوف تقوم بها الملكية البيدمونتية لتحرير ايطاليا ، وبناء وحدتها القومية والملك البيدمونتى فى ذلك الوقت هو شارل البرت الذى اعتلى العرش فى ابريل ١٨٣١ ، والذى كان وهو لايزال آميرا يعتنق مبادئ الاحراز ، فلم يلبث ان تنكر لها عند اعتلائه العرش ، وربط نفسه بسياسة القمع العنيفة التى اتبعتها النمسا لخماد الحركات الثورية فى ايطاليا ، فتعقب بالقسوة البالغة على وجه الخصوص جماعات " ايطاليين الفتاة " فى عام ١٨٣٣ ، وقبلى منذ ذلك الوقت عن المبادئ الحرة التى كان يدين بها . ومع ذلك فقد كان يشعر بتأنيب الضمير ، بسبب اعمال القسوة التى ارتكبها بسبب سياسة القمع والتشريد التى اتبعتها ، وتحركت فى نفسه الرغبة

فى نيل محبة الشعب ولكن سياسته ارتكزت على دعامتين من شأنهما جلب محبة الشعب : أولاهما اصلاحاته ، وثانيهما موقفه المعادى للنمسا . وقد اظهرت هذه الاصلاحات بيد مونت بمظهر الدولة " الحديثة " لدرجة معينة ، كما أضفت على سياسة الملك مظهر السياسة " الحرة " . وأصاب شارل البرت فى ميدان آخر قدرا أو فى من المحبة الشعبية وذلك فى علاقاته مع النمسا . فلم تكن يوما صلاته طيبة مع هذه الدولة ، ولم تلبث ان ساءت ثم زادت توترا . وجعلت احتكاكاته المتكررة مع النمسا يمثل فى نظر الايطاليين المعارضة والعداء ضد النمسا ، وأكسبته لذلك قدرا معيناً من عطف الشعب ومحبته . وقد تشكل فى بيد مونت خـزب حقيقى بيد مونتى - ايطالى ، وكانت الطبقة النبيلة على رأس الدولة فى بيد مونت ، وهذه الطبقة تعتز بمافيها وعدائها للنمسا ، وقد لعبت دورا هاما فى الادارة ، وكانت تحب الحكم الصالح وتخشى التجديدات وتحتقر النظريات وكان بعض هؤلاء النبلاء مصطبغا بصبغة الحرية الليبرالية نظرا لاتصالهم بالاجانب وزياراتهم المتكررة لفرنسا وانجلترا . ويمثل الكونت كافور هذه الفئة خير تمثيل .

وهكذا كان تفكير هؤلاء النبلاء البيد مونتيين ، يتميز لدرجة معينة بالصبغة القومية الايطالية . بل ان بعض هؤلاء النبلاء وان كان عددهم قليلا قد ارتقى تفكيرهم الى

مستوى المناداة بالوحدة الإيطالية من طراز يقرب قليلاً من الفكرة التي أتى بها جيوبرتى، ولو أنهم اتجهوا بفكرتهم اتجاهها آخر من حيث أنهم أرادوا بيد مونت وليس البابوية أن تقود الحركة القومية وأن تنزعم الاتحاد الإيطالي . فكانوا علمانيين في اتجاهاتهم الفكرية والسياسية وليسوا كنسيين . وكان ماسيمو دازيجليو أهم هؤلاء النبلاء الذين نادوا بزعامة بيد مونت .

وكان دازيجليو Massimo D'azeglio (١٧٩٨ - ١٨٦٦) من عائلة بيد مونتية كبيرة، اشتهر بقصصه ثم تعاطى بالسياسة وألف عدداً من الكراريس والمقالات وتأثر بالأفكار التقدمية، وهاجم السياسة الكنسية وكشف عن الفوضى والفساد ونصح الأحرار، وطلب اليهم أن يتخلوا عن الثورات المحلية التي تفسد مستقبل الأمة دون نتيجة، وطلب اليهم أن يتجهوا نحو القوة الوحيدة الممكنة التي تستطيع أن تصنع إيطاليا أي نحو دولة بيد مونت . وعلى أثر ذلك تآلف حزب باسم حزب " الليبراليين "، وتعلقت الشبيبة الجمهورية بهذا الحزب الجديد بعد أن خاب رجاؤها من الثورات المتوالية . وفي بيد مونت ألف الحزب جماعة منظمة على رأسها دازيجليو وماميانى وكافور، وألفوا في عام ١٨٤٧ جريدة جديدة هي جريدة البعث . ودعوا شارل ألبرت علناً ليكون على رأس الحركة القومية . وكان على يد هذه المدرسة البيد مونتية أن أمكن أن يتشكل مستقبل إيطاليا، ولكن بعد سنوات كثيرة، وبعد

سنوات الثورة التي قامت في عام ١٨٤٨ . وهكذا كانت الحركة القومية عشية أحداث ثورة ١٨٤٨ مزيجا من الاهداف والتيارات المختلفة والمتصاربة . ولكن الذي لاشك فيه ان الشعور القومي قد صار متيقظا ، ويعم كل ايطاليا ويتفعل في كل الأوساط والطبقات .

كان ذلك هو الموقف في ايطاليا ، عندما اختير في يونيو ١٨٤٦ الكاردينال ماستاي فريتي Mastai - Ferretti بابا فاتخذ لنفسه لقب بيوس التاسع . ورغم انه لم يكن معروفا وقت اختياره الا في دائرة محدودة فقد اصبح طوال العامين التاليين أبرز زعماء اوروبا ومحط آمال احرارها ولقى من ضروب التقريظ والثناء ما لم يلقه الا القليلون من الساسة في العصور الحديثة . ففي ١٦ يوليو ١٨٤٦، صدر عن بيوس اعلان العفو العام ، وشمل هذا العفو كل المذنبين سياسيا والمشبوهين ، ولقد كان ذلك اجراء جعله من الناحية السياسية باعث النهضة السياسية في ايطاليا . وكان لاعلان العفو العام أعمق الاثر ، وليس في روما وحدها أو في سائر الاملاك البابوية وحسب ، او حتى في ايطاليا بأكملها ، بل قد تعدى اثره حدود ايطاليا حتى تشعر به اوروبا ، بل العالم بأسره . وكان من الطبيعي ان يعتبر كل اجراء مستحدث يصدر لتأييد المبادئ الحرة موجهة ضد النمسا .

وكان أدعى لاستشارة حفيظة النمسا صدور العقو العام على يد بيوس التاسع . لأن هذا الاجراء لم يكن اجراء صغيرا أو ضئيل القيمة . بل انه كان فى جوهره اجراء اعادة الكرامة للوطنية الايطالية . وكان صدوره على يد البابا ، رئيس الكنيسة ، وزعيم العالم الكاثوليكي الروحى ، بمثابة الاعتراف بأن الاعمال التى كانت تعد اجرامية - ان هى الا فضائل ، يجب تكريم اصحابها . وذلك فى وقت اشتد فيسه النضال فى طول اوروبا وعرفها ، بين الرجعيين والحرار .

وقد أعقب بيوس التاسع العقو بتخفيف الرقابة على الصحف وتعديل طبيعة الحكومة التى كانت فيما مضى استبدادية كنسية خالصة ، فأنشأ فى ابريل ١٨٤٧ مجلسا للدولة يختار هو أعضاء من بين الاسماء التى يعرفها عليه حكام الاقاليم . وعين فى يونيو مجلسا للوزراء ليناقدش - وان لم يكن ليراقب - تصرفات الحكومة البابوية . وأطلق سراح اليهود من الجيتو فى روما . وأشعلت هذه الاحداث التى وقعت فى روما نيران الحماسة فى ايطاليا كلها . وانزعج مترنيخ انزعاجا بالغا ، لانه كان قد تنبأ بكل شئ على حد قوله الا ظهور بابا متحرر . وأطلقت " النزعات التحررية " برأسها فى شتى أنحاء ايطاليا ، فى صقلية ونابولى وفى تسكانيا وبارما ، وفى ميلان ، وفلسى البندقية ، وحتى فى سافوى . واصبح الشعار الذى يميز انصار التحرر فى كل مكان هو التهنيل للبابا ، حتى لقد فرست

العقوبات الصارمة فى بعض الولايات على كل من تسول لـه نفسه ان يهتف باسم البابا بيوس التاسع . الا ان كل هذه الحماسة وذلك الامل فى النصر المبكر للنزعات القومية التحررية كان مبنيا على الوهم . فان التغيرات التى ادخلت فى روما كانت فى حقيقتها أبعد ما تكون عين روح الثورة ، فالبابا كان فى صميمه محافظا " ما من بابا يمكن ان يكون متحررا " والمهمة التى تصدى لها مهمة عسيرة تستعصى حتى على من كان ألمع منه ذهننا وأقوى ارادة . ومن الواضح ان القومية الايطالية لم تكن لترضى آخر الشوط بآى شيء يقل عن تنازل البابوية الكامل عن سلطتها الزمنية الامر الذى لم يخطر لبـيوس على بال .

لم يكن بيوس مستعدا لأن يذهب مع الثوار الى الحد الذى يريدونه ، لاسيما وان الثورات التى قامت فى انحاء ايطاليا متأثرة بموقفه قد أزعجته ، ولكن اندفاع الجماهير وراءه جعل من الصعب عليه الانسحاب او التراجع دفعة واحدة ، فالخوف من عواقب التراجع هو الذى دفعه الى المضى قدما نحو الامام على طريق الثوار . وفى عام ١٨٤٨ أعلن اصدار الدستور الجديد ، على ان تكون الهيئة التشريعية فى يد مجلسين ، ولكنه أبقى سلطات مجلس الكرادلة المقدس كجزء من النظام السياسى الجديد ، ولم يكن للهيئة التشريعية الحق فى اصدار قوانين تتعارض مع قوانين الكنيسة . فهذا القييد

قلل الى حد كبير من سلطة البرلمان فى التشريع ، وجعل سلطة الكنيسة فوق متناول البرلمان . ولكن حدثت فى ذلك الوقت حادثة وضعت البابا فى مكانه الصحيح من القضية الايطالية ، وذلك لقيام الحرب بين ايطاليا الشمالية والنمسا ومعارضة البابا لاشتراك روما فى تلك الحرب . ولما كانت الحرب تمثل صراع القوى التحررية فى ايطاليا ضد قوى الاستبداد ممثلة فى النمسا كقوة اجنبية ، فقد فسر موقف البابا على انه قد تخلى عن ركب الاحرار . وسرعان ما بدأت ردود الفعل قوية فى روما ، فاغتيل وزير البابا الاول روسى Rossi ، وأخذت تسيطر على مجريات الامور فى روما العناصر المتطرفة المبالغة الى الشدة والعنف . وامام هذا التيار الجارف الذى لا قبل للبابا عليه يفر من روما ملتجئاً الى جاييتا Gaeta فى اراضى نابولى مخافة ان يفطر الى الاقدام على مزيد من التنازلات .

كانت ايطاليا مهيأة تماماً لانتشار الحركة الثورية . ذلك ان جمعيات ايطاليا الفتاة السرية كانت قد اكتسبت الى صفوفها اعضاء كثيرين فى شتى أنحاء البلاد ، وكان ابناء الطبقات الوسطى عموماً مجمعين تقريبا على تأييد مبدأ الوحدة القومية الايطالية فما ان سنحت الفرصة حتى اتخذت الحركة مظهراً شاملاً وتلقائياً . وحاول حكام ايطاليا الاخرين محاكاة البابا بيوس التاسع فى خطوته التحررية لأسباب متعددة ، منها

محاولتهم منافسة البابا في ذيوع الصيت وتحويل انظار القوى التحررية في ايطاليا اليهم ، او خوفا من غضبة الجماهير ومطالبتها بتطبيق نظم اكثر تحرازا مما هم خافعين له ، او كسبا للقبول ومداراة الجماهير ريثما يتم ضرب الحركة التحررية في وقت ملائم . وعلى اى حال سار فرديناند ملك نابولى وصقلية في نفس الاتجاه الذى سلكه البابا ، بل لقد سبق البابا في منح مملكته دستورا ، مما دفع البابا الى محاكاته . وخلاصة الحركة التى قامت فى نابولى ان انتشار المبادئ الثورية فى الجنوب دعا سكان مدينة بالرمو بجزيرة صقلية ان يوحدوا صفوفهم ، وان يطالبوا الحكومة فى بيان أصدره فى يناير ١٨٤٨ بتطبيق نظم جديدة تنتمشى وروح العصر الحديث . وعززوا تلك المطالب بالثورة والاستيلاء على المدينة ودحر قوات الملك الذى وجد ألا قبل له على مواجهة الثورة فوافق على الاستجابة لمطالب الجماهير وعلى منحهم دستورا ، بعد ان اصدر عفوا عن المعتقلين السياسيين . كذلك انتقلت دعوى القومية الى دوقية تسكانيا وطالب الاهالى الدوق الاعظم ليوبولد الثانى بحكم البلاد حكما تحرريا ، فتظاهر بالموافقة وقام ببعض تنازلات زائفة لم ترض اهالى البلاد ، فافطر الى منحهم دستورا شبيها بدستور نابولى .

ولم يكن الذى حدث فى تسكانيا بذى أهمية كبيرة ، اذ
 أنها لم تكن لتستطيع ان تنتهج سياسة مستقلة الا فى أفريق
 الحدود . فان مستقبل ايطاليا بات مرهونا اساسا بنقطة
 واحدة ، هل يمكن ان تتزعزع سلطة النمسا فى شمال شبه
 الجزيرة ؟ ومن هنا نجد ان مصير ايطاليا قد تقرر فى بيدمونت
 (وهى القاعدة الحقيقية لمملكة سردينيا) وفى
 لومبارديا حيث كانت النمسا تمارس سلطانا لم يكف الاهالى
 قط عن اعتباره اجنبيا وجائرا . كانت سردينيا بين الدول
 الايطالية اقلها ايطالية ، فملكها شارل البرت كان يؤشر
 التحدث بالفرنسية على الايطالية ، واللفة العنصرية مابين
 اهليها وسكان جنوب الجزيرة كانت ضعيفة . ورغم ان هذه
 المملكة كانت نصف ايطالية فان سكانها كانوا اكثر تشربا
 للروح العسكرية من اقربانهم فى سائر جهات ايطاليا ، وأسرتها
 المالكة كانت على حظ وافر من السهمة والطموح . وقد أدت بعض
 المقومات الى الاعتراف ببیت ساقوى ممثلا لأمانى ايطاليا القومية
 وتتمثل هذه المقومات فيما يلى :

- (١) كان شارل البرت يتمتع بسمعة طيبة لما عرف من مناوآتته
 الصريحة للنمسا ورغبته الاكيدة فى قيام وحدة ايطالية
 تحت زعامته . ولكنه لم يكن يميل الى الثوريين ويخشى
 من اتجاهاتهم على سلامة مملكته . وكان يؤشر ان يحكم
 ايطاليا كملك مستبد وان يقوم بالوحدة دون معاونة القوميين
 التحرريين .

(٢) كان فى مملكة بيد مونت صحافة قومية لها خطرهما
وتتمتع بشيء من الحرية ، وتؤمن بقضية الوحدة
تضعها فى المقام الاول .

(٣) وجود الكونت كافور Count Cavour وكان
يرأس تحرير صحيفة البعث Risorgimento ، وممن
يؤمنون بالوحدة ويكرسون لها جهودهم ، ودوره فى
قيام الوحدة الايطالية يفوق دور ما تزينه
وغاريبالدى والبابا بيوس التاسع .

وامام هذه الموجه العارمة من الثورات التى
اجتاحت ايطاليا فى مطلع عام ١٨٤٨ متأثرة بثورة فرنسا،
كان لابد ان يتزعزع النظام الاستبدادى النمساوى الذى
يسيطر على شمال ايطاليا وعلى دوقيتى بارما ومودينا
والبندقية . لاسيما بعد قيام الثورة فى النمسا وفرار
مترنيخ (مارس ١٨٤٨) حامى الاستبدادية وعدو الحركات
التحررية الاول . فقامت الثورة فى ميلان واطاحت بحكم
النمسا ، وكذلك فعلت بحكومات البندقية وبارما ومودينا .
وهكذا انقسمت ايطاليا الى قوتين متصارعتين ، قوة النمسا
المعادية لحركة التحرر والوحدة ، وقوة الثوار فى مختلف
اجزاء ايطاليا تؤيدهم وتوازرهم قوة مملكة سردينيا .
وكان الاحتكام الى السلاح هو الوسيلة الوحيدة لحماية
الحرية من اعدائها . كما ان النمسا لم يكن من السهل

عليها ان تقبل الهزيمة صاغرة ، وان تستسلم لانصار الحرية
وهي التي لم تدخر وسعا منذ هزيمة نابليون على اقرار الاوضاع
الاستبدادية في اوروبا بمختلف السبل .

واذا عقدنا مقارنة بين المعسكرين المتصارعين قبل خوض
المعركة نجد :

(١) ان معسكر النمسا كان يفوق معسكر الوطنيين الايطاليين
بأشياء ، منها حسن تنظيم الجيش النمساوي واستعداداته
اذا ما قورن بجيش الولايات الايطالية . وكان لا يزال
على رأس الجيش النمساوي القائد الكبير راديتسكى
Radetzky وهو من أكبر قواد ذلك العصر، ولم
يقابله أحد في المعسكر الايطالي .

(٢) لم يكن تضامن الولايات الايطالية قويا ، فالحزبات
القديمة التي كانت بينها أخذت تتعكس على تصرفاتها
خلال المعركة ، وكان لهذا أسوأ الاثر على المعسكر
الايطالي .

(٣) الاختلاف الواضح بين الولايات الايطالية حول شكل الحكم
في ايطاليا بعد اتمام الوحدة ، فكل من الملكيين
والجمهوريين كان يريد ان تكون له الغلبة في النهاية
وكان الفوضويون يقفون لمحاولة الطرفين بالمرصاد
وفي ذلك الوقت ظهر ماتزيني على مسرح الاحداث في
ميلان وحاول ان يعبى أنصار الجمهورية للاستفادة من
الموقف والاطاحة باتباع الملكية .

(٤) لم يكن كل حكام الولايات الايطالية تقريبا مخلصين فيما اتخذوه من خطوات دستورية تحت ضغط الاهالى. ولذا ما أن منى المعسكر الايطالى بالهزيمة الا وتنكر كل حاكم للدستور وانقلب عليه وانضم للمعسكر الرجعى ، وكان معولا لهدم مكاسب الشعب .

(٥) استنكار البابا للحرب قد شجع الحكام الايطاليون على عدم الاستمرار فيها ، وكان هذا الموقف من قبل البابا بيوس التاسع فيه نهايته كشخصية مؤثرة فى مجريات الاحداث فى ايطاليا ، خصوصا وان فراره الى جاييتا قد أخرج الامر من يده ووقعه فى أيدي الجمهوريين .

ومن هذا يتضح ان النمسا سيكون لها الغلبة فى النهاية رغم ما أصابها من هزائم فى اول الامر . اذ اكتمل استعداد رادتسكى لشن هجوم مضاد ، والتحم بالايطاليين فى ٢٥ يوليو ١٨٤٨ فى كستوزا Custozza فانزل بهم هزيمة فادحة مما اضطر شارل البرت الى الانسحاب الى ميلان . وقد حنق الميلانيون لانهياء آمالهم ، وزادت الهزيمة من شدة احتكاكهم بالبيدمونتيين ، بل انهم اتهموا شارل البرت بخيانة القضية الوطنية . ودخل النمسيون ميلان من جديد وسمحوا لشارل البرت والجيش السرديني بالانسحاب الى وراء الحدود فأعلن ماتزيني ان الحرب الملكية قد انتهت وان الاوان قد آن لحرب الشعب ان تبدأ ، ورفع علما نقش عليه شعاره المفصل " الله والشعب " وانسحب غاريبالدى الى الجبال حيث راح يحلم

بمواصلة القتال عن طريق حرب العصابات . ولكن أصبح جليا
لمعظم الناس ان فرص نجاح مقاومة العدو قد ولى . ومن
ناحية اخرى كانت الهزيمة بمثابة اشارة البدء للحكام
المستبددين فى الولايات الايطالية - فيما عدا مملكة سردينيا
- لتقويض النظم الدستورية التى منحوها لشعوبهم .

وسادت ايطاليا موجة من الحكم الرجعى الاستبدادى
بعد موجة من البطش والتنكيل والاعتقال . واعلنت الهدنة
بين الطرفين المتحاربين توطئة لوضع التسوية النهائية
وعندما رفعت سردينيا قبول شروط الصلح النمسية استأنفت
القتال من جديد ، وحدثت بين الجانبين معركة نوفارا
Novara فى ٢٣ مارس ١٨٤٩ انهزم فيها شارل
البرت ، واضطر فى النهاية الى التنازل عن العرش لابنه
فيكتور عما نويل الذى ستم على يديه الوحدة الايطالية .

وهكذا بدأت تحل الكارثة بكل مكان لانهاء هذا
العهد الثورى فى تاريخ الحركة القومية الاستقلالية فى
ايطاليا . فطلب البابا والكرادلة تدخل الدول الكاثوليكية
(٦ فبراير ١٨٤٩) فى حين قصد ماتزيني والثوريون الروما
وكذلك غاريبالدى . وأسس هؤلاء جمهورية برياسة ماتزيني
الفعلية . ولكن فرنسا التى خشيت من استرجاع النمسا
لمكانتها السابقة وسيطرتها الكاملة فى ايطاليا بعسند

انتصارها فى موقعة نوفارا لم تلبث ان قررت التدخل لنجدة
ايطاليا ، كما كان يعنيها كسب عطف الكاثوليك فى فرنسا-
والمحافظة على بيد مونت المهددة بالخطر من جانب النمسا ،
اذ تدخلت هذه لارجاع البابا الى عرشه ، واسترداد نفوذها فى
كل انحاء ايطاليا . فدخلت القوات الفرنسية بقيادة اودينو
Oudino ابن أحد مارشالات نابليون القدامى ، الى روما وسقطت
الجمهورية بعد دفاع مجيد على ايدي ماتزينى وغاريبالدى
(٣٠ يونيو ١٨٤٩) وهرب هذان الى الجبال . وفى اليوم الذى
سقطت فيه روما ، كان النمساويون قد بدأوا غزوهم لتسكانيا ،
وفى ٢٥ مايو دخلوا فلورنسة . وفى ٢٤ اغسطس سلمت البندقية
وانتهت الحرب والثورة فى كل ايطاليا . وأعيد البابا الى
عاصمته بالولايات البابوية ، واستعاد الملك فرديناند سلطانه
الكامل فى نابولى وصقلية واسترجع الامراء عروشهم فى
الدوقيات الايطالية واحتلت فرنسا روما ، وصارت النمسا صاحبة
السيطرة فى ايطاليا الشمالية واتتمرت فى كل مكان قوى
الرجعية .

انحياز الوحدة الايطالية :

لم يؤد فشل الثورة فى ايطاليا فى عام ١٨٤٨ الى
أخماد الاحساس القومى بل لعله قد عززه وأحياه . حقيقة كانت
هناك فروق ضخمة بين سكان شبه الجزيرة من حيث العنصر والطبائع

وغيرها ، الا ان القومية هي مسألة شعور اكثر منها مسألة حقيقة موضوعية . ولكن فى منتصف القرن التاسع عشر، بدت أحلام قيام الوحدة الايطالية أبعد ما تكون عن التحقيق فقد عادت النمسا لتحكم من جديد بعناد وحماسة وقسوة ولم يقتصر حكمها على أملاكها الخاصة فى سهل لمبارديا، فدوقيات الوسط باتت خائفة هي الاخرى لتفوذها ، وبدأ البابا يتطلع الآن اليها بحثا عن العطف الصادق بدلا من فرنسواء ووجد ملوك وحكام تلك الولايات فى النمسا السند الطبيعى لحكمهم الاستبدادى . ولم يكن هناك فى حقيقة الامر فى كل ايطاليا مكان يرفرف عليه علم الحرية المثلث الالوان، ويلجأ اليه الاحرار الفارين من بطش الطغاة المستبدين سوى مملكة سردينيا . ولقد ولدت من مملكة سردينيا ايطاليا الحرة المتحدة . فعندما تولى فيكتور عما نويل عرشها بعد شارل البرت بذلت المحاولات الفخمة لاغرائه بسحب الدستور وحكم الولاية حكما مستبدا ، فأجاب عليها بقولسه " لسوف أرفع العلم المثلث الالوان عاليا وببىد ثابتة " . والى هذا التصميم يرجع الفضل فى فوزه بعرش ايطاليى المتحدة .

وسىظل اسم فيكتور عما نويل مقترنا أوثق الاقتران باسم كافور الذى دخل الحكومة فى اكتوبر ١٨٥٠ وزيرا للزراعة والتجارة ، ثم اصبح فى ٤ نوفمبر ١٨٥٢ رئيسا

للوزراء ، وتوصل الى تشكيل اكثرية حكومية بعقد ائتلاف بين
 حزبة الخاص ، حزب الوسط اليميني وحزب اليسار المعتدل .
 وهذا التحالف بين الوسط اليميني واليسار المعتدل كان اهم
 عمل في حياته السياسية . وكانت غاية كافور " ان يربى البلاد
 على الحرية " ، وان يرى ان مملكة سردينيا قادرة على احياء
 نظمها الليبرالية . وقد قام كافور بجهد كبير في تنظيم
 الجيش ، والتنظيم الاقتصادي والاشغال العامة وغيرها . كما
 وقف كافور مناوئا للكنيسة ، وكان رد الفعل الرجعي في الدول
 الايطالية ، وفي روما وفي غيرها مطبوعا باتجاه " اكليريكي " .
 فأراد كافور ان يعدله ، وهذه هي سياسة كافور في القضية
 الدينية التي اعتمدت على ثلاثة مبادئ :

أولا : كان كافور يريد ان تكون الدولة كاملة السيادة ، ولذلك
 ينبغي ألا تدع للكنيسة ممارسة وظائف التعليم ، ووظائف
 الاحوال المدنية وغيرها . ولذا استصدر قانون الزواج
 المدني والقانون الذي ألغى فيه امتيازات الاكليروس
 في القضاء .

ثانيا : انه يجب على الدولة مراقبة الكنيسة مادامت الكنيسة
 لا تتفق مع النظم الليبرالية ، ولذا صدر قانون شرطية
 العبادات ، وقانون ثان عام ١٨٥٤ يعاقب كل كاهن يهاجم
 نظم مملكة سردينيا أثناء ممارسة وظائفه .

ثالثا : أراد كافور أن يمنع نمو أموال الوقف ، لأن امتلاك هذه الاموال يخول الاكليروس ، فى رأيه ، كثيرا من النفوذ ولهذا السبب استصدر قانون ابريل ١٨٥٥ وألغى بموجبه جميع الجمعيات الرهبانية عدا الجمعيات التعليمية أو ليستخدمها فى زيادة مرتبات الاكليروس الأدنى .

وفى الوقت الذى كان كافور يطبق هذه السياسة المناوئة للاكليروس وضع نفسه حاميا للاحرار فى كل اجزاء ايطاليا ، وفى عام ١٨٥١ استقبل فى تورينو احزارا كانوا مضطرين الى الهجرة الى دول ايطالية اخرى مثل غاريلى ، زميم الحركة الجمهورية فى تسكانيا ، وماميانى وهو وزير سابق للبابا بيوس التاسع ، وقد أعطاهم كافور مرتبات من مملكة سردينيا تساعدهم على العيش عندما صادرت أموالهم النمسا وحكومات الدول الايطالية الاخرى . ومن جهة اخرى أنشأ لبعضهم كراسى جامعية فى جامعة تورينو . كما ان كافور لم يتردد فى عام ١٨٥٦ فى ان يفتنم الفرصة ويكشف امام العالم النظم السياسية الايطالية ، واتخذ هذا الموقف بمناسبة انعقاد مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ بعد حرب القرم . وكانت مملكة سردينيا حليفة فرنسا وانجلترا فى هذه الحرب ضد روسيا . وقد عقد كافور هذا الحلف ليدل على أن لمملكة سردينيا جيشا يساعدها على تبوء مقعدها فى مؤتمر السلام . وفى مؤتمر باريس ١٨٥٦ قدم لممثلى الدول الكبرى

مذكرة يروى فيها الحالة البائسة التي وجدت فيها الدول البابوية ومملكة الصقليتين • وقبل رئيس وفد فرنسا والوسكى (Watowski) ورئيس الوفد الانجليزى كلارندون ان يدعى كافور • ولكن ممثل النمسا بول (Buol) عارض صراحة وصرح بأن ليس للمؤتمر الحق فى مناقشة هذه القضايا الايطالية لانه انعقد فقط لتسوية السلام بين فرنسا وانجلترا وروسيا • ولذا اقتصر المؤتمر على التصويت على صيغة غامضة جدا يوصى بها حكومات الدول الايطالية باتخاذ " اجراءات رحيمة " وهكذا وضع كافور نفسه حاميا للايطاليين ، ورفع صوته باسم ايطاليا واصبحت مملكة سردينيا يوما فيوما مركزا تتجه اليه تطلعات كل من كانوا يرجون تجديدا فى ايطاليا • واستخدم كافور هذا الوضع الخاص لمملكة سردينيا ليجعل من هذه الدولة نقطة تجمع وتشجيع لكل من كانوا يتطلعون لاحياء الحركة القومية • وبعد عام ١٨٥٦ تطورت افكاره بسرعة : فقد اتجه نحو فكرة الوحدة الايطالية ، وبالطبع على ان تكون مملكة سردينيا بزعامة بيت آل سافوى ، على رأس ايطاليا المستقبل • والدليل على هذا التطور هو انشاء " الجمعية القومية " .

وكانت مبادئ الجمعية القومية الايطالية تتلخص فيما يلى :

(١) ان توضع جانبا ، فى هذه الآونة ، كل مناقشة فى السياسة الداخلية وبالتالى ايضا كل مناقشة فى الاشكال السياسية القادمة •

- (٢) القيام بدعاية لصالح فكرة الاستقلال والوحدة وتنمية هذه الدعاية في الاوساط الشعبية التي لم تكن حتى الآن أوساطا نشيطة في الحركة القومية .
- (٣) الاعتماد على بيت سافوي الوفي للقضية الايطالية، وكان موجهو " الجمعية القومية " يرون بأن مؤازرة مملكة سردينيا ضرورية لها .
- ونشر برنامج " الجمعية القومية " حسب هذه الاسس في أول سبتمبر ١٨٥٧ ، ونظمت الجمعية مباشرة تجمعات في كل ارجاء ايطاليا ، وكان ذلك سهلا في مملكة سردينيا لأن القانون ينص على امكان تشكيل جمعيات سياسية . ولكن " الجمعية القومية " لم تستطع أن تتشكل علنا في البلاد الاخرى ، فقد اضطرت ان تنظم سرا ، وكان للجمعية فروع سرية في لومبارديا - البندقية ، وفي تسكانيا ، وفي دوقيتي بارما ومودينا حيث كانت البورجوازية نشيطة جدا في هذا الاتجاه ، وفي القسم الشمالي من الدولة البابوية . وكان عمل هذه الجمعية نافذا لانها ضمت جموعا كانت حتى ذلك الحين متفرقة ومبعثرة ، وحببت بيت سافوي اناسا لم يفكروا في الوحدة تحت توجيه ملك سردينيا . وما كانت هذه الجمعية القومية لتعمل شيئا دون الرجوع سرا الى كافور ، ولكن كافور لم يشأ ان يشارك ويبرز فيها اسمه علنا لانه لم يكن ممثنا من نفخ الايطاليين للوحدة .

هذه هي حال الحركة القومية الايطالية في عام ١٨٥٨،
وتعتبر الفترة من ١٨٥٩ الى ١٨٦٠ مرحلة حاسمة في تاريخ
تلك الحركة ، اذ تشكلت خلالها مملكة ايطاليا تحت زعامة بيت
سافوي . ولكن كيف تم ذلك ؟ قرر كافور العمل في عام ١٨٥٨
ولكن احاطت به بعض الظروف . كان كافور متاكدا بانفسه
سيمطدم بمقاومة النمسا ، فقد ارادت النمسا بالطبع ان تحتفظ
بالمنطقة اللومباردية - البندقية ، وان تحافظ على النفوذ
الذي كان لها على جزء من الدول الايطالية ، وللقضاء على
مقاومة النمسا ، رأى كافور ان من الضروري لمملكة سردينيا
الحصول على مساعدة دولة اجنبية ، واخذ كافور بعين الاعتبار
تجربة عام ١٨٤٨ ، وعرف ان سردينيا لا يمكن ان تنجح الا اذا
اعتمدت على دولة اجنبية . وهذا الحل يقتضى مجازفة لانه
من النادر جدا في السياسة الدولية ان يعطى شيء في سبيل
لا شيء ؛ ان الدولة التي تدعم دولة أخرى تطلب دوما تعويضا
وقد قرر كافور الذهاب الى هذا الحد . ولكن ممن يطلب هذا
العون ؟ لا يوجد الا دولتان يمكن التوجه اليهما : فرنسا
وانجلترا ولكن عون فرنسا يمكن ان يكون حاسما لان انجلترا
تملك أسطولا بحريا ولا تملك جيشا ، ولقهر النمسا لابد من
وجود جيش .

وفي فرنسا كان نابليون الثالث يعطف على القضية
الايطالية ، فقد شارك في شبابه في الثورة التي قامت في عام

١٨٣١ فى الدولة البابوية . ومن الناحية السياسية كان يرغب فى تعديل معاهدات ١٨١٥ وتوطيد النفوذ الفرنسى فى ايطاليا ، ويأمل ان تكون تابعة لفرنسا . ولكن نابليون الثالث كان مقيدا من ناحية أخرى بالقضية الرومانية . ففى عام ١٨٤٩ قوضت الحملة الفرنسية التى قادها الجنرال اودينو الجمهورية الرومانية ووطدت سلطة البابا ، ومنذ هذا التاريخ بقيت فى روما حامية فرنسية لحمايته . ومن الواضح عند تحقيق الوحدة الايطالية ان توضع قضية روما على بساط البحث ، وستكون روما بالضرورة تابعة لهذه الدولة الجديدة ، وعاصمة لها . وقد اضطر نابليون الثالث الى التفكير فى أن هذه القضية الرومانية من طبيعتها ان تجلب اليه صعوبات ضخمة فى السياسة الداخلية الفرنسية ، لأن الغاء السلطة الزمنية للبابا يمكن ان يثير احتجاجات الكاثوليك الفرنسيين . وهذا ما يوضح لنا موقف الامبراطور . وفى الواقع كان نابليون الثالث مع رغبته فى حذف النفوذ النمساوى من ايطاليا والبداله بالنفوذ الفرنسى لا يريد تحقيق الوحدة الايطالية لصالح بيت سافوى ، بل كان يتصور فقط تشكيل اتحاد كونفدرالى بين الدول الايطالية ، ودليلنا على ذلك البرنامج الذى وضع فى بلومبيير فى يوليو ١٨٥٨ بين كافور ونابليون الثالث .

وفى بلدة بلومبيير Plombieres التفتى كافور مع نابليون بدعوة من الاخير ، وكانت الحرب هى هدف الاثنين

فقد وعدت فرنسا بتأييد سردينيا في حربها ضد النمسا على شرط ان يتولى كافور ايجاد الذريعة التي تبرر مفلك فرنسا في نظر اوروبا ، وفي هذه الحرب يتم طرد النمسويين من ايطاليا ، فيؤلف الشمال مملكة ايطاليا برئاسة فيكتور-عما نويل ، ثم ترتبط البلاد كلها بعد ذلك برباط اتحادي يرأسه البابا . أما الثمن الذي طلبه نابليون الثالث مقابل ذلك فهو التنازل لفرنسا عن سافوي ونيس (سافوي مهد البيت المالك والدولة السردينية ، ونيس مسقط رأس غاريبالدي) وموافقة فيكتور عمانويل على تزويج ابنته البالغة من العمر ستة عشر عاما الى ابن عمه الامبراطور نابليون . وفي الواقع كان نابليون الثالث يهدف من وراء تلك الصفقة الى تحقيق اهداف ثلاثة هي :

- (١) القضاء على نفوذ عدوته النمسا في ايطاليا .
- (٢) كسب اراضي جديدة في ايطاليا بغض نيس وسافوي .
- (٣) ارضاء الكاثوليك في فرنسا بتعيين البابا رئيسا للاتحاد الجديد .

(٤) ان الدولة الايطالية الجديدة ستكون على علاقة طيبة مع فرنسا اعترافا بفعلها في قيام الوحدة .

وفي نهاية عام ١٨٥٨ وقع الطرفان الفرنسي والسرديني معاهدة سرية تنص على تعهد فرنسا بامداد سردينيا بمئتي ألف رجل في حالة دخولها الحرب ضد النمسا .

وبعد ان اطمأن كافور الى حليفه أخذ في تلمس الاسباب والمبررات لشن حرب على النمسا . ولكن بعد ان أعيتته الخيل قدمت النمسا له تلك الفرصة بنفسها عندما وجهت انذارا الى مدينة تورين بنزع سلاحها ، وعززت هذا المطلب بارسال قواتها الى بيد مونت في ١٩ ابريل ١٨٥٩ . وتكتلت معظم قوات حكومات الولايات الايطالية خلف بيد مونت فيما عدا البابا بيوس التاسع الذي رفض الانضمام الى المعسكر الايطالي ، وكذلك ملك نابولي وكانت أبرز شخصيات هذا المعسكر الحربية غاريبالدي الذي كان يقود جماعة " صيادي الالب " وهم من المغامرين الايطاليين شديدي البأس والقوة . وفي ساحة القتال الشهيرة بشمال ايطاليا التقى قوات بيد مونت توازرها قوات فرنسا بالجيش النمساوي في معركة ماجنتا Magenta في ٤ يونيو ١٨٥٩ انتصرت فيها القوات الفرنسية - الايطالية ، وتقهقرت أمامها قوات النمسا حيث التقى الطرفان مرة ثانية سولفرينو Selferino في ٢٤ يونيو ١٨٥٩ انتصر فيها الجانب الفرنسي الايطالي بفضل قوة فرنسا .

وفي الوقت الذي وصلت فيه القوات الفرنسية - الايطالية المتحالفة الى ذروة انتصارها ، ولاح للايطاليين ان الوحشة اصبحت قاب قوسين أو أدنى من الظهور ، انقلب موقف الامبراطور نابليون الثالث فجأة من التحمس الشديد الى الرغبة في انهاء الحرب والثمره على وشك النفوج . ولكن ما هي الاسباب التي

دفعت الامبراطور الفرنسي الى اتخاذ هذا الموقف المفاجىء؟
تتلخص هذه الاسباب فيما يلى :

أولا : حقق نابليون الثالث بعد انتصاره على النمسا ما كان يصبو اليه من القضاء على نفوذ النمسا فى ايطاليا ، وفى نفس الوقت قام بالتزاماته كاملة ازاء بيد مونت ووجد ان الاستمرار فى الحرب ليس من مصلحة فرنسا فى شىء ، فمواصلة عدائه للنمسا سيجر عليه سخط بروسيا التى كانت تقف قواتها على أهبة الاستعداد لنصرة الألمان النمساويين ، خصوصا وانها دخلت فى مفاوضات سياسية مع انجلترا وروسيا بشأن التدخل فى النزاع القائم بين النمسا وفرنسا .

ثانيا : شعور نابليون الثالث بعد انتصار الايطاليين ان قيام وحدة ايطالية على حدود فرنسا الشرقية ليس من مصلحتها فى شىء . فمهما كان عداؤه للسياسة النمساوية فى ايطاليا ، فهذا العدا ء أهون عليه من قيام دولة موحدة فتية الى جوار فرنسا .

ثالثا : ان انتهاء الحرب على هذه الصورة - رغم انتصار فرنسا - فيه خدمة كبيرة للنمسا التى كانت حريصة على انتهاء الحرب بأى ثمن كى تستطيع تضييد جراحها . فاتمام صلح بين الدولتين يمنح النمسا امتيازات

قليلة في ايطاليا فيه ترفية كبيرة للنمسا، وكان نابليون حريصا على رضائها ليتخذ منها حليفا في المستقبل اذا ماساعت العلاقات بينه وبين بروسيا، مستغلا التنافس الموجود بين الدولتين الالمانيتين النمسا وبروسيا، لذلك كله رأى نابليون الثالث الدخول في مفاوضات مع النمسا دون علم بيد مونت أو موافقتها، فأرسل مبعوثه الجنرال فليري Fleury الى عاهل النمسا فرنسيس جوزيف يعرض عليه الهدنة توطئة لعقد صلح بين الطرفين .

رحب امبراطور النمسا بهذا العرض لأن الخسائر التي تكبدها جيشه كانت فادحة، ولكن هذه لم تكن السبب الوحيد، فالمجر كانت تنذر بالثورة والحاجة تدعو الى توفير القوات اللازمة لقمعها . ثم ان احتمال تدخل بروسيا لم يكن ملائما بالمرّة للدبلوماسية النمساوية لما سيصحب حتما من تنازلات لبروسيا في المانيا لم يكن فرنسيس جوزيف راغبا في القيام بها بحال. وعلى هذا التقى الامبراطور النمساوي بنابليون في فيلافرانكا Villafranca حيث وقعا الهدنة. في ٨ يوليو ١٨٥٩، وبعد ذلك تم التصديق على مقدمات الصلح في ١١ يوليو ١٨٥٩، وتنص على اعتراف الدولتين بقيام اتحاد ايطالي برئاسة البابا من الناحية الاسمية، مع حثه على ضرورة ادخال اصلاحات في ممتلكاته، وأن تتنازل النمسا عن لومبارديا لبيد مونت، وان تستمر سيطرة النمسا على

البندقية مع دخولها الاتحاد الايطالى . وكذلك عودة حكام
مودينا وتسكانيا وبارما الى مناصبهم من جديد على أن تعرض
تلك القرارات على مؤتمر للدول المعنية بالامر للعمل على
اقراره .

ولكن الامور لم تسر وفق ما اراد نابليون ، فقد عارفت
ولايات رومانيا وبارما وتسكانيا ومودينا عودة الحكام السابقين
وقامت بثورة مطالبة الانضمام فى وحدة تحت حكم الملك فيكتور
عما نويل . كما وقف البابا من تشكيل الاتحاد الايطالى موقفا
سلبيا، بل هو أقرب الى المعارضة منه الى السلبية . وأدرك كافور
انه لن يستطيع حل مشكلة وسط ايطاليا الا بالتعاون مع نابليون
الثالث ، وكان مستعدا لدفع الثمن الذى تعهد به لنابليون من
قبل ثمننا لتحالفه ، أى اعطاء نيس وسافوى لفرنسا ، ولكن كافور
رأى ان يتبع فى ذلك أسلوبا يرضى عنه الايطاليون ، ألا وهو
اجراء استفتاء عام فى كل ولايات وسط ايطاليا بما فيها نيس
وسافوى . فأسفر الاستفتاء عن فوز فرنسا بنيس وسافوى بأغلبية
كبيرة ، أما باقى الولايات فقد طالبت بالدخول فى وحدة مع مملكة
سردينيا أو ما أصبح يطلق عليها فى ذلك الوقت اسم " ايطاليا " .

تكونت ايطاليا الجديدة مما يزيد قليلا فى مساحته عن
نصف حجم ايطاليا ، وبقيت الممتلكات البابوية ومملكة نابولى
والبندقية خارجة عن الوحدة . وقد لقيت الوحدة مقاومة شديدة

من البابا بيوس التاسع الذى انقلب رجعيا متطرفا ومن
فرنسيس الثانى ملك نابولى . فكان على كافور ان يبذل
المزيد من الجهد للتغلب على هؤلاء المعارضين واتمام الوحدة
الكاملة . فمن ناحية مملكة نابولى نجد ان الملك فرنسيس
الثانى ماكان ليقبل فبياع ملكة من اجل قيام الوحدة فى ظل
الملك فيكتور عمانويل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى
فان أهالى نابولى كانوا اكثر سكان ايطاليا تخلفا وتأخرا ،
وأكثرهم خضوعا لسلطان الكنيسة ، وأقلهم اهتماما بقضية
الوحدة ، وفهما لمفهوم الحرية والوحدة . وليس معنى هذا
ان نابولى قد حرمت كلية من وجود عناصر تؤمن بالحرية ، وتؤمن
بالوحدة عن فهم وعمق . وبدا لكافور ان ادخال نابولى فى
نطاق الوحدة لن يتم الا بالقوة مع استخدام الاساليب
الدبلوماسية ، ووجد فى نفسه الرأس المفكر والدبلوماسى
الذى لايشق له غبار . ووجد فى غاريبالدى القوة الحربية
المنشودة . فالتقى الرجلان حول هدف واحد رغم اختلاف كسبل
منهما عن الآخر ، ورغم شك غاريبالدى وريبته فى كافور ،
لكن الظروف أجبرته على التعاون معه ، لأنه كان فى حاجة
ماسة الى التأييد السياسى لمشروعاته الحربية .

أعد غاريبالدى قواته غير النظامية " ذوى القمصان
الخمرات " ، وكان عددهم ١١٣٦ متطوعا خاض بهم البحر . رغم
قلة عددهم - من جنوى الى جزيرة صقلية . وفى ١١ مايو ١٨٦٠

نزل مع رجاله الى البر في مارسالا Marsala لمهاجمة مقر
 حكومة نابولي في مدينة بالرمو واستطاع بقواته الفشيلية
 العدد التي آبلت بلاء ١٦ مشهودا الاستيلاء على المدينة
 و دحر قوات الملك . وأحدث هذا النصر هزة عنيفة في كـل
 ايطاليا ولاسيما في نابولي ، فاضطربت الامور هناك ، وساعده
 ذلك على عبور مضيق مسينا والنزول في الطرف الجنوبي من
 شبه الجزيرة الايطالية لمواصلة ضرباته وانتصاراته على القوى
 المعادية للوحدة ، ويمم غاريبالدى وجهه شطر نابولي حيث
 دخلها في ٧ سبتمبر بعد ان غادرها الملك فرنسيس بيوم واحد .
 وكان سقوط نابولي في يد غاريبالدى نقطة تحول في تاريخ
 الوحدة الايطالية ، فكافور وجد ان الوقت قد حان لتسلم زمام
 المبادرة من غاريبالدى ، وان الدور العسكرى يجب ان ينزوى
 ليفسح الطريق للدور الدبلوماسى ، خصوصا وان مقدرة غاريبالدى
 السياسية كانت محدودة جدا ، وكان كافور يعلم ذلك تمام العلم
 كذلك مما حدا بكافور لتولى زمام المبادرة تردد غاريبالدى
 بعد دخوله نابولي فى اعلان انضمامها الى مملكة سردينيا ،
 فهذا التردد كان مدعاة للشك فى نوايا غاريبالدى فى
 المستقبل . ويبدو ان غاريبالدى قد أحجم عن البت فى هذا
 الموضوع لأن الامور لم تكن قد تبلورت بعد ، فالملك فرنسيس
 رغم تركه نابولي مازال مقيما فى جاييتا ، فالمسألة بالنسبة
 اليه لم تنته بعد ، هذا فضلا عن وجود قوتين أخريتين معارفتين

للوحدة التامة داخل نابولى : الاولى وجود حزب قوى كنان
ينادى بدخول نابولى الاتحاد الايطالى مع احتفاظها بنسوع
من الاستقلال الذاتى ، والثانية تتمثل فى مطالبة أنصار
ماتزينى بوحدة ايطاليا فى ظل النظام الجمهورى.

أما فى ممتلكات البابا فقد طالبت الحركات الشعبية
بالوحدة وقامت الثورات فى مارش Marches واومبريا
Umbria وأعد البابا قواته لخماد الثورة ، ولكن
كافور منعه من ذلك ، ودخلت قوات ايطاليا الممتلكات البابوية
لتقضى على جيش البابا فى كاستلفيداردو Castelfidardo
وبعدها اتجهت صوب نابولى حيث توجد قوات غاريبالدى . وهناك
أعلن غاريبالدى ضم نابولى الى مملكة فيكتور عمانويل
وحظى بمقابلة الملك الذى أشنى عليه لما قدمه من جهود
وطنية صادقة من اجل تحقيق الوحدة . وبعد أن أدى غاريبالدى
ما عليه من واجب رفض أى مظهر من مظاهر السلطان وآثر
الخلود الى السكينة فى مسكنه بجزيرة كابريرا Caprera
ثم أجريت الاستفتاءات فى نابولى وصقلية والاراضى البابوية ،
فأعلن الأهالى بالاغلبية الساحقة رغبتهم فى الانضمام فوراً الى
" مملكة فيكتور عمانويل الدستورية " . وبذلك تتحقق الوحدة
الايطالية ويلقب فيكتور عمانويل بملك ايطاليا . وفى عام
١٨٦٦ همت البندقية بعد الحرب النمساوية البروسية . أما روما
فضمته ايطاليا نتيجة للحرب الفرنسية البروسية ، اذ اضطرت

فرنسا الى سحب قواتها منها ، فدخلها الايطاليون فى ٢٠ سبتمبر ١٨٧٠ وكان على بيد مونت تطبيق دستورها على الولايات الايطالية والعمل على تحسين احوالها المالية وتقوية جيشها ، وتدعيم الاستقرار السياسى . وكان نجاح الملكية الدستورية فى بيد مونت فى تكوين وحدة ايطالية عاملا على اضعاف قوة الملكيين المستبدين والجمهوريين المتطرفين . وكانت الحكومة الجديدة حائرة ، هل تمنح الولايات الايطالية نوعا من الاستقلال الداخلى أم تتبع نظاما مركزيا ؟ ولكن هذه الحيرة لم تظل فقد فضلت الامارات الايطالية النظام المركزى ، وكان على الحكومة الجديدة القضاء على التشرد والجهل فى الجنوب ومعالجة مسألة الكنيسة ، وذلك لرفض البابا الاعتراف بالدولة الجديدة ، وكذلك السير فى حركة اصلاح الجيش والتعليق والبحرية والشؤون المالية . وفى عام ١٨٧١ أصدرت الحكومة قانون الضمانات وبه أصبح البابا سيادا مستقلا فى الفاتيكان . ولكن البابا رفض الاعتراف بهذا القانون ، وظلت معارضة البابا للوضع الجديد فى ايطاليا من مصادر الغضب فى الحكومة الجديدة الى أن تم للحكومة الاعتراف باستقلال الفاتيكان بمقتضى معاهدة لاتران فى ١١ فبراير ١٩٢٩ .

الفصل السابع

الوحدة الألمانية

- مشكلة شلر فيج وهولشتين والحرب البروسية
- النمساوية •
- الحرب البروسية - الفرنسية •

الفصل السابع

الوحدة الألمانية

The Unification of Germany .

يوضح تطور المانيا التاريخية ان المانيا لم تكن هيئة سياسية قومية . لقد كانت امبراطورية تتألف من ٣٦٠ دولة حتى ان وسط المانيا وغربها كانا عبارة عن فسيفساء سياسية تضم دولا صغيرة جدا تتألف من دوقية ، او قصر ، او مدينة ، او امارة كنسية ، واذا كانت بروسيا تضم ٢ مليون من السكان وهي اكبر الدول ففي الامكان تصور الدول الاخرى . وكانت هذه الـ ٣٦٠ دولة موزعة على عشر دوائر ولكل منها رايته وعليها تلقى تبعة الدفاع المشترك وتنفيذ قوانين الامبراطورية . أما القضايا العامة فتعرض على دايت (Diet) الامبراطورية ، ولم يكن هذا لينعقد الا مؤقتا بدعوى من الامبراطور . ويتألف من ثلاث هيئات : الناخبون ، والامراء والمدن ، ولاتخاذ قرار فيه تجب اكثرية هيئتين . ولم تكن هناك حكومة ولا جيش المانى ولا يكون ذلك الا اذا قرر الدايت . ولا يمكن لهذا الجيش ان يعمل الا اذا أمرت دايتها الدوائر بالتنفيذ . وعلى هذا يرى انه ليس هناك دولة المانية ، ولا فكرة سياسية المانية . لقد كانت المانيا منقسمة الى عدة أقسام لكل منها نعتها الخاصة . وكل نقاش او جدل في سبيل التغيير او الاصلاح في الدولة كان يدعو الى الخوف من الوحدة . لقد كانت النعسرة

الاتصالية ساعدة فى كل دولة من دول المانيا ولم يكن
بين هذه الدول وحدة فى النقد او القوانين او المقاييس حتى
ولا أى وحدة معنوية .

ولقد تأثرت المانيا بالأراء والمبادئ التى نادى
وأنت بها الثورة الفرنسية وتغافرت عوامل هامة على تهيئة
المانيا لتقبل تلك الآراء وخصوصا الآراء والمبادئ السياسية
فعرف الالمان النظريات التى نادى بها جان جاك روسو فى
التربية ،وظفر مونتسكيو الى جانب زميله بالحظوة لدى
مفكرى الالمان . فكان عما نويل كنت (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فيلسوف
كونجزبرج العظيم من كبار المعجبين بكل من روسو ومونتسكيو
وتأثر بدرجة كبيرة بكتابائهما وآرائهما . ولقد كان مسن
المعجبين بآراء روسو والفلاسفة الفرنسيين كذلك جوهان
جوتليب فيخته وهو من تلامذة كنت ،ويحتل فيخته مكانة عظيمة
فى تاريخ الفكر الالمانى السياسى . ولقد جعل فيخته الاهتمام
بالشعب والأمة يغلب على الاهتمام بالفرد ،فابتدع ذلك النظام
الاجتماعى الذى اتخذه أساسا لنشوء الدولة باعتبار أسبقية
حرية المجتمع بأسره على حرية الفرد وحده . وكان لذلك
طبيعيا ان يأتى تفسير فيخته لنظرية العقد الاجتماعى
مغايرا لما أخذ به روسو ،وان كان كلاهما اعتمد فى تفسيره
على وجود ارادة عامة هى مصدر السيادة العليا ومولدها
فى الدولة ،فجعلها روسو نتيجة تنازل الافراد عن ارادتهم

الفردية ، واندماج هذه فى ارادة عامة ، فى حين افترض فيخته وجود الارادة العامة أصلا فى المجتمع ، وبالتالي فى الدولة التى جعل من حقها ونصيبها وحدها السهر على حريات الافراد وضمنان هذه الحريات فى المجتمع . وعلى ذلك فقد كانت المانيا وقت اندلاع الثورة الفرنسية فى مقدمة البلدان التى قطعت شوطا لا يستهان به فى ميدان الفكر ، وبدأ الالمان يستيقظون رويدا رويدا من سباتهم السياسى ، ولعل نجاح الفرنسيين فى تأسيس الجمهورية فى فرنسا كان أعظم العوامل أثرا فى هذه البيقظة السياسية التى جعلت الالمان ينفخون عنهم غبار ذلك الخمول السياسى الذى أقعدهم عن العمل والنشاط فى هذا الميدان أزمانا طويلة .

ومما هب المانيا لقبول الآراء التى نادت بها الثورة الفرنسية ان الحكومة فى بافاريا عمدت منذ عام ١٧٨٤ الى حل جماعة المتنورين Illuminati والغاء منظماتهم او هيئاتهم ، فانتشر هؤلاء فى المانيا يحملون آراءهم الخطيرة الى كل مكان ذهبوا اليه ، ومن أخطر هذه الآراء قولهم ان الوقت قد مضى الآن ، للتمسك بالنظام الملكى ، ولم تعد هناك حاجة لوجود الملكية او الملوك . وهناك سبب آخر لقبول تلك الآراء هو ان الفلاسفة والمفكرين السياسيين من طراز كنط وفيخته لم يكونوا وحدهم الذين اعجبوا بآراء الفلاسفة الفرنسيين وكتاباتهم . فقد أعجب بآراء وكتابات فلاسفة الثورة طائفة

من فحول الكتاب والشعراء الألمان المعاصرين مثل فردريك شيلر Schiller (١٧٥٩ - ١٨٠٥) الكاتب والشاعر مؤرخ " حرب الثلاثين سنة " في المانيا . وهذا حينئذوه جيتة Goethe (١٧٤٩ - ١٨٣٢) أعظم شعراء المانيا شهرة . ومما ساعد كذلك على تغلغل الآراء الفرنسية في المانيا بهذه السرعة و السهولة ، ان هذه البلاد الواسعة لم تكن تعرف و تقتض شعورا قوميا أو وطنيا يحينول دون انتشار الآراء الاجنبية بها .

ولكن هذا الحماس العظيم الذي قوبلت به الثورة الفرنسية ، لم يكن معناه ان المانيا بأسرها كانت ترحب بها ، او ان جميع قادة الرأي وأهل الفكر في المانيا كانوا يقبلون الآراء والمبادئ التي تخفت عنها الثورة والتي عمل رجال الثورة الفرنسيون على اذاعتها في اوروبا . فقد وجدت طائفة من الكتاب والمفكرين الألمان ، نذكر منهم جوهان ولهلم جلايم Gleim الشاعر ، وفردريك جاكوبى Jacobi الفيلسوف ، وبارتولد جورج نيبور Niebuhr المؤرخ ، وغيرهم - نظروا جميعا بخوف و حذر شديد للثورة ، منذ بدايتها . ثم ان الثورة فشلت في ان تستميل الى تأييدها هنرى شتيسن Stein (١٧٥٦ - ١٨٣١) صاحب الإصلاحات الكثيرة التي مكنت بروسيا من النهوض والانتعاش بعد صلح تلسنت Tilst

بين روسيا وفرنسا عام ١٨٠٧ - لتتزعزع النضال ضد
السيطرة الفرنسية . ثم ان شيلر لم يمنعه احبائه بآراء
روس وكتابات من اظهار تبرمه بأعمال الثوار
الفرنسيين الذين هم من طبقات العامة ، لأن فرنسا فى
رأية لم يكن أبناؤها قد وصلوا بعد الى درجة من التربية
والتعليم تجعلهم قادرين على فهم معنى تلك المساواة
التي يطالبون بها وادراك قيمتها . والحقيقة ان موجة
من الذعر سادت المانيا عموما بسبب الفظائع التي ارتكبها
اليعاقبة ، حينما حطموا قواعد النظام القديم فى فرنسا
وراحوا يبذلون - علاوة على ذلك - كل ماوسعهم من جهد
وحيلة لنشر آراء الثورة فى سائر ربوع اوروبا .
وأخذت الحكومات الالمانية على ماتقها مقاومة الآراء التي
نادت بها الثورة ، بعد أن أدركت هذه الحكومات جسامه
الاطار التي تتهددها نتيجة لذيوع الآراء والمبادئ التي
جاءت بها الثورة الفرنسية من حيث تهديدها لذلك السلطان
الذي تمتعت به هذه الحكومات فى داخل الدويلات او
الامارات المنتشرة فى ارجاء المانيا . فعظم من
الحكومات للثورة ، وراحت من ثم تتخذ الوسائل والتدابير
التي تكفل مكافحة هذه الآراء الجديدة وتعطيل ذيوعها
والنفاذ .

وفى خارج دائرة هؤلاء المفكرين ، فان الحماس للآراء
الفرنسية كان عظيما ، خصوصا بين الشباب والنساء . ولقد
انكب سواد الشعب الالمانى على قراءة الصحف بنهم وشغف ،
عظيمين ، ولم يترك الذين قرأوا الصحف الانباء التى
جاءت بها دون مناقشتها بحد واهتمام وحماس كبير ،
وأفصحت الجماهير من حماسها للثورة بشتى الوسائل ،
فانتشرت فى اسواق فرانكفورت المناديل التى طبعت عليها
حقوق الانسان ، ولقيت هذه المناديل راجا عظيما . و لكن
بعد ان احتاحت فرنسا المذابم و الارهاب حمل فى الرأى
الالمانى شىء من التردد ، اذ شعر الناس و كأن الثورة
حادثت عن طريقها وفقد طبعها ، وانقسمت الآراء . فبعضها
تحول عن الثورة لانها اصبحت سفاحة ، كما أخذ الكثيرون
يبددون اوهامهم ، ووزعت كراسات تقذح فى الثورة الفرنسية
ورجالها ، حتى ان بعض احرار المانيا امام رد الفعل
فروا الى باريس .

وهذا الانقسام فى الرأى بين من بقى أمينا على مهد
الثورة ، وبين من استنكر اعمالها ، يمكن ان ينظر اليه
من وجهة نظر اجتماعية واخلاقية لا من الوجهة القومية
والوطنية ، ومع هذا فقد تدخل منصر جديد وهو الحرب بين
فرنسا والدول الالمانية وخاصة بروسيا والنمسا . بيد ان
هذه الحرب لم تبدل وجهة نظر الالمان الذين تشيعوا

لافكار الجمهورية الفرنسية . وبقيت المانيا محايدة
امام انكسار النمساويين والروس . ولا أدل على ذلك من
فقدان المتطوعين فى الجيوش التى ذهبت لمحاربة فرنسا،
حتى ان اكثر الحكومات اضطرت لنجدة جيوشها، ان تطبقة
نظام القرمة . أما السبب فى ان الحرب لم تحدث حركة
وطنية فى المانيا ضد فرنسا فيرجع الى انه لم يكن
هناك أى حقد عرقى بين فرنسا والامبراطورية الجرمانية
والى ان الحرب حانت بين الامراء والثورة . ومن الوجهة
الفكرية والسياسية نجد ان مصلحة الشعوب كانت فى
الوقوف الى جانب الثورة الفرنسية التى تمثل الامسلاج
والحرية السياسية ، لا الى جانب الحكومات التى تمثل
الضغط والعنف والسلطة . هذا بالإضافة الى ان رأى
العام الالمانى ألقى مسؤولية الحرب على الامراء الالمان
أنفسهم لا على فرنسا . ولكن عندما تشكلت الحركات
القومية فى المانيا وذلك فى عهد متأخر أخذ المؤرخون
الالمان ، اما عن ارادة او عن خطأ فى النظر ، يلقون
تبعة حرب ١٧٩٢ - ١٧٩٣ على الفرنسيين . بيد ان الالمان
المعاصرين كانوا متفقين على ان المسؤولية تقع على
كاهل الحكومات الالمانية نفسها .

و هذه اللامبالاة التى نجدها حيال الحرب نجدها
ايضا فى مواقف الحرب وفى التبدلات التى طرأت فى

الامبراطورية الجرمانية عام ١٨٠٣ . فضياع أملاك الكنيسة
 وادخالها في املاك الدولة ، ونزع الملكيات من ايدي اصحابها
 كما جرى في الاهوام ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ، و ١٨٠٣ لم يثر أى معارضة
 في المانيا ، بل على العكس ، لاقى تأييدا لان السكان ليس
 لهم مايشكون من ذهاب الدول العفري او دول الاكليروس
 وسبب هذه اللامبالاة يرجع في الغالب الى حكم الامراء السيى
 الذين لا يهتمهم الا مصالحهم ورفاهيتهم وراحتهم دون ان
 يبحثوا عن تعاون بينهم و بين مواطنيهم . لقد كانت الفردية
 وبالتالي الانانية صفة سائدة بين هؤلاء الامراء ، يضاف الى
 ذلك ان عدم اكتراث الالمان تجاه تلك التبدلات يرجع الى
 ان مفكرى الالمان المعاصرين حافظوا على تلك الفكرة النقية
 فى العلاقات بين الناس ، تلك الفكرة التى أخذوها من
 فلاسفة القرن الثامن عشر ، وهى ان تاريخ كل شعب من
 الشعوب ليس له أى معنى الا اذا وضع فى حياة الانسان
 جمعا . وعلى هذا نرى ان رأى الالمانى كان مشتت
 حياى الثورة عندما أخاف الارهاب الالمان . وعلى اية حال
 لم تولد الثورة الفرنسية الوطنية الالمانية وان " الامسة "
 الالمانية بقيت شيئا مثاليا محضا لم تغيره ~~الشيء~~ ^{الضرورة}
 الفرنسية لا عن طريق الدعاية وانتشار الافكار ولا عن
 طريق الاحتلال الفرنسى .

ان التغييرات التي أحرّيت في المانيا خلال عهد نابليون ، والتحول السياسى الذى تمثل فى زوال الامبراطورية الرومانية المقدسة قد تمت دون ان يؤدي ذلك الى حركة فى رأى العام . والاحتجاجات الوحيدة التي ارتفع صوتها ضد هذه التغييرات أتت اما من منافع مسلوكة او منافع لم تشبع رغبتها بصورة كافية قام بها بعضى بارونات الامبراطورية الجرمانية ، ولم تنشأ من رأى العام فى مجموعة . يضاف الى ذلك ان هذه الحوادث لم توقظ أى أمل لان رأى العام ظل الى حد ما محايدا غير مبال بكل ما يجرى . لقد عدلت الامبراطورية الجرمانية باتفاق بين روسيا وفرنسا ضد النمسا . وقد حدث معظم التعديل فى المانيا الغربية خاصة ، أى فى اكثر المناطق تحزقة وانقسامات حيث توجد دول صغيرة عديدة من دول بارونات الامبراطورية وامارات كنسية . وكان من نتيجة هذه التعديلات الاقليمية تمثيل الدول الصغيرة . وهكذا هبط عدد الدول الالمانية من ٣٦٠ الى مائة وأرب الثمانين . كما ساعد تنظيم الامبراطورية المقدسة على اخراج النمسا من المانيا ، وفقدت ممتلكاتها الشخصية التي كانت موزعة فى نقاط مختلفة فى الامبراطورية . وأضاعت النمسا نفوذها الشخصى و تحولت الى امبراطورية النمسا و أخذت تبتعد عن المانيا وتكون لنفسها حياة خاصة ، وستظل سر مع مرور الزمن الى التخلص من المانيا لروسيا .

ومن الجدير بالذكر ان هذا التحول او التغير العظيم الذى طرأ على المانيا لم يكن من المنتظر بقاؤه طويلا ، لافى شكله الاقليمى ، ولا فى صورته السياسية . فمن الناحية الاقليمية اتخذ نابليون اجراءات تلو الاخرى هدف مـــــــن ورائها اعادة رسم خريطة المانيا وذلك بالقضاء على بعض الدول الجديدة التى اوجدها هو نفسه . ثم انه قضى على دول قديمة كانت قائمة فى الماضى . ولم يلبث ان انتهى من مسألة الغاء تبعية الامراء و البارونات الالمــــــن للامبراطورية المقدسة بأن تقرر فى عام ١٨٠٦ ، أن جميع الامراء او البارونات الذين لايسمح بدخولهم شخصيا فى اتحاد الراين يعير اعتبارهم تابعين للحكومات التى يعيشون فى اراضيها . ويتحتم عليهم لذلك الحصول على جنسية الدول الاقليمية التى يقيمون بها ، ولقد ترتب على هذا القرار انه صار لا يوجد هناك من الآن فصاعدا فى المانيا مواطنون او امراء تربطهم أية روابط مباشرة بالحكومة المركزية فكل هؤلاء من مواطنين وامراء قد جعلوا الآن على جنسية اقليمية . أضف الى هذا ان السويد قد اخرجت من المانيا بعد ان كانت تمتلك بها بوميرانيا ، ثم ان بروسيا قد اقتطعت اجزاء منها حتى انها فقدت نصف أراضيها .

وأحـك نابليون محل الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة اتحاد الراين الذى تأسس فى ١٢ يوليو ١٨٠٧ ، وضم

اليه ١٦ -أميرا من المانيا الغربية والجنوبية . ثم لم يلبث ان اتسع نطاق هذا الترتيب او هذه المجموعة السياسية فأصبح يشمل ٣٧ عضوا أى مايقارب جميع الدول الالمانية فيما عدا بروسيا والنمسا . ولقد حصل هذا الاتحاد على دستور تحددت فيه حقوق وواجبات الدول التى يتألف منها بالنسبة لبعضها بعضا ، فصار لهذه الدول مجلس او دايت يتولى توجيه الادارة المشتركة بينهما . غير ان هذا الدستور بقى دون تنفيذ ، لأن نابليون سمى نفسه حامى اتحاد الراين ، فتركز فى يديه توجيه وادارة شؤون السياسة الخارجية من ناحية ، وتجنيد الجيوش من اهل الاتحاد الصالحين للخدمة العسكرية من ناحية أخرى . وعلى ذلك فان من المتعذر اعتبار اتحاد الراين دولة المانية تأسست فى هذه البلاد ، وان كان الاتحاد - ولاشك - نوعا من التكتل الذى حصل فى المانيا ، والذى يعتبر من وجهة النظر هذه اجراء " جديدا " بالنسبة لحالة التشتت والتفكك التى كانت سائدة فى المانيا قبل انشائه .

وبالرغم من ان نابليون لم تكن لديه أية فكرة عن خلق قومية المانية ، فان العمل الذى أتمه فى المانيا قد أدى الى تكوين القومية الالمانية ، وخلق شعور قومى المانى . فالتركيز الاقليمى الذى أنقص عدد الدويلات الالمانية من ٣٦٠ الى ٣٨ فقط كان اجراء لايمكن الرجوع فيه ،

وخطوة اتخذت بصورة نهائية ، ويتعذر بعدها اطلاقا مسودة المانيا الى ذلك التشتت ، وتلك التحزبة التي كانت عليها في الازمان السالفة ، ولن تكون بالمانيا بعدد دولة كنسيسة او مدن حرة . ففي المانيا النابليونية لم يكن يوجد بها من الدويلات الضئيلة (اى اقل من خمسة آلاف نسمة) سوى ثلاث فقط ، نحت لاسباب شخصية ، أى لارتباطها بأشقاء نابليون وممن ناحيتهم أخرى فان هذه التعديلات التي أدخلها نابليون في المانيا جعلت التمهيد لوحدة البلاد ممكنا ، و تفسير ذلك ان هدم الاستقرار السياسى والاقليمى هدم الروابط التاريخية التي في وسعها تأييد الشعور المحلى في الحكومات المختلفة ، جعل هذه الروح المحلية شيئا مشروعا في آخر الامر في المانيا . ففضى هدم الاستقرار الاقليمى و السياسى على كل هذه التقاليد التاريخية الموضعية والقوميات او الوطنيات المحلية التي كانت تستند عليها . و من نتائج هذه السياسة انها استأملت شأفة قسم من الطبقة النبيلة الالمانية من بارونات الامبراطورية والفرسان . وكان هؤلاء تابعين للامبراطور مباشرة . أما الان فليس لهم قومية ممكنة الا الالمانية بعد ان انتزعت اراضيهم منهم . ولذا فان هذه الطبقة النبيلة التي رفعت عنها تبعية الامبراطورية الجرمانية ، لم يعد لها حياة سياسية .

وعلى أية حال أضرت الاملاحات الفرنسية بكثير من
 المصالح مثل مصالح بارونات وفرسان الامبراطورية المباشرين.
 وهناك كثير من الضباط و الموظفين الذين سرحتهم الحكومات
 أثناء تنظيم الادارة تحت الحماية الفرنسية . يضاف الى
 ذلك قلق الشباب الذين رأوا الوظائف مغلقة ابوابها فى
 وجوههم بعد ان كانوا يأملون باشغالها ، وثقل الاحتلال
 الفرنسى ، وضرائبه و معادراته المختلفة . وامام كل هذا
 استيقظت عاطفة الحق الوطنى اما من نفسها تلقائيا ،
 او تحت تأثير هذه المنافع المتضررة . ولذلك قاوم الالمان
 الحكم الفرنسى ، ولكن يجب الا نرى فى هذه الحركات شيئا
 عظيما او شيئا قوميا . ومع ذلك فان حركة المقاومة لم
 تتغلغل بالدرجة الكافية ليتأثر بها المجتمع الالمانى
 بأكمله ، ولم تكن عامة فى كل انحاء المانيا ، ولا يجب لذلك
 المغالاة فى تقدير قيمتها ، ووقفت الحكومات الالمانية
 موقفا فى غاية التحفظ ، ولم تشأ هذه الحكومات الوقوف
 ضد نابليون الا فى عام ١٨١٣ ، أى بعد ان تأكد لديها ان
 سقوط نابليون وهزيمته قد صار أمرا محققا . وعلى أية
 حال فان حركة المقاومة لم تتغلغل بالدرجة الكافية ليتأثر
 بها المجتمع الالمانى بأكمله ، ولم تكن عامة فى كل انحاء
 المانيا ، ولا يجب لذلك المغالاة فى تقدير قيمتها . ووقفت
 الحكومات الالمانية موقفا فى غاية التحفظ ، ولم تشأ هذه

الحكومات الوقوف ضد نابليون الا فى عام ١٨١٣ ، أى بعد أن تأكد لديها ان سقوط نابليون و هزيمته قد صار أمرا محققا وعلى اية حال فان حركة المقاومة او الثورة لم تمتد الى المانيا الغربية ، بل بقيت لا تتعدى المانيا الشرقية والشمالية . وهكذا لم تكن هذه الحركة - كما اشرنا - ثورة عارمة همت المانيا بأسرها ضد السيطرة الفرنسية ، ولو انه مما لا شك فيه ان المانيا فى مجموعها قد قامت بالثورة فعلا ، مدفوعة بعاطفة او شعور الكراهية الشديدة ضد فرنسا . ولقد كان على اساس هذه الكراهية لفرنسا وللاحتلال الفرنسى فى البلاد ان ارتكزت نهائيا وبصورة حاسمة العاطفة او الشعور القومى فى المانيا .

و بعد عام ١٨١٥ تمت تصفية الجماعة الوطنية فى المانيا التى كانت قد نشأت منذ عام ١٨١٣ لمقاومة السيطرة الفرنسية النابليونية و خوض غمار الحرب لتحرير المانيا . وهناك اسباب عدة لتصفية هذه الجماعة الوطنية ، لعل اهمها الشعور بخيبة الامل عندما هدم الوطنيون فى معاهدات الصلح التى أنهت الصراع فى اوروبا ضد نابليون وأخرجت فرنسا من الحرب بشروط افضل كثيرا مما كان ينبغى . وفسر السوطنيون الالمان كل الذى حدث لبلادهم بأنها كانت ضعيف لدرجة اغراء الغير بها ، فلوان المانيا

كانت دولة موحدة ،بدلا من كل تلك الامارات والدويلات المتفرقة ،لسارت الاحداث فى طريق آخر . وثمة خيبة أمل كبيرة اخرى هى ان الوطنيين الالمان لم يظفروا باعادة الامبراطورية الالمانية . لقد كان حلمهم الكبير ان تتأسس وحدة بالمانيا مرة ثانية - باعتبار ان هذه الوحدة كانت موجودة فى القرن العاشر الميلادى فى عهد الامبراطور اوتو الاول Otto I و عقد الوطنيون الالمان آمالا كبيرة على انشاء هذه الوحدة بعد الحروب النابليونية .

على ان الذى حدث فى تسويات الملح فى فيينا ،لم يكن ما أراده هؤلاء الوطنيون الالمان ،فتعذر تأسيس الامبراطورية الالمانية من جديد عندما لم تشأ النمسا ان يكون تاج الامبراطورية الالمانى من نصيبها ،ورفضت بروسيا ان تقبوم سلطة أعلى تدين لها المملكة البروسية بالطاعة، ووجد المؤتمر لذلك انه بدلا من اعادة تأسيس الوحدة او الامبراطورية الالمانية ،قد اخرج الى عالم الوحد ذلك الاتحاد الالمانى الكونفدرالى - الذى لم يكن حتى دولة اتحادية فدرائية بل انشا نوعا من الدولة المتوازنة ،اي التى تقوم فى الاعتبار الاول على توزيع القوى بين وحدات سياسية متعددة بها بصورة تحفظ التوازن بين هذه القوى المجزاة جميعها ، وذلك لضمان ان يسود السلم المانيا فلا تكون مصدر أخطار

على جيرانها فى اوروبا . ولقد ساد السلم حقيقة المانيا ، فلم تكن فى السنوات التالية ، حتى منتصف القرن التاسع عشر مصدر اخطار على جيرانها ، ولكن السبب الرئيسى فى ذلك كان الجمود الذى آصاب المانيا ، وهدم الحركة الذى أفقدها نشاطها عقب تسويات السلم فى فيينا . وازاء هذا الفشل فى اعادة الوحدة الامبراطورية الالمانية ، لم يحرك سواد الشعب الالمانى ساكنا ، ذلك بأن المحلية او الاقليمية ، كانت لاتزال متسلطة على افكار الناس هموما ، ولاتزال الشعوب متعلقة بحكامها وأمرائها القدامى فى شتى الدويلات والامارات التى تألفت منها المانيا .

وشغل الالمان بمعويات الحياة المادية عقب الحسرب و نفذت قوى المانيا بعد ان ظلت ساحة قتال خلال سنوات يضاف الى ذلك رداة المحصول عام ١٨١٦ ، والمجاعة فى شتاء وربيع ١٨١٧ ، ومعانات المتسولين التى تجوب البلاد ، والاضرار التى لحقت بالصناعة الالمانية بعد أن أغرقتها المنتجات الصناعية الانجليزية ، ولم تستطع بين منتجاتها بسبب التعرفة الجمركية العالية التى وضعتها فرنسا على الحدود من جهة روسيا من جهة أخرى . وهذه الاوضاع القهرية جعلت البورجوازيين و الفلاحين يفكرون فى حالتهم المادية دون ان يسموا بأنظارهم الى اعلى من ذلك . كما تبسدت آمال الوطنيين الالمان عندما لم يظفروا بالحرية الداخلية

التي أرادوها و التي بذل المسؤولون في بروسيا مثل شتين وفردريك وليم الوعود بتحقيقها في النداءات العديدة التي وجهها هؤلاء للشعب اثناء النضال ضد نابليون و السيطرة الفرنسية . و كانت اقرب الوعود التي نادى بها فردريك وليم الثالث في عام ١٨١٥ عندما منح شعبه بالدستور ومع ذلك فقد شك في ذلك بعض الوطنيين الالمان .

ومع ذلك فقد أمكن ان تعيش الحركة القومية بين شباب الجامعات . فلقد كان من بين الطلاب ان جاءت العنصر الوطنية الاولى ، التي حملت السلاح في عام ١٨١٣ وبين شباب الجامعات هؤلاء أمكن الاحتفاظ بزوح النضال القديمة . وكان لهم زعماء يعتمدون عليهم مثل الضابط القديم جahn فقد جعل نفسه داعيا للتربية البدنية وألف في المانيا جمعيات رياضية بعد ان تعلم أصول هذه التربية فـ في الدانمرك ، وكان يكره كل ما هو فرنسي ، أو يمت بملحة الفرنسية وكانت هذه الشبيبة التي التفت حول جahn تظهر عواطفها بخفة وطفولة ، ومن العبث ان نقول انه كان لديهم اي نظرية في السياسة . ان كل ما يريدونه هو تأمين عظمة المانيا بتحريرها من كل نفوذ اجنبي . على ان نوما من عمليات التطهير لم يلبث ان حدث في هذا الوسط الشديد الغليان تحت نفوذ المؤرخ لودن (Luden) أحد اساتذة جامعة بيينا . وبفضل هذا الاستاذ تشكلت رابطة طلاب غرضها تخليص

الطلاب من النقابات القديمة التي يرجع عهدها الى العصر الوسيط وجمعهم في اتحاد يسمى برشنشافت (Burchenschaft) أى اتحاد الرفقاء تسوده روح أسمى او أكثر وطنية وقومية . وقد اتخذ هؤلاء الطلاب العلم المثلث الالوان : الاسود والاحمر والذهبي . و كانوا طلابا جديدين مخلصين و فـى الغالب أتقياء ، و نظموا فروعا لاتحاد البرشنشافت فـى جميع الجامعات او على الاقل فى مختلف أنحاء المانيا . وفى مايو ١٨١٨ اجتمع مندوبون من اربع عشر جامعة لتأليف اتحاد المانى للبرشنشافت .

و فى هذا الوسط الجامعى وحدث جامعة قوية بروحها وهى جامعة جيسين (Giessen) الصغيرة فـى اماره هس - كاسل و قد وجد فيها جمهورى راديكالى لـه مذهب خاص ويعتبر مبشرا بالقضاء على الظلم والظغيان ، ويسمى كارل فولن (Follon) التفاحوله الطلاب وتبعوه فى مذهبه وأطلقوا على انفسهم المتصلبين الذين لايقبلون اتفاقا أو تفاهما . وأثارتهم فصاحة كارل فولن فكانوا شعلة نار يتقدون حماسة واندفاعا و تطرفا . وشعر هؤلاء الشبان بالكراهية الشديدة للشاعر والروائى كوتزبيو Cotzebue صديق القيصر ،والذى كان يبعث اليه بتقرير كل شهر عن التيارات الفكرية والحوادث فى المانيا .

وأقام كوتزيبو دعوى على فولن الامر الذى أشار حفيظة الطلاب و سخطهم لدرجة ان أحد هؤلاء قتله فى مارس ١٨١٩ . ولقد أشار مقتل كوتزيبو عاصفة من الشعور الجامح، وعلى ذلك اقترحت ساكس فايمر وبروسيا ان يتخذ الدايت المنعقد فى فرانكفورت الاجراءات الكفيلة بوقف هذه الحركات فى الجامعات، وقابل ملك بروسيا فردريك وليم الثالث، مترنيخ، ثم اجتمع فى كارلسباد برياسة مترنيخ ممثلو تسع حكومات واتخذوا طائفة من القرارات الرجعية سميت بمرسومات كارلسباد أجازها دايت الاتحاد الالمانى فى فرانكفورت فى ٢٠ سبتمبر ١٨١٩ . فألغيت جمعيات او اتحادات الطلبة، وحلت جمعيات البرشنشافت، وأنشئت فى كل جامعة لجنة لم تكن مهمتها مقصورة وحسب على مراقبة نشاط الاساتذة و محاضراتهم، بل كان من حق اللجنة ابطال محاضرات الاساتذة و ابعاد هؤلاء عند الضرورة من الكليات التى يعملون بها . و خضع الطلاب لنفس الرقابة، وزيادة على ذلك، فقد أنشئت الرقابة على الصحف لمدة خمس سنوات و أقيمت لجنة تحقيق فى ماينز للبحث من اصول الحركات الثورية و مبلغ نشاطها، فألقى القبض فى بروسيا مثلا على عدد كبير من الطلاب، ووقعت عليهم عقوبة السجن مددا تتراوح بين اثنتي عشرة و خمس عشرة سنة .

على ان كل تلك المحاولات لكتم صوت المطالبة بالحريية
والوحدة الالمانية ، لم تمنع كثيرا من الامارات الالمانية
من اصدار دساتير لها فى الاعوام ١٨١٤ - ١٨١٩ ، و بمقتضاها
اصبح لكل امارة ممن اخذت بذلك النظام برلمان محلى يتكون
من مجلسين ؛ مجلس للاشراف ، و مجلس للعمامة . وبدأت رغبة
الجماهير الالمانية فى الاتحاد تظهر فى الاغانى و الحفلات
العمامة ، الا انها لم تكن اكثر من مشاعر لم تنظم على وجهه
يسمح للوحدة بالتحقق . ذلك ان الامارات سارت كل فى طريقها
لها عملتها الخاصة وموازينها ومقاييسها مما حد من الوحدة
الاقتصادية بينها . بيد ان الادارة البروسية كانت صاحبة
الفضل فى خلق او منع ذلك الاتحاد الجمركى الذى انتهى الامر
بامتداده حتى شمل القسم الاعظم من المانيا و نعى بذلك
الزولفرين Zollverein الذى كان له اكبر الاثر
فى منع الاتحاد الالمانى فى النهاية . وكان فردريك ليست
(١٧٨٩ - ١٨٤٦) أستاذ الاقتصاد السياسى بجامعة توبنجن
قد روج لفكرة انشاء اتحاد كونفدرالى لازالة الحواجز
الجمركية بين مختلف الامارات الالمانية ووضع تعريفه موحدة ،
وانشاء الوحدة الاقتصادية . على ان مشروعات فردريك ليست
كان يغلب عليها الخيال . وكان فردريك نبينوس وزير مالية
بادن ، صاحب فضل فى قيام الزولفرين . والحقيقة فى رأى
الكثيرين ، ان الزولفرين لم يكن فى فكرته الاساسية

وبالطريقة التى تم منعه بها من خلق فردريك ليست أو كارل
بنينوس، فقد كان كلاهما يدين بوجهة نظر المانية و ليس
بوجهة نظر بروسية، بل ان مشروعاتهما كانت ترتيبات
مبعثها المعارضة ضد بروسيا، وكرد فعل لنشاط بروسيا
ومحاولاتها من اجل اصلاح نظمها الجمركية .

و الجدير بالذكر ان الزولفرين كان اجراء اقتصاديا،
وليس عملا سياسيا، ولم يكن من منع رجال السياسة القوميين،
بل كان من تنفيذ الاداريين البروسيين : فون ماسسن
(Maassen) من رجال الاقتصاد المعدودين، ومن
انصار حرية التجارة، ثم فون موتز (Motz) والذى
يعنينا على وجه الخصوص فى تاريخ الزولفرين، هو معرفة
المسألة بين هذا الاتحاد الجمركى و فكرة القومية الالمانية
ومما تجدر ملاحظته فى هذه المسألة اولا ان الزولفرين
لم يكن يشمل كل المانيا، بل بقيت خارجة عن هذا الاتحاد
الجمركى ثلاث عشرة دولة كانت على نوهين مختلفين، أنشأت
جماعة منها نوعا من الاتحاد الجمركى كذلك عرف باسم
ستورفرين (Steuerverein) أى الاتحاد
الضريبى و تكون من خمس دول . أما بقية الدول الثمان
فقد احتفظت بوضعها المستقل عن كلا الاتحادين : الزولفرين
والستورفرين . وفيما يتعلق بالدول او الحكومات التى

تألف منها الزولفرين فمع انه كان يربط بينها جميعا
الاتحاد الجمركى ، فقد احتفظت كل منها بأنظمتها الخاصة
فى مسائل الضرائب غير المباشرة و الموازين و المقاييس
والعملة المتداولة ، والمكوس الداخلية ، وغير ذلك . و هكذا
لم يكن يتشكل من كل المانيا و لامن الزولفرين نفسه
ما يمكن تسميته من وجهه النظر الاقتصادية و التجارية ،
بدولة موحدة ، كما لم يظهر الزولفرين الى عالم الوجود
نتيجة لحركة مبعثها يقظة الشعور او الضمير العام
الالمانى الى الحاجة له .

وثمة مسألة اخرى يجب مناقشتها ، هى تحديد الاثر الذى
كان للزولفرين فى انشاء وحدة المانيا السياسية . فمن
الآراء المسلم بها عند جمهرة الكتاب والمؤرخين ان
الزولفرين قد مهد للوحدة الالمانية ، وان الالمان منذ ان
تسنى لهم تحقيق هذا الاتحاد الجمركى قد بدأوا يعملون
لتأسيس وحدتهم السياسية . حقيقة ان عددا من الالمان
عقدوا آمالا كبيرة على الاتحاد الجمركى كوسيلة مؤدية
للاتحاد السيلسى ولكن النتائج السياسية التى انجلى عنها
الزولفرين من ناحية منع و اتمام الوحدة الالمانية ، فقد
اقتضى مرور زمن طويل قبل تحقيقها ، حيث انه كان فى عام
١٨٦٧ فقط ، اى بعد مضى ثلاثين سنة و نيف ، ان تأسس الاتحاد
الالمانى الكونفدرالى الجديد بزعامة بروسيا . و خلال

هذه السنوات الثلاثين لم يخدم الزولفرين شعور الاقليمية
أو المحلية . ولم يكن للزولفرين أى أثر ايجابى فى ثورة
١٨٤٨ ، ثم ان الزولفرين لم يستطع منع الدول الالمانية
فى عام ١٨٦٦ من اعلان انضمامها الى النمسا فى الحرب
الداشرة بين هذه الاخيرة وبين بروسيا ، والانحياز الى
جانب النمسا ضد بروسيا و تلك جميعها حقائق تنهض دليلا
فى نظر الكثيرين على ان الزولفرين لم يمهّد للوحدة
السياسية فى المانيا ، ولم يكن الأداة التى جعلت المانيا
تسير مسرعة فى طريقها . وذلك مثلما لم يكن أملا للزولفرين
فى الوقت نفسه منشاء الحركة القومية الالمانية او ليدها .

وكان لثورة عام ١٨٣٠ فى فرنسا هدى فى الولايات
الالمانية المختلفة . ولكن تبين من احداث هذه الثورة
ان الشعب الالمانى كانت تعوزه التربية السياسية ، و ان
الروح القومية كانت محدودة و ضئيلة الاهمية . فلم تعمد
هذه الثورة مجرد القيام بمظاهرات ذات صبغ وضوضاء و حسب
ولم تكن ترقى بحال حتى الى مرتبة محاولة ثورية على خلاف
ما شهدناه تماما فى ثورات عام ١٨٣٠ التى حدثت فى ايطاليا
ومما يجدر ذكره ان الاقاليم البروسية بقيت ساكنة هادئة ،
بالرغم من كل هذه الاضطرابات المنتشرة فى انحاء المانيا .
وعلى اية حال كانت الفكرة الحرة فى ثورة ١٨٣٠ تفوق
كثيرا الفكرة القومية وتعلو عليها . ويؤيد هذا القول

ان كارل فون روتيك زعيم الاحرار فى جنوب المانيا، ذكر
 فى خطاب له فى عام ١٨٣٢ انه منحاز لوحدة المانيا ويرجوها
 ويريدها ويتمناها، ويطالب بها ويصر عليها، لان الوحدة
 وحدها فقط فى حقل الشؤون او العلاقات الخارجية هى التى
 تجعل من المانيا دولة قوية توحى بالاحترام، ولأن الوحدة
 وحدها فقط هى التى تمنع عن المانيا وقاحة الاجانب (أى
 الدولة الاجنبية) و تحول دون اعتدائهم على حقـــــــوق
 الالمان القومية " او الاهلية " . وواضح ان روتيك كان
 فى تفكيره يربط ربطا وثيقا بين مطلب الوحدة الالمانية
 وبين عظمة المانيا الخارجية اكثر مما كان يدمو لحصول
 تغيير جوهري يشمل بلاده . ولقد استمر روتيك يقول: " انى
 اريد الوحدة ، ولكن على ان تتم هذه الوحدة مقترنة
 بالحرية ، بل انى أؤثر كثيرا الحرية بدون الوحدة ، على
 مجرد الظفر بالوحدة من غير الحرية " . ومن ناحية اخرى
 تنكرت حركة الاحرار هذه لبروسيا الرجعية و ادارت لها
 ظهرها بصورة ظاهرة مقصودة . وكانت نتيجة حركة الاحرار
 هذه وثورة ١٨٣٠ انتصار الرجعية ودعم أركان الحكــــم
 التعسفى . وساد الركود المانيا ، وخيم عليها الفتــــور
 سريعا ، واستطال هذا الخمول عدة سنوات ، فم تنفض المانيا
 عنها هذا الركود الاغشية عام ١٨٤٨ . فبقيت المانيا حتى عام
 ١٨٤٧ تخضع لنفس النظام ، وتسود بها الحال التى كانت عليها
 فى عام ١٨١٥ .

تولى فريدريك وليم الرابع (١٨٤٠ - ١٨٦١) عرش بروسيا عام ١٨٤٠ سلسلة من الاجراءات التحريرية فأطلق سراح كثير من المسجونين السياسيين وأعضاء جمعيات فيران المانيش وبدأ الفرنسيون في تلك الآونة يفكرون في استعادة الاراضى الالمانية على مسار نهر الراين ، مما أشار مشاور الالمان نحو قوميتهم ، وتعالى الصيحات بحرية المانيش وان فريدريك وليم الرابع لم يكن مستعدا لسماع صوت الشعب على حقيقته ، فدعا عام ١٨٤٧ الى اجتماع في برلين حضره ممثلو الطبقات في المقاطعات البروسية الثمانية ، وهم ممثلوا الاشراف وكبار الملاك و المدن ، وغلبت على الاجتماع روح تحريرية الا ان الاقلية المحافظة وقفت في صف الملك . ولما رفض ذلك البرلمان الموافقة على جميع الاموال اللازمة للملك لبناء خطوط جديدة من السكك الحديدية شارت شاعر الملك وإرجعهم من حيث أتوا ، وأشار هذا التعريف من الملك روح الاستياء بين الناس وامت المظاهرات والاشتباكات برلين مما اضطر الملك الى الاستجابة لمطالب الشعب . فوجد الملك شعبه في مارس ١٨٤٨ بالدستور و الحياة النيابية في بروسيا مع الغاء الرقابة على الصحف . حدث ذلك الوعد يوم ١٧ مارس ١٨٤٨ وتجمعت جموع الشعب امام قصر الملك في برلين محيية ولكن سوء تفاهم وقع بين الجنود والعامه او ادى الى اشتباكات دموية ، دافع فيها العمال والطلبة

والمواطنون عن أنفسهم وهم عزل دفاعا مجيدا وسقط ١٨٣ شهيدا
وسحب الملك جيشه ازاء تأزم الموقف وسيطرت لجنة دفاع من
الشعب على الموقف في برلين و خرج الملك البروسي يــــوم
٢١ مارس ١٨٤٨ في موكب شعبي يرفع الاعلام السوداء الحمراء
الذهبية بألوانها الثلاثة شارة الوحدة الالمانية و خطب
الملك في الجماهير معلنا ان هدفه هو حرية المانيــــــــــــــا
ووجدتها .

وعلى اثر انتصار الثورة في برلين افتتح الملك يوم ٢٢ مايو ١٨٤٨ الجمعية الوطنية المنتخبة التي كان عليها ان تعد دستورا للبلاد . وكانت الاغلبية بها للاعضاء الديمقراطيين ولكن الملك بعد ان هدا الموقف وتأكد من وقوف الجيش الى جواره أهمل تلك الجمعية الوطنية، ثم حلها وأعطى البلاد دستورا حسب مشيئته وأعطى للمحافظين كل السلطة و ظل هذا الدستور المفروض قائما حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ورغم انه قد رفض من أغلب الجهات على انه كان خطوة وشيء خير من لا شيء . لقد أقر ذلك الدستور بزلمان من مجلسين : المجلس الاول وهو مجلس السادة ويتكون من ممثلى الامراء و كبار الملاك وممثلى المدن والجامعات من المؤيدين للملك ، والثانى و هو مجلس النواب ينتخب اعضاؤه على مرحلتين . وقسم الناخبون فى كل اقليم الى ثلاثة اقسام حسب ما يصدقونه من الضرائب ، فكان

القسم الاول يضم الاثرياء وكان القسم الثانى يضم ذوى الدخل المتوسط ، و القسم الثالث الوفير العدد يضم الفقراء من دافعى الضرائب . و كان كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة يختار علنا عددا مساويا للتسمين الآخرين . ويجتمع الافراد المنتخبون من الاقسام الثلاثة ثم يختارون بالاقتراع السرى نواب المجلس .

فى يوم ٣١ مارس ١٨٤٨ اجتمع فى مدينة فرانكفورت ٦٠٠ شخص من مختلف طبقات الشعب ليضعوا اساسا لبناء المانيا من جديد . ولم يكن هؤلاء الاشخاص يمثلون الاتحاد الالمانى او مختارين من الامارات الالمانية او منتخبين بأية طريقة من الطرق . وكونوا فيما بينهم ما أسموه بالبرلمان المؤقت وقرروا اجراء انتخابات عامة للمؤتمر الوطنى التى كان عليها ان تفع دستورا لالمانيا . واعترفت الولايات الالمانية كلها بهذه القرارات . وأجريت الانتخابات واجتمع المؤتمر الوطنى يوم ١٨ مايو ١٨٤٨ فى فرانكفورت ، وانتخب المؤتمر رئيسا ونائبا للرئيس ثم تقدموا فى مظاهرة ضخمة خلال المدينة الى كنيسة القديس باول وحيت الجماهير الاعضاء تحية رائعة ، ودقت الكنائس اجراسها وأطلقت المدفعية تحية لهم . وازدانت البيوت بأعلام الوحدة باللوانى الثلاثة الاسود والاحمر والذهبى . وكان بين الاعضاء المنتخبين حوالى ٢٢٣ قانونيا و ١١٨ موظفا و ١٠٦ من رجال الجامعات

وعدد قليل من الفلاحين ولم يمثل العمال . وبرزت منذ المناقشات الاولى للمؤتمر اتجاهات ثلاث :

- (١) مجموعة من الاءفاء لائرى ساء الكثير من امثياسازات واءقوق الامراء فى الاقاليم . ومثل هؤلاء المحافظون اتجاها يمينيا فى المؤتمر .
- (٢) مجموعة راءيكالية مثلت اليسار ، واءانت ارغب فى دولة المانية بلا امراء وبلا قيصر اءكمها اءومة يناءبها الشعب ، اى اءمهورية . وسمى هؤلاء بالاءيمقراطيين او المركزيين ، لانهم اءاءوا بءولة مركزية بلا اقاليم واءانت الغالبية ممثلة فى المجموعة الثالثة من الااءرار الذين رفاءوا الاء الراءيكالى الذى اءاى به اليساريون . واءان اءلبهم يرغبون فى قيام دولة المانية اءاءدية اءكون للاقاليم فيها اءوقا و اءمثل فى اءكومة اءاءاءية ، وسمى هؤلاء بالاءاءاءيين او الفاءراءيين . واءاوا يرون ان يقوم على راس الدولة اءاءاءية قيصر ياء من سلطانها برلمان مناءبها و مثل هؤلاء اءجاه الوسط و اءاوا فعلا ياءسون فى وسط الماااس ، بينما كان المحافظون ياءسون الى يمين الرئيس ، و الراءيكاليون ياءسون الى يساره .

وقرر المؤتمر قبل باء باء مسألة الدستور واء السلطانية مؤقتا فى ياء شاء يكون مايشبه الوزارة المؤقتة للرايس

الالمانى ، واختير الدوق النمساوى يوحان • واعترفت الامارات
الالمانية به ، ولكن بروسيا والنمسا عارضتا خضوع جيوشهما
لسلطته وبدأ للمجلس واضحا ان كلا من الدولتين لاترغب
فى التنازل عن شىء من سلطاتها • وزاد من شكوكهما ان
النمسا نفذت حكم الاعدام فى بعض المطالبين بالحرية فى
الثورات التى همت قينا قبل ذلك ببضع شهور • وتآمرت
انجلترا وروسيا كذلك فى الخارج ضد بروسيا وأرغماها
فى اغسطس ١٨٤٨ على عقد الملح مع الدانمرك بشروط مجففة
واضطر المؤتمر القومى على التوقيع على تلك الاتفاقية
برغم أنه لانه لم يكن يملك أية قوة يستطيع بها الممود
فى وجه انجلترا وروسيا •

واستمرت المناقشات عدة اشهر فى المؤتمر الوطنى
واخيرا استقر رأى الاغلبية على ان تقوم فى المانيا كلها
مداء النمسا ، لوجود اجناس مختلفة بها ، دولة اتحادية
على رأسها قيصر وراش ، وان يعهد بذلك لملك بروسيا
فردريك وليم الرابع • وسافر ٣٢ عضوا ومعهم رئيس المؤتمر
الى برلين ليقدّموا تاج القيصريّة الالمانية لفردريك وليم
الرابع ملك بروسيا • وكانت المفاجأة التى حطمت اعمال
المؤتمر وجهوده كلها ان ملك بروسيا فريدريك وليم الرابع
رفض فى مارس ١٨٤٩ قبول التاج وذلك للأسباب التالية :

- أولا : لانه جاء من قبل نواب الشعب ، لامن قبل الامراء
أنفسهم .
- ثانيا : لأن أمراء سكسونيا ورتمبرج وهانوفر رفضوا
ان يعترفوا لامير مثلهم بالزعامة عليهم .
- ثالثا : لان النمسا التي شغلتها حوادث عام ١٨٤٨ وعرفتھا
عن البحث في شؤون المانيا بدأت تنهض من
كبوتها وتدخل ميدان السياسة الالمانية من
جديد بقيادة وزيرها المحنك شفارتزنبرج
وتحتج على قرار اخراج النمسا من الاتحاد الالمانى
وعلى اسناد الامبراطورية لبروسيا . ولما كانت
النمسا قد هزمت على تأييد احتجاجها بالقوة ،
وكانت بروسيا على غير استعداد لمقابلة القوة
بمثلها ، فقد رفض ملكها قبول التناج . وعمت
المظاهرات والاشتباكات أنحاء الدويلات الالمانية
ولكن الامراء استطاعوا بالقوة وسفك الدماء
تكميم الافواه ، بل ان روسيا أرسلت جيوشها
لتقضى على الثورة في بادن . وضاعت فرصة
الوحدة الالمانية على الشعب الالمانى بسبب
رفض فردريك وليام الرابع التناج . على ان ذلك
المؤتمر الوطنى في الواقع قد وضع الاساس
الفعلى لكل ماكتبه لالمانيا ان تشاهده في
السنوات المقبلة .

وإذا كانت ثورة المانيا عام ١٨٤٨ قد فشلت فى تحقيق
 الوحدة الالمانية، الا انها حققت بعض أهدافها فى الحرية
 والمشاركة الشعبية فى الحكم ولو بصورة جزئية . على ان
 الرغبة فى توحيد المانيا ظلت حية فى ضمير الشعب . ولقد
 حاول الملك فردريك وليم الرابع ملك بروسيا بعد رفضه لتاج
 المانيا عام ١٨٤٨ أن يعمل بطريقته الخاصة فى سبيل
 تحقيق الوحدة الالمانية . لقد حاول عن طريق عقد اتفاقيات
 مع الامراء الالمان تأسيس دولة اتحادية ، لاتشمل النمسا ولكن
 تحوز موافقتها على ان تعقد تلك الدولة الاتحادية الالمانية
 معاهدة دائمة مع مملكة الدانوب النمسية . ولكن
 شفارتزنبرج رئيس وزراء النمسا ، حارب فكرة قيام دولة
 المانية تحت زعامة بروسيا . وبرغم ذلك سار فردريك وليم
 الرابع فى تنفيذ مخططه ، على انه اضطر الى التخلّى عن
 فكرته عندما هدد شفارتزنبرج بالحرب وخاصة بعد ان حصل
 على تأييد روسيا له . كان شفارتزنبرج معصما على اعادة
 البوند (Bund) القديم وتوكيد سيادة النمسا فى
 المانيا من جديد ، ولم يكن بوسعها ان يحقق هذه الغاية
 دون ان يتزل ببروسيا مهانة تخطف الابصار . وفى اواخر
 ١٨٥٠ أشعلت الاضطرابات التى قامت فى هس - كاسل (Hesse -
 Cassel) عود الشهاب فى برميل البارود . ولكن
 شفارتزنبرج لم يكن ليرضى بأن تكسب بروسيا المزيد من

الهيبة بإعادة النظام هناك . لقد هزم على ان تلعب
النمسا ذلك الدور و تأهب لدخول هس - كاسل بجيش نمسوى
قوامه ٢٠٠.٠٠٠ رجل . فأعلنت بروسيا التعبئة ردا على
ذلك ، ووقع الهدام فعلا بين القوات البروسية والبافاروية .
لقد كان شقارتزنبرج يعتقد تماما فى قدرته عسكريا على
كسر شوكة بروسيا بعكس فردريك وليم الرابع الذى كان يشك
فى مقدرة جيشه . ولذلك قبل الشروط التى قدمها شقارتزنبرج
فكانت ادلا لاهرف باسم اولمترز (Olmutz) فى
٢٨ نوفمبر ١٨٥٠ ، وتلخصت مطالب شقارتزنبرج فيما يلى :

- أولا : عودة الدايت الالمانى القديم تحت زعامة النمسا .
- ثانيا : تخلى بروسيا عن العصبة التى كونتها من الامراء
الالمان تحت ادارتها .
- ثالثا : قبول بروسيا عقد اجتماع للدول الاعضاء فى
الاتحاد الالمانى الذى سيعهد اليه اعادة بناء
ذلك الاتحاد .

وهكذا كانت المهانة المؤسفة التى حاقت ببروسيا
فى اولمترز تمثل اسفل درك بلغته فى هاوية الجبن والاستسلام
لقد آتاحت لبروسيا الفرصة كفى تصبح الدولة الاولى فى
المانيا ، وإتيحت لملكها الفرصة لان يضع فوق راسه التاج
الامبراطورى ، فكان كل ما فعلته ان زادت الاغلال التى تقيد

المانيا و هي راقدة تحت اقدام شقارتزنبرج . وبدأ ان مهانة
اولمتز سوف تجعل الوحدة الالمانية أبعد منالا من أى وقت
مضى وتجرد بروسيا نهائيا من أهليتها لحمل لواء هذه
الوحدة . على ان بسمارك دافع عن تلك الاتفاقية قائلاً
انه لم يكن امام بروسيا من حل سواها وخاصة وهي على غير
استعداد لخوض الحرب . وهكذا عاد الدايت (البوندستاغ)
الالمانى القديم للانعقاد وأرسلت بروسيا مندوبا منها اليه
فى فرانكفورت ، وكان أول مندوب لها هو اوتو فون بسمارك
(Prince Otto von Bismarck) .

كان بسمارك ينتسب الى عائلة من الاشراف ، وكان أبوه
ضابطا بالجيش ولكنه تقاعد لخلاف بينه وبين الملك ، ومضى
الى ضيعته فى شينهاوزن يصرف شؤونها . أما أمه فتنتسب
لعائلة من المتعلمين المشتغلين بوظائف الدولة ، و منها
ورث حب الادب . و تلقى بسمارك تعليمه الثانوى فى برلين ،
ثم درس القانون فى جوتينجن وبرلين ، ثم دخل فى خدمة الدولة
البروسية . ولكنه لم يلبث ان مل الوظيفة وعاد ليرعى
أملاك الاسرة فى بوميرانيا ، حيث عكف على القراءة الطويلة
الخروج للميد . وبدأ بسمارك حياته السياسية كعضو فى
البرلمان المحلى لبروسيا ، ثم اختاره الملك فردريك وليام
الرابع مندوبا عن بروسيا فى البوند ستاج الالمانى المنعقد

فى فرانكفورت عام ١٨٥١ • وكان رضا الملك هذه منبعثا من آرائه المحافظة والمؤيدة لحقوق الملك ضد المناديين بتمثيل الشعب فى الحكم • وفى فرانكفورت أيقن بسمارك من جلسات البوند ستاج الذى ترأسه مندوب النمسا، ان المشكلة الألمانية لن تحل بسهولة وانه لابد من استخدام القوة • لقد أيقن ان الاتفاق مستحيل بين النمسا وبروسيا، وتأكدت نظرة بسمارك للامور بعد عمله سفيرا لبلاده فى بطرسبرج بروسيا ثم فى باريس •

وفى عام ١٨٥٨ اضطر فردريك وليم الرابع الى التنازل عن عرش بروسيا بسبب مرض عقلى ألم به ، وأخذ أخوه وليهم الوصاية على العرش • ولم يكن وليم محبوبا من جماهير الشعب فى بروسيا ، لان البرلينييين رأوا فيه المحرض ضد مظاهرات ١٨٤٨ و المتسبب الاول فى مصرع الشهيد آنذاك ، مما اضطره حينئذ للهرب الى انجلترا • على ان تلك السنوات التى مضت قد اظهرته كما لو كان قد أصبح اكثر ايمانا بالمبادئ التحررية السائدة • وكان اسناده الوزارة عند تولية الوصاية لوزراء من الاحرار خير دليل على بدايته عهد جديد • و كان ذلك الوصى الكهل جنديا بمعنى الكلمة ، يحرص على تقوية الجيش البروسى كل الحرص حتى لا تتعرض كرامة بروسيا للمهانة مرة أخرى • وبدأ الوصى ووزير الحرب رون (Roon) يعدان مشروعا لاهلح الجيش ، تكون مدة الخدمة

بمقتضاه لكل الشبان المالحين للخدمة ثلاث سنوات بدلا من سنتين ، مع زيادة الاعتمادات المالية للجيش لتمكن الدولة من تجنيد كل الشبان المالحين للخدمة بدلا من تجنيدهم لحوالى ٦٠ ٪ من العدد المتقدم لضالة الاعتمادات المالية المخصصة لهذا الغرض . ووافق مجلس النواب البروسى حيث الاغلبية للاقرار على المشروع اجمالا ، ولكنه طالب بتخفيض مدة الخدمة الى سنتين فقط توفيراً للمعروفات . وتآزم الموقف بين المجلس و الوصى ووزير حربيته و أمر كل من الجانبين على رأيه معتبرا كلمته هى الفاصلة فى هذا الموضوع . ومات فردريك وليم الرابع و أصبح وليم الوصى ملكا باسم وليم الاول عام ١٨٦١ .

وسارع وليم الاول بحل مجلس النواب المعارض لـه ، ولكن الانتخابات أتت بمجلس عدد النواب الاحرار فيه اكثر من المجلس المنحل . ولم يكن المجلس الجديد بأقل صلابة من المجلس القديم فيما يتعلق بموضوع الجيش و مدة الخدمة . ولم يجد الملك امامه وسيلة لحل ذلك الاشكال وقرر التنازل عن العرش ، وهنا نعهه رون وزير حربيته باستدعاء بسمارك سفير بروسيا فى باريس ليتولى رئاسة الوزراء ، وليتمكن بما عرف عنه من كياسة من ايجاد حل للموقف . واستدعى بسمارك فى سبتمبر ١٨٦٢ وكلفه برئاسة الوزارة البروسية و محاولة حل المشكلة . واستطاع بسمارك

ان يكسب عددا من الانصار من أعضاء المجلس النيابى ، بسبب
انه بدأ بالاتصال بفرديناند لاسال مؤسس الاتحاد العام لعمال
المانيا ، و بدأ كما لو كان بسمارك قد بدأ يميل للتعاون
مع العناصر الاشتراكية . على ان تلك الاتصالات لم تؤد الى
نتيجة و ان كانت قد حدثت من الموجة المعادية لبسمارك الذى
سار فى طريقه بحزم وصلابة فوفر للنقاد اللازمة لاصلاح الجيش
دون الحصول على موافقة البرلمان او الاكثريات به ، واحتفظ
بوجهة نظره بأن الجيش فى بروسيا أمر مقدس يجب الا يخضع
لاى سيطرة برلمانية .

مشكلة شلفيغ وهولشتين والحرب البروسية - النمسية :

وزادت سياسة بسمارك من شكوك الاحرار فى مسلكه ، ذلك
ان اتحاد ايطاليا قوى من رغبة الشعب البولندى فى قيام
دولة له ، وثار البولنديون ضد روسيا عام ١٨٦٣ و تدخلت
انجلترا وفرنسا فى الموقف ودهتا لعقد مؤتمر لحل المشكلة
البولندية . ولكن بسمارك رفض ذلك الاقتراح و أيد روسيا
فى موقفها حين أسرعت وقمعت الثورة البولندية بعنفه وهكذا
كسب بسمارك صداقة روسيا فى وقت وقعت فيه أغلب السدول
الاوروبية ضدها . وظهر بسمارك مرة أخرى كرجل محافظ مسدد
للحريات ، الى ان برزت مشكلة دوقييتى شلفيغ وهولشتين
(Schleswig - Holstein) . كانت شلفيغ دوقية
يقرب فيها العنصر الدانمركى وهو لشتين دوقية

كثرتها من الالمان ، وكان ملوك الدانمرك يحكمونهما منذ عام ١٤٩٠ ، لكنهما لم تكونا تولفان جزءا من مملكة الدانمرك وابتهزت الدانمرك فرصة الثورة الالمانية عام ١٨٤٨ وقررت ضم شلنفيج اليهما . وأعلن الاتحاد الالمانى الحرب على الدانوب و كلف بروسيا بذلك . و تدخلت انجلترا و فرنسا و أجبرتيا بروسيا على قبول الصلح ، ووضعت شلنفيج موضع النزاع تحت ادارة هيئة بروسية - دانمركية و فى عام ١٨٥٢ عقد مؤتمر فى لندن ضم بريطانيا وفرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا ، وتقرر فى هذا المؤتمر وضع شلنفيج و هولشتين فى اتحاد شخصى مع الدانمرك بشرط الا تضمهما لدولتها ، ولقد نمت تلك المعاهدة على ان يخلف ملك الدانمرك الحالى - الذى لم ينجب وريثا - زوج ابنة شقيقه كريستيان أمير جلوكسمبرج Christian Prince of Glucksburg ، وذلك فى جميع ممتلكاته كما هى ، على ان هذه الممتلكات تشمل الدوقيتين . ونمت مادة أخرى على أن المعاهدة لا تؤثر بحال فى علاقة هولشتين بالاتحاد الالمانى . ولكن دايت فرانكفورت رفض اقرارها بوصفه الجهاز " الناطق بلسان " الاتحاد الالمانى كما رفضها فردريك آوف اجستنبرج Frederick of Augustenburg المطالب الآخر بعرش الدانمرك .

ولم تراع الدانمرك شروط معاهدة لندن ، فعندما تولى الملك الجديد كريستيان التاسع العرش الدانمركى فى عام ١٨٦٣

كان من أول أعماله التمهيدى على الترتيبات التى اتخذها
سلفه لاصدار دستور جديد يوحد ممتلكاته متجاهلا الاستقلال
الذاتى التقليدى للدوقيتين . وقد كانت عضوية هولشتاين
فى الاتحاد الالمانى من العوامل التى أدت الى النشأـ
المشؤمة لهذا الاجراء . فقد زود المانيا التى كانت حساسه
بصفة خاصة لما يحدث فى الدوقيتين بالسبب الذى تحتاجه
لاشغال الحرب . فكان أن أعلن فردريك أوف اوجستنبيرج مطالبته
بعرش الدانمرك، وأيده فى ذلك دايت فرانكفورت . وقـ
الدايت تدعيم قراره بالقوات الهزيلة التى كانت تحت امرته
ولعل الدانمرك كانت تستطيع الصمود فى وجه هذه القـ
لولا ان محاربين أشد بأسا قد دخلا الحلبة، ذلك ان بروسيا
والنمسا ماكانتا لتقفان موقف المتفرج وتتركان هـ
القرارات الكبرى بين يدى الدول الصغرى . واستطاع بسمارك
اقناع النمسا بمشاركته فى الحرب ضد الدانمرك من اجل
الدوقيتين . ورات النمسا ألا تتأخر حتى لاتتهم باهمالها
للمصالح الالمانية . وتقدمت جيوش النمسا وبروسيا وغزت
الدوقيتين فى يناير ١٨٦٤ . و نظرت اوروبا الى هذه الخطوة
بعين الانزعاج والعطف العام على تلك الدولة الصغرى التى
تعرضت لهجوم دولتين كبيرين ، ولكن لم تكن هناك دولة
بذاتها او مجموعة من الدول على استعداد للتدخل . فالنرويج
والسويد جعلتا تتابعان الموقف بعين العطف على الدانمرك
الا انهما لم تحركا سناكنا، واستخدم بامستون عبارات يفهم

منها أن انجلترا لن تقف مكتوفة الايدي حيال غزو الدانمرك، ولكنه لم يتجاوز حد الكلام، فعندما آن أوان الجد لم توفيه المعارضة ولا الملكة وانقلبت عليه أغلبية أعضاء وزارته أما نابليون الثالث فكان مشغولا بالمسألة المكسيكية الشائكة، ولم يكن فى تلك اللحظة على علاقة طيبة بانجلترا. ثم انه كان قد نصب نفسه مدافعا عن مبدأ القومية، والامذار كانت تلتبس للدولتين الالمانيتين باعتبار تصرفهما خطوة نحو الوحدة القومية الالمانية. وهكذا حالت أقواله وأفعاله بالنسبة لاييطاليا دون تصديه لبروسيا والنمسا فى المانيا. ولم يبق اذن الا روسيا، ولكن بسفارك كان قد ضمن حيادها بموقفه من الثورة البولندية.

ولما أصبحت هزيمة الدانمرك محققة دعى مؤتمر لانعقاد فى لندن، ولكن الشروط التى عرضها المنتصرون كانت أقسى من أن تسمح بتسوية الموقف، فكان أن استمرت الحرب حتى تم طرد الحكومة الدانمركية من أراضيها الأصلية مما اضطرها إلى قبول الشروط التى أملاها العدو الظافر، وهى شروط تثبىر الدهشة والعجب. فالمفروض أن بروسيا والنمسا كانتا تتصرفان بوصفهما منفذتين لمشیئة الاتحاد الالمانى ومصلحة فردريك أوف اوجستنبيرج، ولكن موكلیهم خرجوا من الامر مفر الیدين، بينما استأثرتا هما بكل شىء. فقد أعلنت معاهدة الصلح التى تعجل

عقدتها - بسمارك اذ كان أخشى ما يخشاه دائما هو تدخل مؤتمر
 اوروبي - أعلنت تخلى ملك الدانمرك " عن جميع حقوقه على
 دوقيات شلزنفيج وهولشتاين ولاونبرج (Lauenburg) لصالح
 صاحبى الجلالة ملك بروسيا وامبراطور النمسا". لقد أغفل
 الاتحاد الالماني اغفالا تاما، وأهملت مساعي انجلترا وفرنسا
 للتدخل فى التسوية، وعمول دوق اوجستنبيرج الذى تدخلت بروسيا
 والنمسا نيابة عنه فيما بدا، بازدياد تام . وقد أجرى فى
 برلين بحث فى الوضع القانونى لوراثة عرش الدانمرك، أعلن
 على أثره أن كريستيان التاسع هو الوريث الشرعى الوحيد
 للتاج الدانمركى والدوقيتين جميعا وأن له بناء على ذلك
 مطلق الحق فى التنازل عنهما فى المعاهدة . وهكذا لم يبق
 على النمسا وبروسيا ونظر كل من الشريكين منذ البداية الى
 الآخر بعين الريبة والعداء . فلم يحمل احتلالهما المشترك
 للدوقيتين بين طياته عنصر الدوام، ولن يلبث ان يؤدى قبل
 ان يمضى عليه عامان الى قيام حرب كبرى بينهما .

اشتركت النمسا وبروسيا فى حكم الدوقيتات الثلاث ،
 ولكن النزاع مالبث ان دب بينهما ، وأبرمت بينهما اتفاقية
 جاشتين (Gastein Convention) فى ١٤ أغسطس
 ١٨٦٥ ، اتفقتا فيها على ان تحكم النمسا هولشتاين ، وأن تحكم
 بروسيا شلزنفيج ، وان تمنح دوقية لاونبرج الصغيرة لملك
 بروسيا . ولكن الخلافات القديمة بين النمسا وبروسيا لم تلبث

ان ظهرت من جديد . وكان بسمارك واثقا ان النمسا لن تتنازل أبدا عن الزعامة للامارات الالمانية، ولهذا قرر ان يستخدم لغة القوة وان كان يفضل حل الموضوع سلميا . وساعدت الظروف الداخلية في بروسيا على نشوب الحرب بين الدولتين ، اذ كان بسمارك يواجه متاعب داخلية نتيجة لمعارضة البرلمان لسياسته فكان لابد لبقائه في الحكم ان يوجه انتظار الالمان الى معركة خارجية . وقد وصفت تلك الحرب في المانيا بأنها حرب تطلعت اليها الابعصار قبل وقوعها، لا لتحقيق توسع اقليمي، وانما لضمان " زعامة بروسيا في المانيا " . هذا بالإضافة الى ان الموقف الدولي كان في صالحه الى حد كبير، فلقد استغفلت ايطاليا الى ضم البندقية الخاضعة لحكم النمسا الى الحكومة الايطالية الجديدة، ورأى كسب ايطاليا الى جانبه في الصراع المرتقب بينه وبين النمسا، فاتفق معها على الوقوف الى جانبها في أي حرب تقع بينها وبين النمسا، والاتعهد صالحا مع النمسا قبل ان تحصل ايطاليا على البندقية . كما استطاع بسمارك كذلك شراء حياد فرنسا في مقابل بياريتز (Biarritz) .

قامت الحرب بين النمسا وبروسيا في ١٤ يونيو عام ١٨٦٦ وكانت سريعة وخاطفة، انتهت بعد ثلاثة أسابيع من قيامها في موقعة سادوفا (Sadova) ويسمىها الالمان كونيغراتز (Koniggratz) في ٣ يوليو عام ١٨٦٦ . ولم يكن

لتحالف الايطاليين أية فائدة سوى ازعاجهم النمساويين على حجز قوات كبيرة العدد في ايطاليا، بينما قواتهم قد انهزمت هزيمة منكرة في موقعة كستوزا (Custoza) في ٢٤ يوليو عام ١٨٦٦ أمام قوات النمسا، وكذلك انهزم الاسطول الايطالي أمام أسطول النمسا في معركة ليزا (Lissa) ورغم انتصار قوات بروسيا لم ير بسمارك الذهاب في الحرب الى أبعد من هذا الحد . ولذلك رأى من الحكمة عقد صلح لا يفغضب النمسا حتى لا يتيح لنابليون الثالث فرصة التدخل. فالنمسا دولة المانية وبسمارك في حاجة اليها في صراعه المقبل مع فرنسا . وفي ٢٣ اغسطس عام ١٨٦٦، وقع الصلح في معاهدة براغ بين بروسيا والنمسا، ولقد قال بسمارك في ذلك الوقت "ان علينا ان نفرغ بسرعة قبل ان تجد فرنسا وقتا لممارسة الضغط الدبلوماسي على النمسا" وهكذا كان بسمارك معتدلاً الى حد كبير في معاملة النمسا . وقد نصت المعاهدة على مايلي :

- (١) تشكيل اتحاد المانيا الشمالية (شمال المين Main) ووضع دستور له .
- (٢) تكوين كيان مستقل من دويلات المانيا الجنوبية .
- (٣) ضم شلزيغ وهولشتين لبروسيا مع اجراء استفتاء

فى الجزء الدانمركى من شلزيڤيڤ لتحديد مصيرها
لبروسيا أو الدانمرك (١).

(٤) ضم البندقية الى ايطاليا.

(٥) ضم هانوفر الى بروسيا بتدابير تحالفها مع النمسا.

الحرب البروسية - الفرنسية :

كان انتصار بسمارك فى سادوفا خطوة هامة على طريق
الوحدة، وكان فى نفس الوقت هزيمة غير مباشرة لفرنسا.
وترتب على ذلك ان اختفاء النمسا كمنافس لبروسيا أفسح
المجال امام بروسيا لمواجهة فرنسا و تحقيق الخطوة الثانية
والاخيرة للوحدة. وكان بسمارك لا يقتصر على سياسة القسوة
وحدها، بل استعمل الدبلوماسية ايضا. فقام بتقوية الجيش
ولو على حساب الدستور. وكما نجح فى ميدان الحرب، نجح
كذلك فى ميدان السياسة، ولذلك كان بسمارك يعتبر من أهم
العوامل التى ساعدت على نجاح الوحدة الالمانية. ولكى يقوى
بروسيا داخليا وخارجيا اتبع بسمارك الخطوات التالية:

- (١) تقوية الجيش رغم معارضة البرلمان .
- (٢) توطيد مركز بروسيا الخارجى والعمل على ألا تحارب فى

جبهتين فى آن واحد .

(١) لم يتم هذا الاستفتاء، وظلت بروسيا محتفظة بتلك المناطق

حتى عام ١٩١٩.

(٣) توثيق الروابط بين عائلة رومانوف وعائلة الهوهنزولرن
فكسب عطف روسيا في حربه مع الدانمرك، كما وعدها
بحياد البحر الاسود.

(٤) عزل النمسا سياسيا، واتفق مع نابليون الثالث على
الوقوف على الحياد في نظير ان تأخذ فرنسا بلجيكا
أو لكسمبرج. وكان نابليون الثالث يرغب في قيام الحرب
لاضعاف كل من الدولتين (النمسا وروسيا) حتى يستطيع
التدخل بينهما واملاء شروطه عليهما، ويعدل حدود
فرنسا الشمالية. غير أن بسمارك كان يعرف ان بروسيا
ستنتصر بسرعة ولن تعطى الفرصة لفرنسا، فكانت
دبلوماسية بسمارك تسبق حروبه. وهكذا نجح في سياسته
ضد النمسا التي اتجهت اتجاهها شرقا (البلقان والبحر
المتوسط) وأصبح عدوها الرئيسي روسيا وليس بروسيا،
وانفردت بروسيا بالزعامة. ولم يقس بسمارك على
النمسا في شروط الصلح كي لاتنضم الى فرنسا اذا
ما حاربها.

وبذلك لم يصبح هناك مناوئ للوحدة سوى فرنسا، وانتظر
بسمارك حدوث أزمة دولية، أو أزمة داخلية في فرنسا تمكنه من
اتمام الوحدة الالمانية. ووجد بسمارك فرصة الكبرى بعد
ان فقد نابليون الثالث الكثير من الاعداء في الداخل وفي
الخارج وأدت مشكلة العرش الاسباني الى قيام الحرب بين

بروسيا وفرنسا . فلقد قامت الثورة فى اسبانيا ضد الملكة ايزابيلا التى لم تظهر شيئا من الوطنية العادقة أو البعيرة السياسية . وبرز فى ميدان السياسة فى ذلك الوقت بريـم (Prim) ، رئيس الوزراء ، الذى كان يرى ان الملكة ايزابيلا يجب ان تذهب . ووقف الاسطول والجيش ضد الملكة التى لادت بالفرار فى ٣٠ سبتمبر عام ١٨٦٨ ، وأعلن الثوار انها حكمة فى اسبانيا . وقد رأى الجميع ضرورة استمرار الحكم الملكى حتى يمكن تجنب استفزاز الدول الاوروبية . ووقع الاختيار على الامير ليوبولد أوف هو هنزلرن سيجمار نـجنـ Prince Leopold of Hohenzollern Sigmaringen قريب غليوم ملك بروسيا وشقيق ملك رومانيا . وأيد بسمارك هذا الترشيح ، لأن وجود ملك المانى على عرش اسبانيا يجعل فرنسا بين شقى الرخى (بروسيا واسبانيا) ، وستجد فرنسا نفسها مضطرة للاحتفاظ بقوات كبيرة على الحدود الفرنسية الاسبانية . ولكن فرنسا عارضت ترشيح الامير ليوبولد . وظلت مشكلة العرش الاسبانى دون حل حتى عام ١٨٧٠ عندما نجح بسمارك بعد جهود مفضية من اقناع ملك بروسيا والامير ليوبولد بالموافقة على قبول العرش الاسبانى ، وهنا أصدر دى جرامون (De Gramont) وزير خارجية فرنسا على مقاومة ذلك بكل وسيلة ، وأعلن منذ البداية ان اصرار بروسيا على الترشيح سوف يعنى الحرب . ونتيجة للوساطات ، أعلن فى ١٢ يوليو موافقة الامير ليوبولد على سحب ترشيحه ، وبدأ ان

بروسيا تراجعت ازاء التهديد الفرنسى ، فقال تيير ان الانتقام
لسادوفا قد تحقق ، وقال جيزو ان ذاكرته لاتعى نهر ادبلوماسيا
أعظم من ذلك النهر .

ولم تكتف فرنسا بترك الموضوع عند هذا الحد ، بل
كلفت سفيرها فى برلين ان يطلب من ملك بروسيا مباشرة
ان يقرن سحب الترشيح باسمه أولا ، و ان يتعهد ثانيا بالامتناع
عن تأييد ترشيح الامير الهوهنزولرنى اذا ما أثير من جديد
وقدم السفير هذين المطلبين فى امز (Ems) فى ١٣
يوليو . وعندما تلقى ملك بروسيا خبر اليوم نفسه أنباء
رسمية من انسحاب ليوبولد عن ترشيح نفسه ، أرسل الى السفير
يخبره بأن المسألة تعتبر منتهية . وهنا لاحت من جديد فرصة
السلام ، لكن بسمارك كان يريد الحرب ، ورأى ان الفرصة مناسبة
لذلك . اذ وردت لبسمارك برقية من الملك فى امز تخبره
بمطالب السفير الفرنسى ، وبموقف الملك واعتباره ان المسألة
منتهية . واعتبر بسمارك ان ما حدث يعتبر استسلاما مهيننا
لفرنسا ، ولكن البرقية تضمنت التعريح لبسمارك بابلاغ الحادث
الى الصحافة فأعد نعا انطوى على تحريف للاهل . وقد عزى
النصر رفض الملك مقابلة السفير الفرنسى ثانية لا الى تلقيه
أنباء قاطعة بسحب ترشيح ليوبولد وانما الى طبيعة مطالب
السفير .

وقد أحدثت رسالة بسمارك انفعالا وازعاجا فى السراى
العام فى كل من المانيا وفرنسا . فلقد أهينت فرنسا وتلقت
صفعة على وجهها، والشرف يقتضى اعلان الحرب فورا، وفيهى ١٩
يوليو أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا ، تلك الحرب التي
ستفضى بلا شك الى حرب عام ١٩١٤ . تولى الامبراطور نابليون
الثالث القيادة بنفسه وأسندت القيادة فى الازاس لمكماهون
(Mac Mahon) وفى اللورين الى بازين (Bazaine)
الذى كان يعتبر بطلا قوميا . ولكن فى ٦ أغسطس لحقت
بمكماهون هزيمة فى وورث (Worth) على يد الالمان
أدت الى فتح الازاس للغزو الالمانى . وفى نفس اليوم هزم
بازين وجيش اللورين ، وقرر التقهقر صوب العاصمة باريس
ولكن توالى ضربات الالمان ، فقد طورد الجنود الفرنسيون أولا
الى شرقى متز ، ثم قامت الجيوش الالمانية بعملية التفاف
جنوب متز بهدف تطويقها وعزل بازين وجنوده . فعلا حوصر
بازين مع جيش يربو هده على ٢٠٠٠٠ رجل ، وحاول مكماهون
التقدم بجيشه لفك حصار جيش بازين ، ولكن الالمان طوقوا
جيش مكماهون وحاصره فى سيدان فى ٢ سبتمبر عام ١٨٧٠ . وفى
نفس اليوم استسلم مكماهون والجيش بأكمله والامبراطور لملك
بروسيا ، وبلغ عدد الاسرى ١٠٤٠٠٠ أسرا . ولما حلت الهزيمة
بفرنسا، أصبح نشوب الثورة أمرا محققا، وأعلن قيام " حكومة
الدفاع الوطنى " ، وسقطت الامبراطورية الثانية . وفى ٢٧ أكتوبر

عام ١٨٧٠ سلم بازين نفسه وجيشه البالغ ١٧٢,٠٠٠ رجل
للألمان. وفي ٢٨ يناير عام ١٨٧١ وقع الفرنسيون الهدنة
مع بسمارك في فرساي، وقد رفض بسمارك الاعتراف بأهلية
" حكومة الدفاع الوطني " للتحدث باسم فرنسا. وتقرر إجراء
انتخابات على الفور لتشكيل جمعية جديدة تجتمع في بورجو
للنظر في قبول شروط الصلح أو رفضها.

لقد وجد الانتصار الساحق الذي أحرزه الألمان شمال
ألمانيا وجنوبها. وتم المشهد النهائي في قاعة المرايا
بفرساي في ١٨ يناير عام ١٨٧١ حيث نودي بوليم امبراطورا
على ألمانيا. وهكذا تأسست الامبراطورية الألمانية نتيجة
لجهود بسمارك الذي استطاع ان يقود بروسيا في حروب ناجحة
ويضم الولايات الألمانية اليها. فكانت الامبراطورية الجديدة
بحق امبراطورية بسمارك لأنه هو الذي أسسها فحسب، بل
لأنه سيطر عليها وحكمها حكما لا ينافسه فيه أحد حتى سقوطه
عام ١٨٩٠. ولم يكن دستور الامبراطورية الألمانية من وضع
البرلمان، إنما كان من وضع بسمارك نفسه، وهو نفس دستور
اتحاد الولايات الشمالية لعام ١٨٦٧ مضافا اليه الولايات
الجنوبية وهي بافاريا وهس وبادن وفورتمبيرج و الألساز
واللورين وقد وافق الرايخ الألماني على الدستور الجديد في
مارس عام ١٨٧١، وكانت الامبراطورية الألمانية مكونة من
عام ١٨٧١ من ٢٥ ولاية. وكانت هناك قوانين اتحادية هامة

وضعت لكافة الولايات ، كما كانت هناك بعض الامتيازات الدستورية التي تركت الى كل ولاية على حدة . فمثلا كانت الحكومة الاتحادية لها السيطرة التامة على الجمارك والضرائب والمالية والجيش والاسطول وتنظيم التجارة الداخلية و الخارجية ومصلحة البريد والبرق والسكك الحديدية والعمله والاوزان والمقاييس و النظام المصرفي و اصدار القوانين الى الولايات و كانت السلطة التشريعية عبارة عن مجلسين هما :

أولا : مجلس الولايات (بوند سرات Bundesrat) و كان أعضاؤه عبارة عن ممثلى حكومات الولايات ويعينون تعيينا من قبل حكاهم . وقد كان لبروسيا أكبر عدد من الممثلين ١٧ من مجموع ٦٤ . ولها كان ١٤ صوتا كافيا لرفض أى لائحة ، فان بروسيا كانت فى وضع قوى للسيطرة على المجلس و تعديل الدستور حسب أهوائها وكان المستشار الالماني بسمارك هو رئيس هذا المجلس .

ثانيا : كان المجلس الثانى يسمى رايششتاغ (Reichstag) وكان أعضاؤه ينتخبون لمدة خمس سنوات بالتصويت السرى العام لكل من بلغ ٢٥ عاما فما فوق . ولم يمارس هذا المجلس سلطة باستثناء ضرورة الحصول على موافقته فى اقرار الميزانية ، ولم يكن له صوت فى تقرير السياسة الخارجية والعسكرية ، بل كان كل ما يستطيع عمله هو رفض الموافقة على الميزانية .

أما السلطة التنفيذية فكانت عبارة عن وزارة مسؤولة أمام الامبراطور الذى كان يسمى بالقيصر ، ولم يكن المستشار الالمانى (رئيس الوزراء) مسؤولا امام المجلسين ، انما كان مسؤولا أمام الامبراطور ، ولهذا فلم يكن للرايخ الالمانى صلاحية اسقاط الوزارة الامر الذى جعل نظام الحكم فى المانيا اوتوقراطيا وليس ديمقراطيا . وظل بسمارك هو المستشار والحاكم المطلق لالمانيا فيما بين عامى ١٨٧٠ و ١٨٩٠ يدير السياسة الداخلية والخارجية .

لقد حقق بسمارك لحظة انتصاره على فرنسا هدفا من أهم أهداف حياته ، وهو تكوين الامبراطورية الالمانية التى احتلت فيها بروسيا مكان الصدارة . وانتهت الحرب بين الخصمين العظميين (فرنسا وبروسيا) دون ان تتدخل اوروپا وتتحول الحرب بالتالى الى حرب اوروپية . بل ان روسيا وجدت فى هزيمة فرنسا فرصة مواتية للتخلص من التزاماتها فى معاهدة بناريس عام ١٨٥٦ التى كانت تنص على حياد البحر الاسود ومنع روسيا من حق اقامة أية منشآت حربية او بحرية فيه ، فأعلنت انتهاء المعاهدة . ولم تستطع فرنسا ان تحصل على صلح مشرف من بسمارك ، الذى أمر على الحصول على اللزاس واللورين ، وقال لجول فافر (Jules Favre) وزير خارجية فرنسا : " ماكنتم لتتورعوا من انتزاع الراين مننا ، مع ان الراين لا يمثل حدودكم القومية . أما نحن فاننا نسترد

أراضينا ونعتقد اننا بهذا نضمن لأنفسنا السلم في المستقبل" وهددها رفض بسمارك الاعتراف بحكومة الدفاع الوطنى، أجريت الانتخابات وشكلت الجمعية الوطنية فى ٢ فبراير عام ١٨٧١ ، وانتخبت من بين أعضائها أدولف تيير Adolph Thiers رئيسا مؤقتا للسلطة التنفيذية على ان يمارس ملاحياته باشراف الجمعية وبمساعدة وزراء ينتخبهم هو نفسه . ثم انتقلت الجمعية بعد ذلك الى فرساي لبرام المالح مع المانيا وهكذا وقفت فرنسا وحدها تدبر أمرها من الامبراطورية الألمانية .

دارت المفاوضات بين تيير وبسمارك ، ولكن الشروط التى وضعها بسمارك كانت شروطا مذلة لفرنسا . لقد صمم بسمارك على ضم الالزاس ومعظم اللورين ، و أمر كذلك على ضرورة نزول الفرنسيين من ميتز واستراسبورج . وتمسك بأن تدفع فرنسا تعويضا كبيرا وان يكن تيير قد وفق الى خفض الرقيم من مائتين وأربعين مليون جنيه استرلينى الى مائتى مليون . وهاد تيير بشروط المالح الى الجمعية الوطنية فى بوردو . وارتفعت الاموات بالاحتجاج عليها ، و أعلن نسواب الالزاس واللورين تمسكهم بفرنسا وقدم الكثيرون استقالتهم وكان ممن استقالوا فيكتور هوجو، ولكنه لخص الموقف فى كلمات تثبت بعد النظر فقال : " هناك أمتان أوروبيتان ستمبجان رهيبتين من الآن فصاعدا ، الاولى لانها انتهست،

والثانية لانها هزمت " ولم يكن هنا مفر من قبول تلك الشروط
وفى أول مارس تم التعديق على المعاهدة، ووقعت فى صورتها
النهائية فى ١٠ مايو بفرانكفورت . ودخل باريس ثلاثون
ألف جندي المانى، ولبثوا بها فترة قصيرة . وقد قام تيير
بحملة واسعة لجمع التبرعات، وقدم الفرنسيون الغالى
والنفيس للتخلص من الجيش الالمانى . فتم دفع المبلغ فى
غضون ثلاث سنوات ، وانسحب الجيش الالمانى عام ١٨٧٣ من فرنسا
واعتبر تيير محرر البلاد . ولكن ظلت مسألة الازاس واللورين
جرحا عميقا فى قلب كل فرنسى . وبعد أن أقر المجلس المصلح
وجد ان أول واجباته هو تقرير نظام الحكم فى فرنسا .
وأعلن الملكيون ان تيير رئيس الهيئة التنفيذية رئيسا
للجمهورية الفرنسية، ولكنه استقال فى عام ١ٸ٧٣، وانتخب
مكماهون رئيسا . كل هذا والجمهورية لم تنتهون رسميا بعد،
اذ أن تكوين الجمهورية الثالثة فى فرنسا ينتهون باسم
والون (Wallon)^(١) الذى اقترح فى عام ١٨٧٤ الأخذ
بالنظام الجمهورى والمناداة بالجمهورية فى فرنسا . وهو
الذى اقترح ان يكون دستور فرنسا الذى أخذ المجلس العلمى
عاتقه وضعه دستورا جمهوريا . وكانت الانتخابات التى جرت
فى فرنسا فى يناير عام ١٨٧٥ بداية لتأسيس النظام الجمهورى
فى البلاد . ويعتبر النظام الجمهورى قد تأسس فى فرنسا
بعفة نهائية عندما نجح الجمهوريون نهائيا فى الحصول على
الحكم منذ اواخر عام ١٨٧٧ .

(١) كان ممثلا للشمال وأستاذ التاريخ .

الفصل الثامن

أولا : بسمارك ونظام التحالفات

- (١) الموقف الدولى فى أوروبا بعد حرب السبعين
- (٢) المسألة الشرقية (١٨٧٦ - ١٨٧٨) وسياسة الاستصلاح

والتعويض .

- (٣) التحالفات الأوروبية ومعاهدات الضمان .
 - * التحالف الثنائى بين المانيا والنمسا .
 - * التحالف الثنائى بين المانيا والنمسا .
 - * اتحاد القيصرية الثلاثة .
 - * التحالف الثلاثى .
 - * تجديد التحالف الثلاثى .
 - * معاهدة الضمان الالمانى - الروسى .

ثانيا : التحالفات الدولية بعد سقوط بسمارك (١٨٩٠-١٩١٤)

- * التحالف الثنائى بين فرنسا وروسيا .
- * التحالف الانجليزى - اليابانى .
- * الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا .
- * الاتفاق الانجليزى - الروسى .

الفصل الثامن

التحالفات الدولية فى أوروبا

(١٨٧١ - ١٩١٤)

أولا : بسمارك و نظام التحالفات (١٨٧١ - ١٨٩٠)

(١) الموقف الدولى فى أوروبا بعد حرب السبعين

كان عام ١٨٧٠ سنة مهمة فى تاريخ العالم وفى توجيه سياسة الدول الكبرى وجهة جديدة . لقد انهارت فرنسا وأولى دول القارة من الناحية الحربية ، وحلت محلها الدولة الألمانية الجديدة التى قامت بصفة خاصة على يد بسمارك وعلى تفوق الجيش الألمانى و على زعامة بروسيا . ونتيجة لذلك ، أخذت الدول الأوروبية المختلفة تعمل على التقرب من هذه الدولة الجديدة المتفوقة .

أصبحت الدولة الألمانية الجديدة بمواردها الاقتصادية الغنية وبحماستها الوطنية أقوى دولة فى أوروبا من الناحية الحربية ، ولكن بسمارك كان يعلم بأن فرنسا كدولة قوية لم تنته بعد ، فلا زالت لها حيويتها الكبيرة و نشاطها وأملها فى المستقبل خاصة وأن الدول الأوروبية لم تكن لترضى مطلقا القضاء عليها تماما . وكان بسمارك يعلم ، كذلك ، أن ألمانيا مهما بلغت قوتها الحربية ومواردها الاقتصادية ، فهى ما برحت دولة حديثة التكوين ، لم تصبح جزءا من النظام الدولى الأوروبى إلا فى عام ١٨٧٠ . وهكذا

أيقن بسمارك أن الالمان بانتصارهم الحاسم على الفرنسيين
قد أشاروا ببقية الدول الأوروبية الكبرى وأحقادها.

لقد آفقت انجلترا من حيادها الطويل ومن سياسة
العزلة التي اتبعها جلادستون (Gladstone) لتجد
أن قوة حليفاتها القديمة فرنسا قد تحطمت ، و ان دولة أعظم
نشاطا وهي المانيا قد سيطرت على وسط أوروبا الى حد كبير .
ولذلك بدأت انجلترا تخشى هذه الدولة الجديدة ، و أخذت تفكر
في معير أسواقها الأوروبية اذا تمكنت تلك القوة النافذة
من السيطرة على وسط أوروبا اقتصاديا كما سيطرت على
الى حد ما سياسيا . ولذلك سيتغير موقف انجلترا عندما
تولى ديزريلي (Benjamin Disraeli) زمام
المحافظين الوزارة في عام ١٨٧٤ . وكان ديزريلي يتوئب الى
اتباع سياسة خارجية نشيطة تخرج انجلترا من عزلتها وتعود
بها الى مركزها الممتاز في أوروبا والعالم . ولذا سيكون
بسمارك حريصا على استرضاء انجلترا في عهدها الجديد لكي
توافق على النظام الجديد الذي أوجده .

أما امبراطورية النمسا والمجر فكانت تحسب حسابا
حقيقيا للدولة الألمانية الجديدة التي تجاورها من الشمال .
فكان يوجد في النمسا عدد كبير من الجيش الألماني يقطن
في اوستريا (Austria) ويتطلع الجزء الأكبر منه

للاضمام الى المانيا، وبذلك تحقق الوحدة الالمانية الحقيقية،
وبجانب هذا الفريق، وجد فريق آخر كان متشعبا بحسب آل
الهابسبرج، وله مصالح اقطاعية و معنوية تربطه بذلك البيت
العتيق، ثم ان انفصال الجزء الالمانى عن جسم امبراطورية
النمسا والمجر كان معناه زوال امبراطورية الهابسبرج لأنها
تعتمد فى ثروتها و نفوذها على الجزء الالمانى الصرف من
أراضيها، وهو الجزء الصناعى . ولم ينس هذا الفريق بسهولة
الهزيمة المرة التى تلقتها النمسا على يد المانيا فى
سادوفا، ولذلك عمل جاهدا على ايجاد تحالف بين النمسا
وأعداء المانيا مثل فرنسا و على فمم العلاقة القوية بين
روسيا والمانيا . غير أنه وجد فريق آخر وهو الفريق
المجرى الذى كان يتزعمه الكونت اندراشى (Count
Gyula Andrassy وزير خارجية النمسا، كان هذا
الفريق يريد السيطرة على الفريق الالمانى السابق، ووسيلته
الوحيدة فى تحقيق ذلك هي توثيق الصلة بينه وبين المانيا
حتى لا يتفوق فيها العنصر المقلبى . وعلى العموم كان موقف
النمسا يتسم بالتردد و الحذر والخوف، غير ان بسمارك كان
يفهم الموقف فى النمسا جيدا، فأخذ يعمل على استرضائها
" فهى الحليف الذى يعده للمستقبل " .

أما روسيا فكانت تربطها صداقة قديمة مع بروسيا منذ
حرب القرم، كما كانت هناك علاقات شخصية وعائلية بين

الاسرتين الحاكمتين : أسرتى رومانوف وهو هنزلرن . وبسبب هذه
 المسألة المتينة، وقفت روسيا موقف الحياد والعطف على
 اليهود هنزلرن فى حربهم مع النمسا ومع فرنسا . وإذا كان
 روسيا قد اتخذت هذا الموقف انتقاما لنفسها من النمسا
 وفرنسا، فإنها كانت تشعر بأنها أدت خدمة جليلة لبسمارك
 ولذلك فهي تنتظر المكافأة من ألمانيا، ولكن بسمارك كان
 يعرف تماما بأن روسيا تعمل لمصلحتها قبل كل شىء . غير أن
 روسيا أفاقت بعد عام ١٨٧٠ لتجد على حدودها الغربية
 أقوى دولة حربية فى أوروبا، وأدركت أنه ربما كان من
 مصلحتها ألا تترك فرنسا تنهار أمام ألمانيا بهذا الشكل .
 ولذلك وقفت روسيا موقف الحاسد المشرق لأية فرصة تمكنها
 من الحد من قوة ألمانيا . وكان بسمارك يفهم موقف روسيا
 تماما، ورأى من الحكمة استملاعها وضمها الى جانبه والابقاء
 على صداقتها بقدر المستطاع .

حاول بسمارك ، اذن ، عزل فرنسا وابعادها عن أصدقائها
 وهما روسيا والنمسا، ولذلك أسرع بالتفاهم معهما . ففي
 عام ١٨٧٢ دعا بسمارك كل من امبراطور النمسا وقيصر روسيا
 الى برلين حيث اجتمعا بالامبراطور الألماني وليسم الاول ،
 واتفق الابطرة الثلاثة شفويا على المحافظة على الوضع
 الراهن فى أوروبا، ومقاومة الحركات الثورية التى تهدد
 أنظمة الحكم القائم فى هذه الدول . وازدادت العلاقات

بين الابطارة الثلاثة توثقا عندما زار بسمارك روسيا فى
العام التالى بمعية الامبراطور الالماني . وأمكن التوصل
الى عقد اتفاقية عسكرية سرية بين المانيا وروسيا، ومدت
المانيا بموجبها ارسال ٢٠٠.٠٠٠ جندي الى روسيا فيمما
اذا اعتدت على الاخيرة دولة اوروبية ،على أن تقدم روسيا
نفس المساعدة الى المانيا اذا وقع عليها اعتداء . وفى
يونيو من نفس العام زار القيصر الروسى فينا حيث وقع
الجانبان الروسى و النمصى اتفاقية تقضى باجراء مشاورات
فى كل مسألة تتعارض فيها مصالح الدولتين ،وكذلك و مد
كل منهما الآخر بالتفاهم حول توحيد الخطط فى حالة اعتداء
عسكرى عليهما دون ما حاجة الى اتفاق عسكرى جديد . وبعد
انضمام الامبراطور الالماني الى هذا الاتفاق تكون تحالف
(أو عصبة) القيامة الثلاثة (Dreikaiserbund)

فى عام ١٨٧٣ .

و على أية حال فلقد اقتنع بسمارك ان الوسيلة
المناسبة لاقناع الدول الاوروبية الكبرى بالاعتراف بمركز
المانيا الجديد فى اوروبا هو استملاح تلك الدول . كان
بسمارك محتاجا الى السلام لكى يتفرغ لمعالجة المشاكل
الداخلية الخطيرة التى واجهته ،ولتدعيم الوحدة التى
تمت فى ميدان الحرب . ولكن فرنسا كانت تقف وراء الحدود

متعطشة للانتقام اذا سنحت لها الفرصة المناسبة، فلقد تخلعت
سريعا من نتائج اخطاء الماضي ودفعت الغرامة الحربية
بسرعة اشارت اعجاب العالم بقدر ما ازهجت بسمارك، ووجد
بسمارك في سقوط تيير ذلك الجمهوري المحافظ وفي اعتلاء
مكماهون الكاثوليكي الملكي ورجل الحرب مدعاة لاثارة مخاوفه
لأنه كان يعرف جيدا ان فرنسا في ظل حكم الاحزاب اليمينية
ستكون اكثر تفاهما مع روسيا ومع البابوية . وهذا
ماسعى بسمارك الى تجنبه لغزل فرنسا عن القوى الاوروبية
المناهضة له ولسياسته . كذلك كان بسمارك متضجرا من
رغبة فرنسا في الثأر و من " حركة الانتقام " التي كانت
ترمى الى الانتقام من المانيا واسترداد الالزاس واللورين
ولهذه الاسباب اضطر بسمارك دائما الى اتباع سياسة تهديد
فرنسا و تحذيرها وانذارها حتى لا تفكر في اثاره حرب جديدة
ربما أدت الى تدخل الدول الاوروبية والاطاحة بالالمانيا
من مركز متفوق . وبلغت الازمة بين فرنسا والمانيا حادا
هددت بالحرب بين الدولتين في عام ١٨٧٥ ، وعندئذ اضطر
ديكاز (Decazes) وزير خارجية فرنسا الى الاستنجاد
بانجلترا وروسيا موضعا لهما ان فرنسا لا تريد الحرب
وأن المانيا تعد حربا تقضى فيها على فرنسا تماما . وكانت
كل من الدولتين تؤيدان فرنسا ، فالابقاء عليها كقوة دولية
ضروري لحفظ التوازن الاوروبي . وتدخلت الدولتان بسرعة

لمنع تدهور الموقف ، وأرسل كل من قيصر روسيا وملكة
انجلترا خطابا للامبراطور الالماني يدهوانه فيهما الى
ضرورة الحفاظ على السلام .

وكان لهذا التدخل أثره على سياسة بسمارك ازا فرنسا
فلقد غير بسمارك سياسة التهديد والوعيد التي اتبعها مع
فرنسا، لانها لم تعد في عزلة سياسية كما كان يعتقد، بل
ان دولتين من دول اوروبا الكبرى تعطفان عليها ولا تسمحان
بابعادها او القضاء عليها . وتاكّد بسمارك الآن اهمية
استملاح انجلترا وروسيا، ورأى ضرورة استخدامهما حتى تتمكن
المانيا من المحافظة على تفوقها في اوروبا . ووجد
بسمارك في ممتلكات الدولة العثمانية ما يحقق تنفيذ
سياسة التعويض Compensation والمانيا ليست
كالروسيا او النمسا لها اطماع في الدولة العثمانية تحاول
الوصول اليها بمختلف السبل ، فهي عازفة عزوفا تاما عنها ،
كما انها لا تساوى عند بسمارك دم جندي بروسي . غير انها
في نظرة تمثل الوليمة التي ستدهى اليها الدول الكبرى
لاشباع رغباتهم ونزواتهم ، وهو لذلك رجب بأن توجه هاتان
الدولتان جهودهما نحو تقسيم البلقان لينشغلا بعض الشيء
عن مناصبة المانيا العداء او العمل على الاتفاق مع فرنسا .
وعلى هذا الاساس قامت النظرية الالمانية اوسياسية

"التعويض" على الاسس التالية :

(١) تستطيع حكومة القيصر الروسى الاشراف على شرقيى
البلقان .

(٢) تستطيع امبراطورية النمسا والمجر الاشراف على غربيى
البلقان فى المناطق الغربية من حدودها الدلماشية
والكرواتية .

(٣) تستطيع انجلترا ارضاء مطامعها والمحافظة على
التوازن الدولى فى شرقيى البحر المتوسط بالسيطرة
على مصر . وكان بسمارك يعلم تماما مدى اهتمام
انجلترا بمصر وخصوصا بعد تطور سياستها الهندية
و اشراف الحكومة البريطانية نفسها على الهند منذ
عام ١٨٥٨ بعد ان كانت شركة الهند الشرقية هى
المشرفة عليها . وقد تزايد اهتمام انجلترا بمصر
منذ افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ التى ستصبح فى
نظرها الشريان الحيوى لامبراطوريتها .

(٤) تستطيع فرنسا اذا احسنت سلوكها نحو المانيا وتناسلت
مسألة استرجاع الالزاس واللورين ان تستعيز بين
الولايتين المفقودتين بأخذ سوريا أو تونس .

وهكذا عمل بسمارك على تقسيم ممتلكات الدولة
العثمانية لارضاء الدول الكبرى ولحفظ السلام فى أوروبا،

وبالتالى المحافظة على الوضع الدولى المتفوق لالمانيا
 فى اوروباء . وهكذا رأى بسمارك ضرورة استخدام سياسة
 استملاح الدول الكبرى ، وهى السياسة التى سيقوم عليها
 مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ و السياسة التى ستطبق خلاله وفي
 السنوات التى تليه . وفي الواقع كانت الظروف مواتية
 لبسمارك بسبب قيام الثورة فى البلقان على الحكم العثمانى
 وظهور المسألة الشرقية من جديد ، وعودة فكرة الابقاء أو عدم
 الابقاء على ممتلكات الدولة العثمانية .

(٢) المسألة الشرقية (١٨٧٦ - ١٨٧٨) وسياسة الاستملاح

و التعويض

شارت المسألة الشرقية فى عام ١٨٧٥ وبدأت الاضطرابات
 فى البلقان بثورة البوسنة والهرسك ضد الحكم العثمانى .
 وكانت روسيا تؤيد تلك الثورة ، ولكن المانيا كانت تفضل
 سياسة التعاون مع غيرها من الدول لحل هذا النزاع سلمياً ،
 لان قيام حرب تشترك فيها الدول الاوروبية قد يجر المانيا
 الى الاشتراك فيها . ولهذا أيدت المانيا فكرة روسيا فى
 ان تتدخل دول اتحاد القياصرة الثلاثة (المانيا والنمسا
 وروسيا) لدى الدولة العثمانية للضغط عليها لاتباع سياسة
 تهدف الى القضاء على اسباب الثورة . ولكن هذا الموقف
 لم يرض انجلترا و فرنسا ، لانه يحول بينهما وبين الاسهام
 فى حل المسألة الشرقية التى كانت تعتبر من أهم المشاكل

الاوروبية في ذلك الوقت . كما انه يمنح روسيا حرية العمل على تحقيق اطماعها في ممتلكات الدولة العثمانية وهو ما يتعارض مع سياسة كل من الدولتين . واضطر الباب العالي أمام تدخل الدول الى اصدار فرمان في ١٢ ديسمبر عام ١٨٧٥ يتضمن بعض الاصلاحات لتحسين احوال سكان هاتين الولاياتين .

ولكن الثورة لم تنقطع بعدور هذا فرمان ، فاستمرت الثورة في البوسنة والهرسك واستعد الجبل الاسود والمغرب لمساعدتهما . ولهذا اجتمع بسمارك و جورتشاكوف (Gartchakoff) وزير خارجية روسيا والكونت اندراشي وزير خارجية النمسا في برلين في مايو عام ١٨٧٦ دون اشتراك انجلترا ، وتقدموا الى الحكومة العثمانية بمقترحات من وحي الروسيا تضمنتها ما أطلق عليه اسم مذكرة برلين (Berlin Memorandum) بعد موافقة الحكومتين الايطالية والفرنسية عليها . وقد طلبت هذه المذكرة من الحكومة العثمانية ايقاف العمليات العسكرية لمدة شهرين ، والدخول مباشرة في مفاوضات مع رؤساء الثوار في البوسنة والهرسك بخصوص المطالب التي تقدموا بها . ولكن الحكومة العثمانية رفضت المذكرة وشجعها على ذلك عدم اشتراك انجلترا في توقيعها . هذا بالإضافة الى ما تضمنته من مساس لحقوق الشرعية للدولة العثمانية .

وازدادت الحالة سوءاً في البلقان بقيام الثورة في بلغاريا ، اذ قام أهل البلاد بتدبير مذبة للموظفين المحليين من العثمانيين . ورأى العثمانيون في تلك الثورة اصابع الروس واضحة تنذر بتفويض الحكم العثماني في اوروبا . وتلا قيام الثورة في بلغاريا اعلان الصرب والجبل الاسود الحرب على الدولة العثمانية . وباعلان الحرب تمت الحلقة الاولى من المخطط الروسي ، الذي كانت روسيا تعمل جاهدة على تحقيقه ، وذلك بان تتاح لها فرصة التدخل للقضاء على الدولة العثمانية . ولكي لا تعرقل النمسا تنفيذ هذا المخطط ، عقدت معها في ٨ يوليو عام ١٨٧٦ اتفاقية رشتشادت (Reichstadt) وفيها اتفق الطرفان على مبدأ عدم التدخل ، فاذا انتصر العثمانيون على الصرب وجب التدخل لمنع العثمانيين من الانتقام وحرمانهم ثمرة النصر ، و اذا انتصرت الصرب تتدخل الدولتان فتأخذ روسيا بساراييوا من رومانيا وتحتل النمسا البوسنة والهرسك ، وفي حالة انهيار الدولة العثمانية تصبح الاستانة مدينة حرة . و على اساس هذه التسوية امنت روسيا جانب النمسا و امنت النمسا جانب الروسيين .

و عندما فشلت الصرب في الحرب فشلا ذريعا ، اضطرت روسيا للتدخل الفعلي مناصرة لفكرة الجامعة القلبية واضطرت روسيا للتدخل عندما اصبحت بلغراد نفسها عاصمة الصرب

ففي اسخطر . ولذا أسرعت روسيا باقتراح هدنة وعقد مؤتمر من الدول ولكن العثمانيين المنتصرين رفضوا الهدنة قبل ان تقدم الصرب شروط صلح يرضونها . وكانت روسيا ترغب في هدنة طويلة حتى تستطيع الصرب لم شعث قواها ، بينما كانت الدول الاخرى ترغب في هدنة قصيرة ، واختلفت الآراء بين الدول . ووجد المستشار الالماني بسمارك في هذا الموقف فرصة في التدخل لتنفيذ سياسته التي طالما أعلنها من قبل وهي عدم حل المسألة الشرقية بشكل جزئي ، وانما تطرح المسألة بمرمتها على بساط البحث . وحرص بسمارك على توجيه نظر انجلترا الى استغلال فرصة هياج المسألة الشرقية لـ لاخذ مصر ، وقال بأنه اذا استشير فيما يجب ان تكون عليه سياسة انجلترا الخارجية ، فإنه يقترح ان " تنتهج بريطانيا نفس السنن التي تنتهجها روسيا ، فاذا كانت روسيا تريد ان تستحوذ على النقاط الاستراتيجية اللازمة لها بالسيطرة على المضائق ، البوسفور والدردنيل ، والاشراف على الاستانة ، فعلى الحكومة الانجليزية ان تقابل ذلك بالسيطرة على مصر وقناة السويس " . و كان هذا الحل خيرا في نظره من معارضة انجلترا لروسيا في البلقان وقيام حرب بينهما قد تتحول الى حرب اوروبية ربما تعصف بما لالمانيا من مركز متفوق ولقد قال بسمارك في هذا العدد : " انه من الخير لانجلترا ان تأخذ قناة السويس والاسكندرية بدلا من ان تعلن الحرب على روسيا ، وبذلك وحده تتوثق مري السلم في اوروبا " .

ولكن حكومة المحافظين فى انجلترا لم تقبل هذا الاقتراح بسهولة ، فرئيسها دزيرلى رغم انه هو الذى اشترى اسهم الخديو اسماعيل فى قناة السويس عام ١٨٧٥ ، ورغم تعلقه الكبير بالشرق ، ورغم انه زار مصر فبهره جمالها وأبهتها وسجرتة حضارتها القديمة وضخامة آثارها وبهاء نيلها وكثرة خيراتها " الا انه لم ير فى ذلك الوقت ان احتلال انجلترا لمصر وسيلة مفيدة لدرء الخطر الروسى من الشرق الأدنى . فقال اذا أخذ الروس الاستانة فانه يمكنهم فى اى وقت الوصول الى سورية ووادى النيل . ويبدو من هذا ان انجلترا فى عام ١٨٧٧ كانت تخشى عواقب اتباع سياسة بسمارك . وفى الواقع كانت سياسة انجلترا قبل السبعينات من القرن التاسع عشر هى سياسة المحافظة على كيان الامبراطورية العثمانية وعلى تماسك ممتلكاتها ، وهى السياسة التى وضع أسسها اللورد بامستون وزير خارجية انجلترا خلال النصف الاول من هذا القرن . ولكن حملات جلادستون التى قامت فى انجلترا بعد حركة القمع التى قام بها العثمانيون فى بلغاريا ، كانت من اهم العوامل التى اطاحت بسياسة انجلترا التقليدية ازاء الدولة العثمانية . تزم جلادستون زعيم المعارضة من الاحرار الحركة التى ترمي الى التخلص من هذه السياسة القديمة ، وكتب عدة مقالات أهمها " The Bulgarian Horrors " التى وصف

ففيها الاتراك بأبشع ما توصف به أمة من الأمم، واتهمهم بأنهم أعداء الانسانية .

كان لهذا الموقف أثر كبير على الرأي العام الانجليزى فلم يعد هناك من نصير قوى للدولة العثمانية خصوصا بعد ان أعلنت الحكومة العثمانية عجزها عن دفع فوائد الديون التى اقترضتها من انجلترا ، فازداد السخط فى الدوائر المالية عليها، وشعرت حكومة المحافظين فى انجلترا بأنه لم يعد فى استطاعتها الدفاع عن سياسة انجلترا التقليدية ازاء الدولة العثمانية . ولكن موقف انجلترا نحو روسيا وأطماعها لم يتغير، فلا زالت حريصة على وقف التوسيع الروسى نحو البحر المتوسط . وعندما يتولى اللورد سولزبرى Salisbury منصب وزير الخارجية فى اوائل صيف عام ١٨٧٨ ستتخذ انجلترا موقفا حاسما ازاء كل من روسيا والدولة العثمانية . فكان سولزبرى يهت الدولة العثمانية مقتضا شديدا ، ويعتقد ان الاتراك لا يصلحون للبقاء كدولة حديثة " فأفكارهم فى نظره غير معقولة ، وحكومتهم فوضى " . لقد أدرك سولزبرى ان وجود الدولة العثمانية الضعيفة من شأنه ان يعرض مصالح بريطانيا الامبراطورية للخطر، و لذلك قرر استبعاد الدولة العثمانية من شرق اوروبا، و تقسيم ممتلكاتها وهكذا وضع سولزبرى " حدا نهائيا للسياسة الانجليزيسية التقليدية نحو الدولة العثمانية من الناحيتين العملية والنظرية .

وبدأت تظهر أطماع إنجلترا في ضم جزء من ممتلكات الدولة العثمانية مثل مصر وأوكرانيا وقبرص . و في حقيقة الامر كانت نفس إنجلترا تهفو الى احتلال مصر، و طالما شجعها بسمارك على ذلك منذ عام ١٨٧٥ ولكنها خشيت الاقدام على هذه الخطوة حتى لاتسيء الى علاقاتها مع فرنسا . ولذا اتجه نظر إنجلترا الى جزيرتي كريت وقبرص ، ولكن سولزبيري ورجال الحرب فضلوا احتلال قبرص لما لها من موقع ممتاز في البحر المتوسط ، فهي " مفتاح غربي آسيا " وجبل طارق جديد " ومما رجع قبرص على غيرها اشرافها على السواحل المصرية الشمالية ، وقربها من ممتلكات الدولة العثمانية الآسيوية حيث تتركز اطماع روسيا . وبدأت المفاوضات السرية بين الدولة العثمانية وإنجلترا ، واختارت إنجلترا توقيتا مناسباً للدخول في تلك المفاوضات ، وهو الوقت الذي استعرت فيه الحرب بين روسيا والدولة العثمانية ، واندحرت قوات الأخيرة امام ضربات روسيا . وامام التهديد الانجليزي بالقضاء على الامبراطورية العثمانية اضطر السلطان الى توقيع اتفاقية ٢٦ مايو عام ١٨٧٨ ، التي قبلت الدولة العثمانية بمقتضاها احتلال الانجليز لجزيرة قبرص مقابل حماية إنجلترا للدولة وعلى هذا النحو نفذت إنجلترا من الناحية العملية فكرتها لنظرية تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، ومغادرة السياسة التقليدية نهائيا .

أما من الموقف في البلقان ، فقد كانت روسيا تستعد للحرب ، ودخلت في مفاوضات مع النمسا انتهت في ١٥ يناير بتوقيع اتفاقية بودابست السرية (Budapest Convention) و تنص على وقف النمسا على الحياد في حالة قيام حرب بين الدولة العثمانية وروسيا بشرط ان توافق روسيا على احتلال النمسا للبوسنة والهرسك في معاهدة الملع . وفي ٢٤ ابريل عام ١٨٧٧ أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية وأقدمت على الحرب لاعتقادها ان انجلترا لن تستطيع التدخل هذه المرة لتأييد الدولة العثمانية ، فالرأي العام الانجليزي كان قد انصرف كلية عن السياسة التقليدية القديمة . وكانت خطة روسيا عند دخولها الحرب الاسـراع بعبور الدانوب ومهاجمة القوات العثمانية ثم اختراق جبال البلقان ومهاجمة القسطنطينية نفسها ، وبذا تضع حدا لمسألة الدولة العثمانية ، كما تضع الدول أمام الامر الواقع . ودها انتصار الروس الى التفكير في شروط الملع التي تفرض على الدولة العثمانية ، ولكن عندما بدا الخطر واضحا على الاستانة والمضائق ، أرسلت انجلترا ببعض قطع من اسطولها الى البحر المتوسط للوقوف على مقربة من الدردنيل وأدى ذلك الى توتر العلاقات بين روسيا و انجلترا ، و تدخلت ألمانيا للتوفيق بين الدولتين .

وفى تلك الاثناء فرضت روسيا فى ٣ مارس عام ١٨٧٨ معاهدة سان استفانو على الدولة العثمانية ، ونصت تلك المعاهدة على اعتراف الدولة العثمانية بحرية الملاحة فى المضائق ، وتعهدتها باغلاق البحر الاسود فى وجه الدول المعادية لروسيا فى وقت الحرب . كذلك نصت على استقلال رومانيا بعنة نهائية عن الدولة العثمانية مع منحها جزءا من دلتنا نهر الدانوب . أما بلغاريا فتضم اليها اقليم دبروجة وبذلك تتسع رقعتها وتصبح ولاية كبيرة تتمتع بالاستقلال الذاتى مع الاعتراف بالسيادة الاسمية للباب العالى . و الى ان تصبح تلك الولاية قادرة على حماية نفسها تقوم القوات الروسية باحتلالها . كذلك تلحق أجزاء من الهرسك بالجبل الاسود . أما بخصوص روسيا فتضم اليها اقليم يسارابييا وأردهان وقارص وباطوم وجزء من أرمينية . هذا بالإضافة الى غرامة حربية فرضتها على الدولة العثمانية قدرها ٢٣٥ مليون جنيه .

هاجمت انجلترا والنمسا تلك المعاهدة لأنها منحت روسيا امتيازات واسعة فى البلقان ، الى جانب سيطرتها على المضائق والملاحة فى البحر الاسود . فرأت انجلترا ان روسيا حصلت بمقتضى تلك المعاهدة على مركز متفوق فى شرقى البحر المتوسط يهدد مصالح انجلترا وسلامة مواصلاتها الى الهند و جنوب شرقى آسيا ، أما النمسا فلم تحصل على

نصيب من الغنيمة، وكانت تطمح في زيادة نفوذها في غربي
البلقان. وهنا اتجهت الانظار الى المانيا وانتقل مركز
الثقل السياسي الى برلين، و تدخل بسمارك لانقاذ السلام
الاوروبي فتوسط بين النمسا وروسيا، ووافقت الاخيرة على
الاعتراف بحق النمسا في البوسنة والهرسك. وبذلك تحقّق
النمسا السيطرة على غربي البلقان مقابل سيطرة الروس على
شرقيه، وتعادل بالتالي نفوذ الدولتين في البلقان. أما
في انجلترا، فقد جرت مفاوضات بين سولزبرى و شوفالـشوف
Shuvalov السفير الروسى فى لندن، وأوضحت انجلترا
انها تعارض معاهدة سان استفانو للأسباب التالية:

- (أ) ان المعاهدة أوجدت دولة بحرية جديدة هي بلغاريا
مما أخل بالتوازن بين دويلات البلقان.
- (ب) انها وضعت الباب العالى تحت رحمة روسيا.

ولم تمنح روسيا في تعديل بنود معاهدة سان استفانو
بما يتماشى مع مقترحات انجلترا، ولكن انجلترا كانت وقد وقعت
في تلك الاثناء المعاهدة الدفاعية مع الدولة العثمانية
التي احتلت بمقتضاها قبرص. ولما كانت هذه المعاهدة
سرية، فلم تعلم بها روسيا والدول الاوروبية الاخرى. وبذلك
ضمنت انجلترا سلامة ممتلكات الدولة العثمانية الآسيوية
وسلامة مصالحها الامبراطورية.

واتفقت الدول الأوروبية على ضرورة إعادة النظر
 فى معاهدة سان استفانو فى مؤتمر دولى عقد فى برلين
 وكان انعقاد المؤتمر فى برلين برئاسة بسمارك اعترافا
 من الدول الأوروبية بتفوق النفوذ الالمانى . وفى الواقع
 لم يكن اجتماع الدول الأوروبية الكبرى لإعادة النظر فى
 معاهدة سان استفانو بقدر ما كان للموافقة على الاتفاقيات
 التى تمت بين روسيا والنمسا من ناحية، وبين روسيا وإنجلترا
 من ناحية أخرى . واجتمع المؤتمر فى ١٣ يوليو عام ١٨٧٨ .
 وشارت مناقشات عنيفة خلال الجلسات رغم ان كثيرا من المسائل
 قد سويت قبل عقد المؤتمر ، ولا سيما ما يتعلق ببلغاريا
 وباطوم . وعلى اية حال ، توصل المندوبون الى اتفاق فيما
 بينهم على بنود المعاهدة التى تكونت من اربع وستين
 مادة ، ونمت معاهدة برلين على مايلى :

(١) تصبح بلغاريا ولاية لها استقلال داخلى ، و تدفع
 الجزية و تدین بالولاء للسلطان العثمانى . وتكون
 لها حكومة مسيحية و قوة بوليس قومية .

(٢) فصل ولاية الروملى الشرقية عن بلغاريا الكبرى
 ووضعها تحت الحكم العثمانى المباشر . وبذلك تكون
 بلغاريا قد تقلصت .

(٣) توضع البوسنة والهرسك تحت الاحتلال النمساوى على ان
 تظل الادارة العثمانية فى منجق نوفى بازار .

- (٤) يعترف الباب العالي والدول باستقلال الجبل الاسود.
- (٥) اعتراف الدول باستقلال المغرب . (بهذا وضع الاساس الذى ستقوم عليه دولة يوغوسلافيا الحديثة) .
- (٦) اعتراف الدول باستقلال رومانيا التى حصلت على اقليم دبروجة ولكن فقدت بيسارابيا التى حصلت عليها روسيا .
- (٧) تنازل الباب العالي لروسيا فى آسيا عن اراضى اردهان و قارص وباطوم .
- (٨) أعلن الباب العالي رغبته فى منح حرية الاعتقاد الدينى ، ولا يجب ان يقف الاعتقاد الدينى عقبة فى سبيل الحقوق السياسية والدينية وتعترف بحق القنصل فى حماية رعاياهم .
- وهكذا حاولت معاهدة برلين (١٨٧٨) التوفيق بين مصالح الدول الكبرى فى البلقان ، ونفذت الى حد كبير سياسة الاستصلاح و التعويض التى وضعها بسمارك بين روسيا وانجلترا والنمسا والمجر ، فقوى النفوذ الروسى فى شرقى البلقان ونمى النفوذ النمساوى فى غربيه ، ورضيت انجلترا حين وضع حد لاطماع روسيا فى الاشراف على القسطنطينية والمضائق ، وذلك فى تقسيم بلغاريا الى قسمين أحدهما مستقل والآخر تحسست حكم الدولة العثمانية . وبذلك قضت على اهداف روسيا فى

انشاء الدولة البلغارية الكبرى التى تتمتع بتأييدها .
 ولكن مع ذلك لم تستطع انجلترا القضاء عليه على اطماع
 روسيا ، فلقد اتاح لها الاستيلاء على القوقاز واردها
 وباطون فرصة طيبة للتوسع فى آسيا من ناحية ، وفى متاخمة
 حدود الدولة العثمانية واقترباها من آسيا الصغرى والعراق ،
 من ناحية اخرى . ولكن مما خفف على انجلترا استيلاؤها
 على جزيرة قبرص لايجاد نوع من توازن القوى فى شرق البحر
 المتوسط . اما المانيا فقد بدت امام الدول الاوروبية
 الكبرى دولة منزهة عن الاطماع ، كل همها هو استصلاح
 دول اوروبا و تحقيق السلام المنشود . ولكن خلال السنوات
 التى ستعقب مؤتمر برلين سيظهر التقارب الواضح بين
 المانيا و الدولة العثمانية ، اذ سيعتبر العثمانيون ان
 المانيا رغم قسوتها كانت اكرم من غيرها من الدول فلم
 تفتطع شيئا لنفسها فى المؤتمر .

وترتب على معاهدة برلين بعض النتائج الهامة نذكر
 منها مايلى :

- (١) وضعت المعاهدة حدا لاطماع روسيا فى تقديمها نحو
 الغرب ووجهتها بطريق غير مباشر الى التوسع فى آسيا .
 حيث بدأت تمطد بقوى آسيوية واوروبية مثل اليابان
 وانجلترا وفرنسا .

(٢) كان استيلاء انجلترا على قبرص مقدمة منطقية لاحتلال مصر فى الوقت المناسب فجزيرة قبرص تواجه السواحل المصرية الشمالية ، وتمثل نقطة وثوب ومراقبة فى مواجهتها ، وتمنح انجلترا موقعا استراتيجيا هاما تستطيع منه الهيمنة على مصر ، ومنع أية دولة اوروبية من الاقتراب منها .

(٣) تزايد اهتمام العثمانيين وخاصة السلطان عبد الحميد الثانى بفكرة الجامعة الاسلامية وبالتقارب من المانيا لتستطيع الوقوف امام مطامع الفرنسيين فى تونس ومطامع الفرنسيين والانجليز فى مصر . فاستقدمت الحكومة العثمانية بعثة حربية المانية لتنظيم الجيش العثمانى ، وزاد النفوذ الالمانى فى ممتلكات الدولة العثمانية الى حد أخذت تستغله المطامع الاستعمارية الالمانية الناشئة ، فحاولت المانيا وخاصة بعد سقوط بسمارك ان تعمل على تفوق نفوذها فى آسيا الصغرى و الجزيرة العربية فوضعت مشروع سكة حديد بغداد لتربط بين برلين واستانبول وبغداد لتقاوم نفوذ انجلترا التجارى فى الشرق الاوسط . وأعلنت المانيا صداقتها للعثمانيين و تفوق نفوذها فى البلاط العثمانى ، الامر الذى دعا الى اشارة مخاوف انجلترا من الناحية السياسية و التجارية

ما سيكون له أثر كبير فى التقارب الانجليزى
الروسى و تقسيم ايران الى منطقتى نفوذ شمالية
لروسيا وجنوبية لانجلترا ، ودعا تفوق الالمان فى
استانبول لانجلترا الى ان تفكر جديا فى القضاء
النهائى على الدولة العثمانية بتأييد الفريق الاكبر
من سكان الدولة العثمانية وهم العرب ، اذا وقفوا
الى جانب انجلترا .

(٤) كان من أثر المعاهدة ايضا توجيه النشاط الاستعمارى
نحو القارتين الآسيوية والافريقية ، وسينظم مؤتمر
برلين الذى سيعقد فى عام ١٨٨٤ هذا النشاط فى
المجال الافريقى ، ووضع مبادئ عامة للاستعمار . ونظم
المؤتمر التسابق على مناطق النفوذ طبقا لقاعدة
التراضى و التبادل . ووجهت فرنسا حملاتها الى شواطئ
افريقيا الغربية من ناحية والى حوض النيجر من
ناحية اخرى ، واستولت على ما عرف فيما بعد باسم
غانا الفرنسية وعلى ساحل الحاج وداهومى . كذلك
اتسع نفوذها فى منطقة النيجر الاعلى حتى بلغت بحيرة
تشاد وأنشأت ما عرف باسم السودان الفرنسى . وهكذا
انقسمت مناطق النفوذ الاوروبى فى افريقيا الغربية
الى : المنطقة الفرنسية ، وقد ارتبطت بشمال افريقيا
بعد الاستيلاء على المحرء ، وتشمل افريقيا الغربية

الفرنسية والكونغو الفرنسى و ملحقاته و هرفت باسم
افريقيا الفرنسية الاستوائية . و منطقة النفوذ
الانجليزى و هى اوسع مدى و اعظم ثروة من المنطقة
الفرنسية ، وتشمل جامبيا وسيراليون وساحل الذهب
و نيجيريا ، ولا يحدها من الداخل سوى منطقة النفوذ
الفرنسى . والكونغو البلجيكية و كانت من نصيب
بلجيكا ، و كانت أرضها تفيض بالاشباب الثمينة والمطاط
و الجلود والاورانيوم . و كان يتلو هذه المناطق
فى الاهمية والثروة منطقة النفوذ الالمانى فى توجو
و الكاميرون ، الا ان هزيمة المانيا فى الحرب العالمية
الاولى اضطرتها الى التنازل بمقتضى معاهدة فرساي
عن كل حقوقها و امتيازاتها فيما وراء البحار ، وتطبيقا
لنظام الانتداب الذى وضع عقب الحرب ، ندبت فرنسا
و انجلترا لادارة توجو والكاميرون . ولم يقتصر
النفوذ الاوروبى على افريقيا الغربية بل امتد كذلك
الى افريقيا الجنوبية والى شرقى افريقيا .

(٥) اتخذت فرنسا من استيلاء انجلترا على قبرص موضوعا
للمساومة ، واعتبرت هذا العمل من قبل انجلترا خلافا
بالتوازن الدولى فى شرقى البحر المتوسط ، ولم تهتدا
شائرا فرنسا الا بعد أن أكدت لها انجلترا بأنها لن
تغير شيئا فى الموقف السياسى فى منطقة الشرق الادنى

الا بموافقتها . كما أبدت انجلترا موافقتها على
مطامع فرنسا في تونس، و تطلعاتها الى المساواة في
النفوذ مع انجلترا في مصر .

(٣) التحالفات الاوروبية ومعاهدات الضمان (١٨٧٩ - ١٨٩٠) :

لم يؤد مؤتمر برلين (١٨٧٨) الى اقرار الحالة في
اوروبا ، كما لم تعمل معاهدة برلين على حل الخلافات بين
الدول الاوروبية الكبرى خلا حاسما . ولقد خرجت روسيا من
برلين فاضية . حقيقة انها اقتطعت من الدولة العثمانية
بعض اجزائها الآسيوية ، و فرضت عليها غرامة كبيرة، و أحلت
نفوذها في بلغاريا ، الا انها ستعمل هي و الدولة العثمانية
على مراقبة تنفيذ معاهدة برلين . ولقد شعر بذلك ساسة
اوروبا منذ اللحظة الاولى و خصوصا في مسألة بلغاريا . كما
ان روسيا كانت حائرة على المانيا لانها لم تؤيد روسيا
التأييد الكافي الذي انتظرته منها عرفانا بالجميل لروسيا
ملاوة على ذلك ، لم تكن العلاقات الروسية - النمسية جيدة
اذ سيطر الشك المتبادل على العلاقات بين الدولتين كما
ان اطامهما في البلقان كانت متنافسة و متضاربة . و كانت
النمسا تشكو دائما من دعاية روسيا العنصرية و أدركت
ان تقدم روسيا في البلقان من الامور الخطيرة على حياة
الدولة النمسية و انه يجب عليها مقاومتها . و هكذا لم

يؤكد مؤتمر برلين ينتهى حتى بدأت تظهر والمصعوبات فى تنفيذ قراراته . ولكن رغم ذلك ساد السلام فى اوروبا فترة طويلة بفضل سياسة بسمارك القائمة على المحافظة على السلام و تفوق المانيا فى اوروبا .

التحالف الثنائى بين المانيا والنمسا (١٨٧٩) :

سواء الروسيا قبل مؤتمر برلين و أثناءه ان التأييد الالمانى لم يكن قويا فى جانبها ، بل أحست بأن بسمارك كان يعمل على الانتقاص من مركزها واستغلال انجلترا على حسابها ومما أشار روسيا كذلك موقف بسمارك ازاء النمسا ، اذ كانت تعمل على مراقبة نشاط الجامعة المقلبية فى البلقان ، ومساندة المعارضة ضد الروس فى رومانيا . و كان بسمارك يعارض النمسا فى هذه السياسة حتى يضمن اشغالها نهائيا عن مسائل المانيا ، ولكي يجعل مسألة التحالف بين النمسا وروسيا أمرا مستحيلا . وفى عام ١٨٧٩ و افق بسمارك على احتلال النمسا لـصنـجـقـ نوـفى بازار ، ولم تستطع روسيا اخفاس غضبها لذلك فقامت بمناورات حربية فى بولونيا على حدود المانيا و عبر القيصر الروسى فى خطاب الى القيصر الالمانى فى اغسطس عام ١٨٧٩ من ضيقه من موقف المانيا فى البلقان ، و حذر القيصر الالمانى من العواقب الوخيمة التى سوف تترتب على سياسة بسمارك .

أما بسمارك فلم يفكر قط في قطع علاقاته مع روسيا، وكان يعمل دائما على المحافظة على العلاقات السلمية بين ألمانيا وروسيا . ولكن موقف روسيا أشار مخاوفه ، ورأى نتيجة لذلك ضرورة توطيد علاقته مع النمسا حتى لا يهدد مركز ألمانيا في أوروبا و استفاد بسمارك من وجود عناصر مجرية لهانفوي كبير في فيينا . فالكونت اندراشى وزير خارجية النمسا كان قليل الثقة باتحاد القياصرة الثلاثة و أراد عقد تحالف ثنائى بين ألمانيا والنمسا ضد روسيا . ومما تجدر ملاحظته فى هذا المجال ان روسيا قد فاتحت هى الاخرى فرنسا وايطاليا بخصوص عقد اتفاق فيما بينهما ، الامر الذى حدا ببسمارك الى الاسراع فى عقد التحالف الثنائى مع النمسا، ولقد اتخذ بسمارك من موقف روسيا ذريعة لكى يثبت للقيصر الالمانى سوء نيات روسيا نحو ألمانيا . ولم تكن موافقة القيصر الالمانى سهلة ، فلقد كان حريصا على صداقة زميله الروسى .

ولكن بسمارك بدأ حملته المدروسة لاثهار الخطر الروسى فى ربيع عام ١٨٧٩ و كانت أول اشارة الى ذلك عندما نشر فى ٤ فبراير اتفاقا مع النمسا والمجر تعفى ألمانيا بمقتضاه من اجراء استفتاء فى شمال شازفيج ، و كان هذا تحديا للقيصر الروسى الذى طالب مرارا بوجوب اجراء الاستفتاء . واستطاع بسمارك فى ١٧ اكتوبر عام ١٨٧٩ من توقيع معاهدة

التحالف بين النمسا والمجر والمانيا ، و كانت هذه المعاهدة هي أول خيط في شبكة التحالفات التي قدر لها ان تغطي أوروبا كلها . و كانت المعاهدة عبارة عن حلف دفاعي بسيط ضد هجوم روسي و نعمت على مايلي :

أولا : ان تبادر كل من الدولتين المتعاقدين (النمسا و المانيا) الى مساعدة الثانية بكامل قواتها اذا ماهاجمتها روسيا .

ثانيا : وفي حالة مهاجمة فرنسا وايطاليا لاحدى الحليفتين فان الحليفة الثانية تلتزم جانب الحياد الودي . فاذا أيدت روسيا الدولة المهاجمة بادرت الدولة الحليفة الثانية المتعاقدة الى مساعدة حليفتها بكامل قواتها .

و تعنى هذه المعاهدة الدفاعية السرية انه اذا هاجمت روسيا النمسا فنان المانيا تساعد الاخيرة ، واذا هاجمت فرنسا المانيا فتقف النمسا على الحياد الودي ، اما اذا ساعدت روسيا فرنسا فان النمسا تساعد المانيا . وكانت مدة المعاهدة خمس سنوات ، و حددت في عام ١٨٨٣ و ١٩٠٢ و استديرت حتى عام ١٩١٨ عندما هزمت الدولتان في الحرب العالمية الاولى . ولقد عملت تلك المعاهدة على تقوية السلم في أوروبا لسنوات كثيرة ، كما انها على وجه اليقين ايضا

أدخلت المانيا واوروبا كلها فى الحرب العالمية الاولى .

اتحاد القياصرة الثلاثة : Dreikiaserbund (١٨٨١)

ولكن روسيا وجدت فى التحالف الالمانى - النمساوى خطرا جديدا موجهها اليها ، وأخذت الصحف الروسية تنسدد بالسياسة الالمانية . ومما ساعد روسيا على تفادى موقف العداء الفلنى من المانيا العلاقة بين قيصرى روسيا والمانيا واخبر القيصر الالمانى صديقه قيصر روسيا بأن هذه المعاهدة ليست الا أداة دفاعية لضمان السلام فى اوروبا ، ورأى القيصر ان من الخير قبول هذا التفسير بسبب المشاكل التى تعرض لها عرشه ، ولم يفكر فى يوم من الايام قطع علاقاته مع المانيا ، لانها دولة ملكية تعمل على صيانة حقوق الملوك . ومن ناحية اخرى لم يكن بسمارك قد تخلص من روسيا نهائيا . بل كان يود تجديد مرى الصداقة معها على ان لا يضر ذلك حليفته النمسا ، وكان يعمل دائما على اعادة تدعيم اتحاد القياصرة الثلاثة .

وفى ٢٧ سبتمبر عام ١٨٧٩ وقبل التوقيع على التحالف

الالمانى - النمساوى عين سابوروف Saburov سفيراً

لروسيا فى برلين . و كان سابوروف يحتقر الميل الى السلاف

و يناصر السياسة الدفاعية القائمة على التحالف مع المانيا

و كتب الى القيصر الروسى يقول : " ان بروسيا الحميمة

تضعنا في الموقف الممتاز لنكون القوة الوحيدة في أوروبا
التي لا تخشى هجوما و التي يمكنها تقليل ميزانيتها دون ما
مخاطرة كما فعل سيدنا أو غسطين بعد حرب القرم". وفيينا
عام ١٨٨٠، عرض سابوروف رسميا على بسمارك احياء اتحاد
القيصرية الثلاثة، و لما كان بسمارك يخشى انتقام فرنسا
رحب بتلك المبادرة، و بعد مفاوضات طويلة بين الجانبين
استطاع بسمارك ان يقنع النمسا بالاشتراك في تحالف
الاباطرة الثلاثة الذي وقع في ١٨ يونيو عام ١٨٨١.

و قد نص هذا التحالف على الشروط التالية :

أولا : : في حالة اشتباك احد الاطراف المتعاقدة السامية في
حرب مع دولة عظمى رابعة يلتزم الطرفان المتعاقدان
الآخران الحياد الودي . (ومعنى هذا انه اذا دخلت
المانيا في حرب مع فرنسا فان النمسا وروسيا
تبقيان على الحياد . و كذلك اذا دخلت النمسا
في حرب مع ايطاليا أو روسيا مع انجلترا فان كل
من المانيا وروسيا ، او المانيا والنمسا تبقيان
على الحياد) .

ثانيا : : تحترم الدول المتعاقدة الثلاث حقوق النمسا في
مقاطعتي البوسنة و الهرسك كما تمت عليها معاهدة
برلين (١٨٧٨) .

ثالثا : تسلم الدول الثلاث بمبدأ اطلاق المضايق (البوسفور والدردنيل) ويجب على الدولة العثمانية الا تشذ من هذه القاعدة لمصلحة دولة ما ، وعلى الدول الثلاث ان تخبر الدولة العثمانية بأنها (أى الدولة العثمانية) فى حالة حرب مع الدولة التى تمسها للمخالفة فيما اذا أرادت الدولة العثمانية ان تسمح لدولة ما ان تستخدم المضايق فى حالة الحرب ضد دولة اخرى عضوة فى المحالفة (أى ان المضايق يجب ان تغلق فى وجه كل الدول و اذا أرادت الدولة العثمانية فتح المضايق لانجلترا ضد روسيا فان كل من المانيا والنمسا بالاضافة الى روسيا تكون فى حالة حرب ضد الدولة العثمانية) .

و هكذا نجح بسمارك فى التوفيق بين مصالح روسيا والنمسا وقسم البلقان الى منطقتى نفوذ : منطقة روسية فى الشمال ، ومنطقة نمسوية فى الجنوب ، ولم تتشابه كثيرا العمدة الجديدة بعمدة عام ١٨٧٣ ، وكان ذلك اخر مظهر للمقاومة من جانب العناصر المحافظة فى اوروبا . وان اتحاد القياصرة الثلاثة نهرا للروس وربما لبسمارك ايضا ، فقد تحررت المانيا من اضطرارها للخيار بين روسيا والنمسا والمجر فى البلقان . و حصلت روسيا على الامن فى البحر

الاسود في مقابل وعد باتباع السلوك السلمى الذى دفعها
 اليه فعقها الداخلى لتحافظ عليه على اية حال . ولقد أدى
 اتحاد القياصرة الثلاثة ، الذى كان حلفا للمداقة مع روسيا
 بطريقة غير مباشرة الى التحالف الثلاثى الذى كان تحالفا
 ضدها بكل وضوح .

التحالف الثلاثى Triple Alliance (١٨٨٢) :

رمى بسمارك شباكه لاقتناص حليف آخر ، وتمكن بدهائه
 المنقطع النظير من ان يجمع شمل النمسا وايطاليا فى معيبد
 واحد ، رغم ما كان بينهما من تضارب كبير فى المصالح الحيوية .
 وعلى العموم كانت الرابطة بين ايطاليا واوروبا الوسطى
 أقدم الروابط فى التاريخ الاوروبى . و كانت ايطاليا القومية
 أساسا لانتصار المانيا القومية . وكان التحالف الايطالى
 حاسما فى حرب عام ١٨٦٦ ، ولولا ايطاليا لاتحدثت فرنسا والنمسا
 والمجر ضد بسمارك عام ١٨٧٠ . ولكن فى مؤتمر برلين تجاهلت
 الدول الاوروبية مطالب ايطاليا و هومت على نفس مستوى
 اليونان والدولة العثمانية . و حصلت النمسا و المجر
 على البوسنة والهرسك ، وانجلترا حصلت على قبرص ، وشجعوا
 فرنسا على أخذ تونس ، وعاد مندوبو ايطاليا بمفردهم من
 المؤتمر وأياديهم نظيفة . ودعا ذلك الموقف الى اتجساة
 نشاط ايطاليا الى الشاطئ الافريقى المواجه لها ، و نازعت

ايطاليا كل خطوة او مشروع فرنسي في تلك المناطق مثازفة
 هنيئة . و كانت فرنسا على يقين بأن ايطاليا تسعى الى
 ان يكون لها مركز مساو لمركز فرنسا في تونس ، واحتسب
 النزاع بين الدولتين ، وادعت ايطاليا ان وجود فرنسا في
 تونس فيه تهديد خطير لاطاليا ومستقبلها . ولكن فرنسا
 مزمت على الاتي واجد دولة اوربية بجوار الجزائر . ورأى
 الفرنسيون في النهاية سرمة التدخل الحربي في تونس ، و كان
 من اكبر العاملين على تنفيذ ذلك سان فالير سفير فرنسا
 في برلين ، الذي بذل جهده لاقتناع الحكومة الفرنسية بالتدخل
 قبل ان تقفز دولة اخرى فتحل محل الفرنسيين في هذه البلاد .
 فاحتلت قوة فرنسية البلاد ، و في ١٢ مايو عام ١٨٨١ وقع
 الباي معاهدة باردو وقبل الحماية الفرنسية .

سارت ايطاليا لاجول لها ولا قوة ، ونظرت الى احتلال
 الفرنسيين لتونس كاذلال جديد لها . ووجدت ايطاليا ان كلا من
 انجلترا وفرنسا لا يابه كثيرا للمصالح الايطالية ، كما وجدت
 الملكية الايطالية اراء الفوضويين والاشتراكيين والجمهوريين
 الايطاليين ان الملجأ الحقيقي هو ملكيات اوربا الوسطى .
 ورات ايطاليا ضرورة التضامن مع المانييـا ،
 لاسيما عندما أخذ بسمارك يستعج البابوية ، فخشيت الحكومة
 الايطالية ان يقوم حلف بين المانيا والبابوية على حساب

الوحدة الايطالية الحديثة . و لما اقتضت الانضمام الى
 المانيا ذكرها بسمارك ان الطريق الى برلين لابد ان يمر
 بفينا وعلى ايطاليا ان تحسن علاقاتها مع النمسا . وفي
 اكتوبر عام ١٨٨١ قام همبرت ملك ايطاليا بزيارة فينسا،
 وكان بطريقا طويلا منذ أيام كافور العظيمة . وعرض الايطاليون
 على النمسا و المجر أمنا متبادلا ، وأوضحوا ان فرنسا تهددهم،
 ولكن الهدف الحقيقي من الضمان هو داخليا لكي يصونوا
 الملكية من تغيير مفاجيء يقوم به الجمهوريون أو من تدخل
 الدول الأجنبية لاعادة سلطة البابا الزمنية . ولكن هذه
 الزيارة لم تؤد الى النتيجة المرجوة .

و في فبراير عام ١٨٨٢ أحيا بسمارك المفاوضات مرة
 أخرى . والسبب في ذلك ان جمبetta الوطنى
 الراديكالى الكبير قد أصبح رئيسا للوزراء فى فرنسا للمرة
 الأخيرة (نوفمبر عام ١٨٨١) ، وود فى نهاية الامر ان يتحالف
 مع روسيا وانجلترا ، كما ود أكثر ان يتصالح مع ايطاليا،
 وانتوى ان تنهى هذه الامور ثقل وزن المانيا وتجعل تسوية
 مسألة الازاس واللورين بالمفاوضات أمرا يسورا . ولـ
 ينزعج بسمارك من هذه المبادرة ، فقد تمنى شخصيا بطريقة غامضة
 ان يتصالح مع فرنسا . بيد ان وصول جمبetta ان له تأشير
 ملحوظ على سياسة روسيا التى سعت فى هذا الوقت الى التحالف
 مع فرنسا . حقيقة ان جمبetta قد سقط ولم يتحقق أمل الروسي

في تنفيذ تلك السياسة ، ولكن موقف روسيا هذا هزايمن — بسمارك في سياسة المحافظين الروس . وفي ٢٨ فبراير حدث بسمارك النمسا على احياء المفاوضات مع ايطاليا ، وأسفرت المفاوضات الثنائية بين النمسا وايطاليا عن مخالفة ثلاثية اشتركت فيها المانيا ووقعت في ٢٠ مايو عام ١٨٨٢

وقد نعت معاهدة التحالف الثلاثي على المواد التالية :

المادة الاولى : تعد الاطراف المتعاقدة السامية بعضها البعض بالسلم والصداقة و بعدم الدخول و في أى تحالف او التزام موجه ضد اى من هذه الدول ، و تتعهد الدول المتحالفة بتبني ادل الاراء حول المسائل السياسية والاقتصادية ذات الصبغة العامة والتي تبرز ، كما تتعهد ايضا بتأييد بعضها البعض في نطاق مصالحهم الخاصة .

المادة الثانية : في حالة تعرض ايطاليا للهجوم

لاى سبب كان من جانب فرنسا دون ان تشير (ايطاليا) أى استفزاز ، فان الطرفين الاخيرين المتعاقدين سيضطران الى تقديم العون والمساعدة بكل قواها للطرف الذى يهاجم . وينطبق هذا الالتزام نفسه على ايطاليا في حالة هجوم من جانب فرنسا ضد المانيا دون ان تشير اى استفزاز مباشر .

المادة الثالثة : اذا ما حدث وهجوم طرف او طرفان

من الاطراف السامية المتعاقدة دون ما استفزاز مباشر من

جانبها وإذا ما وجدت نفسها وقد انخرطت في حرب مع دولة
أو أكثر من الدول العظمى لم توقع على المعاهدة الحالية
فإن هناك ما يبرر قيام كل الأطراف المتعاقدة السامية
بالحرب في وقت واحد .

المادة الرابعة : إذا ما هدت دولة عظمى غير
موقعة على المعاهدة الحالية سلامة الدول السامية المتعاقدة ،
وإذا ما وجدت الدول المهددة نفسها على هذا النحو مدفوعة
إلى شن الحرب ضد تلك الدولة فإن الطرفين الآخرين يلتزمان
بالحياد المشوب بالعطف بجانب حليفتهما و تحتفظ كل
منهما بحقها في الاشتراك في الحرب إذا مارأت أنه من
المناسب جعلها قضية عامة مع حليفتهما .

المادة الخامسة : إذا ما برز أى تهديد لسلم أحد
الأطراف المتعاقدة في الأحوال المنصوص عليها في المواد
السالفة الذكر ، فإن الأطراف المتعاقدة السامية تجتمع
مع بعضها البعض في الوقت المناسب حول موضوع الاجراءات
العسكرية المطلوبة لاجل تعاونهما النهائي . و تتعهد انسه
من الآن فصاعداً وفي كافة الأحوال وفي حالة اشتراكهم
في الحرب معا بأنها لن تعقد هدنة أو صلحاً أو معاهدة
إلا بالاتفاق المتبادل .

و كانت مدة المعاهدة خمس سنوات قابلة للتجديد، وكانت معاهدة دفاعية بحتة غايتها المحافظة على السلم في أوروبا . وفي الظاهر ربط هذا التحالف وسط أوروبا معاً وأحيا الامبراطورية الرومانية المقدسة على اوسع نطاق يتمشى مع السياسة الخارجية . أما من الناحية العملية ، فقد أيد التحالف فقط الملكية الإيطالية وضمن حياد إيطاليا في حالة نشوب حرب نمسوية مجرية ضد روسيا . وقد وعدت ألمانيا بالدفاع عن إيطاليا ضد فرنسا ، ولما كانت المساعدة الإيطالية لا قيمة لها ، فلم تحصل ألمانيا اذا على المقابل وفي الواقع كان بسمارك يعلم ان الفرنسيين لا ينوون الهجوم على إيطاليا ولهذا السبب فلم يعتبر أن الالتزام يشكّل عبئاً ، كما علم بذلك الإيطاليون أيضاً . وكانت حاجتهم الحقيقية هي الاعتراف بهم كدولة عظمى لاحمايتهم من فرنسا ، ولقد أعطاهم التحالف الثلاثي هذا الامر .

و على أية حال تقوت المحالفات التي قام بها بسمارك باتفاقيتين أخريين قامت بهما النمسا مع الصرب ورومانيا ففي عام ١٨٨١ وقعت النمسا معاهدة مع الصرب ، وعقدت بموجبها الصرب بمساعدة العائلة المالكة هناك وان تستخدم نفوذها بين الدول الأخرى لتأييد مصالح الصرب . ومن ناحية أخرى وعدت الصرب النمسا بعدم عقد معاهدة سياسية مع دولة أخرى دون تفاهم سابق مع النمسا . وفي عام ١٨٨٣ عقدت

النمسا معاهدة مع رومانيا التي أجبرت على التنازل عن جزء من بيسارابيا الى روسيا في معاهدة برلين . وتعهدت النمسا بمقتضى هذه المعاهدة بمساعدة رومانيا اذا هوجمت من قبل دولة شالطة دون استفزاز من جانبها . كما يجب على رومانيا التفاهم مع النمسا اذا هوجمت الاخيرة في جزء من اراضيها المتاخمة لرومانيا . وقد انضمت المانيا الى هذا التحالف . أما ايطاليا فقد انضمت اليه عام ١٨٨٨ . ووجدت للمعاهدة الى عام ١٩١٣ وهكذا اصبحت النمسا في مركز قوى في البلقان .

تجديد التحالف الثلاثي (١٨٨٧) :

بعد مؤتمر برلين لم تستقر الاحوال في البلقان ، وكانت روسيا غير راضية عن تقسيم بلغاريا ، ولكنها حاولت على الرغم من ذلك الاستفادة من شروط معاهدة برلين التي تقضى باحتلال الروس لبلغاريا اشهر معدودات . واختار القيصر بموافقة الدول أحد اقربائه وهو اسكندر امير باتنبرج الألماني للعرش البلغاري .

ورغم اخلاء الروس لبلغاريا الا انهم ظلوا يحتلون معظم الوظائف المهمة مؤملين ان يظلوا اصحاب النفوذ الاعلى فيها . وفي بلغاريا الجنوبية (الروملي الشرقية) التنس تركت تحت اشراف الباب العالي ، عمل المندوب الروسي السدي

كان يحكمها على اشارة الشعور ضد الباب العالي ، و على
 ايجاد نظم معاشلة لنظم بلغاريا الشمالية لتوحيد بلغاريا
 ولكن البلغاريين كانوا يعملون على الاستقلال من كل طرف
 الدولة العثمانية وروسيا . وحقد البلغاريون على الروس
 لاحتلالهم المناصب المهمة في الدولة . وفي ذلك الوقت أعلن
 بسمارك انه ليس لالمانيا مصالح في بلغاريا وان مصلحتها
 هي اقامة علاقات السلام مع روسيا ، وكان يرى ألا تقحم النمسا
 نفسها في مسائل بلغاريا ، و ان تترك الروسية تفعل ما تشاء
 في بلغاريا وكان دائما قلقا لاضطراب العلاقات الروسية
 النمساوية ، لأن النمسا ربما كانت تطمح في ان يحل نفوذها
 محل الروس في بلغاريا .

أما روسيا فكانت ترى أنه اذا انضمت البلغاريتان
 فينبغي ان يكون ذلك عن طريق الروسية لا عن طريق باتنبرج .
 وفي عام ١٨٨٥ قامت الثورة في بلغاريا الجنوبية (الروملى
 الشرقية) وطرد الحاكم العثماني ، واضطر باتنبرج الى
 قبول التناج بعد تردد . وغضبت روسيا وطلبت من الدولة
 العثمانية عقد مؤتمر دولي في الاستانة للنظر في هذه
 المسألة ، ولكن الحرب استعدت لاحتلال مقدونيا وامسادة
 التوازن في البلقان ، وطلبت من النمسا تأييدها . وازاء تردد
 النمسا ، أعلنت الحرب على بلغاريا ، و بعد هزيمة
 الحرب أرسلت النمسا الى بلغاريا تطلب وقف الحرب و الافانها

ستساعد الصرب . وفعلا عقدت الهدنة بين الطرفين في ديسمبر عام ١٨٨٥ . أما بالنسبة لبلغاريا فقد اتفق امير باتنبرج مع العثمانيين على ضم الروملى على ان تعين الدولة " الامير البلغارى حاكما عاما على الروملى الشرقية " و تم تحقيق ذلك فى ٨ فبراير عام ١٨٨٦ لمدة خمس سنوات ، ولكن روسيا عملت على طرد امير باتنبرج من العرش البلغارى ، وأجبروه على التنازل عنه ، وفرض القيصر على بلغاريا اميرا يتوافق عليه هو . واختار البلغاريون اميرا دانمركيا فرفض القيصر ، وتقرر عقد مجلس وطنى فى بلغاريا لتقرير من يحكم البلاد ، غير ان روسيا أعلنت عدم استطاعتها الاعتراف بهذه الخطة و لا بقرارات المجلس . وعندما انتخب المجلس اميرا دانمركيا قطعت الروسية علاقاتها السياسية ببلغاريا .

و أعلنت النمسا فى ذلك الوقت انها لاتسمح بتغيير الوضع الراهن فى البلقان مما أدى الى تكدير العلاقات الروسية - النمساوية بدرجة أعلن معها السفير الروسى فى برلين " بأنه من الضرورى لنا أن نعمل على اختفاء النمسا من خريطة اوروبا " . ولم يصبح موقف بسمارك حرجا للفايصة ، اذ قال الروس انه لولا تأييد المانيا لما استطاعت النمسا ان تتحدث بهذه اللغة . وكان بسمارك حريصا على عدم اصطدام المصالح النمساوية - الروسية فى البلقان ، و على المحافظة على اتحاد الابطارة الثلاثة . وفى نفس الوقت أعلن

أنه سيقف بجانب النمسا إذا تهدد مركزها كقوة عالمية . لكنه من ناحية أخرى قال بأنه لا يعارض أى خطوة تخطوها روسيا فى بلغاريا ماعدا الاحتلال ، وأنه لا يعارض فى ان تشرف روسيا على المضائق . ومما دفع ببسمارك الى اتباع هذه السياسة هو علاقاته السيئة مع فرنسا فى عام ١٨٨٦ ، فرنسا كانت مستعدة للحرب اذا ما قامت بين المانيا وروسيا فلقد قوى مركز الملكيين فى البرلمان الفرنسى وعين بولنجس وزيراً للحربية ، و أعلنت فرنسا ان سياستها ستتركز فى أوروبا .

و فى الواقع كانت الإوضاع فى فرنسا مثيرة للقلق ، فلقد شعرت فرنسا بعزلتها السياسية منذ معاهدة فرانكفورت ونتيجة لمسألة تونس ومصر ، وبعد توقيع التحالف الثلاثى . فبالنسبة لمصر أعلنت انجلترا بأنها لن تبقى فيها بعد استقرار النظام فى البلاد ، ولكن مرت سنوات ولم تنفذ انجلترا وعدها ، ورفضت مناقشة فرنسا فى موضوع الجلاء . كما ان العلاقات الفرنسية - الإيطالية لم تكن أسعد حالا بسبب احتلال فرنسا لتونس . وعمل ساسة فرنسا حينئذ على ايجاد وفاق فرنسى - روسى . و منذ ان تولى بولنجر منصب وزير الحربية ، أصبح رمز المطالبة بالثأر والانتقام ومحرك الزلازل واللورىين ، و مصدر فزع لالمانيا وأمل لفرنسا . ولم يشعر ببسمارك بالارتياح ازاء موقف فرنسا ، خصوماً وأن بولنجر

اهتم بالجيش واملاحه ، ولقد خشي بسمارك ان تغتر فرنسا
فتعلن الحرب . وازداد الموقف خطورة بعد التطورات السابقة
التي حدثت في بلغاريا ، واستياء الروس من سياسة النمسا
وامتقادهم بأن المانيا تعضدها ، وهنا أصبح تحالف فرنسا
مع روسيا أمرا محتمل الوقوع في عام ١٨٨٦ .

و على اثر ذلك تقدم بسمارك بلاشحة الى الرايخ
الالمانى فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٨٦ يذكر فيها نية الحكومة
فى تقوية الجيش وتسليحه ، وخاصة لأن اتحاد القيصرية
الثلاثة أصابه الفتور ، وان روسيا تعطف على فرنسا التى ظهرت
فيها الجنرال بولنجر بطل الانتقام الفرنسى من المانيا .
وبدأ بسمارك يهتم بتجديد التحالف الثلاثى الذى كانت مدته
على وشك الانتهاء ، وذلك لبناء سد منيع فى وجه التقارب
الروسى - الفرنسى . وكانت النتيجة المباشرة هى تجديد
المحالفة التى كانت ستنتهى فى مايو عام ١٨٨٧ . بين ايطاليا
والنمسا ، ولكن ايطاليا لم ترغب فى تجديد المحالفة الاولى
بحذافيرها ، وانما رغبت فى ادخال بعض التعديلات فى قسم
من مواد المحالفة . ولما كان الموقف الدولى حرجا ، اضطر
بسمارك الى قبول التعديلات التى اشتملت على تجديد المحالفة
القديمة كما هى ، عقد معاهدة جديدة بين المانيا وايطاليا
وعقد معاهدة جديدة بين النمسا وايطاليا ووقعت المعاهدات
فى برلين فى ٢٢ فبراير عام ١٨٨٧ .

وقد نصت المادة الثالثة من المعاهدة الألمانية—
 الإيطالية على أنه " إذا حدث أن أرادت فرنسا بسط سيطرتها
 أو فرض حمايتها على الأراضى فى شمال إفريقيا كطرابلس
 أو تونس أو مراكش فإن للحكومة الإيطالية الحق كى تحافظ
 على وضعها فى البحر المتوسط ، أن تقوم بحركات فى شمال
 إفريقيا ، أو أن تتخذ اجراءات عسكرية فى الأراضى الفرنسية
 فى أوروبا . أن الحالة الحربية التى تنشأ من جراء ذلك
 بين فرنسا وإيطاليا تلزم الدولتين الحليفتين (ألمانيا
 وإيطاليا) التشاور فيما بينهما بطلب من إيطاليا لأجل
 اتخاذ المقاييس العسكرية كما لو كانت الدولتان فى تفاهم سابق
 بينهما .

و جاء فى المادة الرابعة من نفس المعاهدة أنه
 " إذا دارت الدائرة على فرنسا من جراء الحرب التى تقوم
 بها ألمانيا وإيطاليا بصورة مشتركة ضدها ، وأرادت إيطاليا
 الضمان الاقليمى من فرنسا لأجل المحافظة على حدود المملكة
 ولأجل حماية اقاليمها البحرية ، و للمحافظة على سلامة
 البلاد واستقرارها والسلام الاوروبى ، فيجب على ألمانيا
 أن لاتقدم عوائق بشأن هذه المطالب ، وإذا اقتضت الحاجة
 أن تقدم ألمانيا التسهيلات اللازمة لأجل الحصول على هذه
 المطالب من فرنسا ."

أما المادة الأولى من المعاهدة الإيطالية- النمساوية فقد نصت على ربط الدولتين بالمحافظة على الوضع الراهن في الشرق، وأضافت: "إذا كانت المحافظة على الوضع الراهن معيبة في البلقان أو في بحر ايجه أو في سواحل الدولة العثمانية وجزر الأدریاتيك، وإذا أرادت دولة ثالثة، أو أن النمسا أو إيطاليا وجدت أنها مضطرة إلى تعديل هذا الوضع باحتلال مؤقت أو دائم يجب أن يكون هذا الاحتلال نتيجة لاتفاق سابق بين الدولتين على أساس التعويض المتبادل لكل فائدة تجنيها هاتين الدولتين، سواء أكانت الفائدة اقليمية أو غيرها، وان ترضى كل منهما الأخرى من ناحية المصالح والمطالب التي تدعيها كل منهما".

ولقد رفعت هذه المعاهدة من قيمة إيطاليا ومن مركزها في البحر المتوسط وفي البلقان، وعلى العموم أصبح لهذا التحالف صبغة هجومية واعترف بحق إيطاليا في تأسيس امبراطورية استعمارية. كما اعترف بحقها في نيس وكورسيكا وتونس كضمائنات في حالة حرب ناجحة مع فرنسا. كذلك اعترف بحق إيطاليا في تعويض أرضي في حالة قيام حرب الماشيكية الفرنسية. ولقد وافق بسمارك على اعطاء كل تلك الامتيازات لإيطاليا لأنه كما قال: "إذا أرادت دولة التخلص من شرط معاهدة لن تجد صعوبة كبيرة في تفسيره التفسير الملائم". وما تجدر ملاحظته أن المادتين الأخيرتين في المعاهدة غامضتان.

معاهدة الضمان الالمانى - الروسى Reinsurance Treaty (١٨٨٧):

فى اليوم الذى تم فيه تجديد التحالف الثلاثى كتبت صحيفة نورد Nord الروسية تقول ان روسيا ستقرب الاحداث على الراين باهتمام وان مصحتها تحتم عليها ألا تقف موقف الحياد كما حدث فى عام ١٨٧٠ عند وقوع الحرب الفرنسية البروسية ، وان روسيا لن تسمح بأن تصبح فرنسا دولة ضعيفة . وقد ساعد تسرب الاخبار عن تجديد التحالف الثلاثى على التقارب بين روسيا وفرنسا . وفى تلك الاثناء ايضا وقع حادث تافه على الحدود الفرنسية الالمانية مما دفع ببولنجر الى حشد قواته على الحدود والتهديد بالحرب ، ولكن الوزارة الفرنسية سقطت ، وسر بسمارك لخروج بولنجر ، وبدأ يعمل على استصلاح روسيا وتوجيه اهتمامها الى الشرق والى المناطق التى تحتاج فيها الى تأييد المانيا .

وفى ذلك الوقت تغيرت وجهة نظر السياسة الروسية تجاه المانيا ، وأرسل القيصر الروسى شوفالوف الى برلين بعد ان عرضت فكرة عقد اتفاق روسى - المانى على سفير المانيا فى بطرسبرج ووجدت ترحيبا منه . واشتملت التعليمات التى اهدرها القيصر الى شافالوف على الموضوعات التالية :

أ - ضمان السلام اللازم لنمو قوى روسيا الحربية والبحريية .
ولحماية روسيا من المخالفات الاوروبية .

ب - العمل على ابقاء الوضع الراهن فى البلقان والاعتراف بتفوق النفوذ الروسى فى بلغاريا .

ج - إغلاق المضاييق .

وروسيا كانت ترغب فى تحقيق ذلك عن طريق التأييد الالمانى .
 وقد اعترضت فكرة التحالف الروسى - الالمانى مدة معويات
 فبسمارك لم يكن على استعداد لخراج النمسا من التحالف وعلى
 الرغم من ذلك بدأت المفاوضات فى ١١ مايو عام ١٨٨٧ . وانتهت
 فى ١٨ من نفس الشهر ، واتفقت الدولتان (المانيا وروسيا)
 على توقيع معاهدة سرية بينهما سميت بمعاهدة الضمان الروسى -
 الالمانى . وقد نمت المادة الاولى على انه " اذا هوجمت احدى
 الدولتان المتعاهدتان من قبل دولة شالطة تلتزم الدولة
 الاخرى المتعاهدة جانب الحياد الودى . ان هذا النص غير نافذ
 المفعول فى حالة هجوم احدى الدولتين المتعاهدتين على
 النمسا او فرنسا " . ونمت المواد الاخرى على مايلى :

أ - اعتراف المانيا بالحقوق التاريخية لروسيا فى البلقان ،
 وبحق الروس فى تفوق نفوذهم فى بلغاريا .

ب - تتعهد الدولتان بالعمل على المحافظة على الوضع الراهن
 فى البلقان .

ج - تتعهد الدولتان بفرض رغبتهما على الدولة العثمانية
 بضرورة إغلاق المضاييق فى وجه أعدائهما .

وهكذا ضمنت المانيا حياد روسيا فى حالة اعتداء فرنسا
 عليها كما أن روسيا ضمنت حياد المانيا اذا ما هاجمتها
 النمسا . ولم يكن بسمارك مضطرا لمساعدة النمسا فى حالة

امتدائها على روسيا . كما انه لم يكن ينوى الهجوم على فرنسا لأن ألمانيا لا تنوى الحرب مع فرنسا . ولقد اهتمت بسمارك بمصالح روسيا في البلقان ، وأيد روسيا في الاجراءات التي تتخذها بشأن المضايق (البوسفور والدردنيل) وذلك بوقوف ألمانيا على الحياد وتأييد روسيا دبلوماسيا ، ولكن بسمارك كان يعلم أن بنود معاهدة التحالف الثلاثي بخصوص البحر المتوسط والبلقان كانت قوية الى درجة تمنع روسيا من تحقيق ما تريده بشأن المضايق حتى اذا وقفت ألمانيا على الحياد . وكانت مدة المعاهدة ثلاث سنوات وقد وقعت هذه المعاهدة في عام ١٨٩٦ ، واتهم بسمارك بأنه خان النمسا في هذه المعاهدة ، ولكن الامر غير ذلك فلقد أعلن بسمارك بأنه غير ميال لتأييد سياسة النمسا البلقانية أو الدخول في حرب من أجلها . ولقد كانت هذه المعاهدة وفقا لرغبته في تقسيم البلقان الى منطقتي نفوذ شرقية في بلغاريا والاستانسة والمضايق لروسيا وغربية للنمسا . وبتوقيع معاهدة الضمان أتم بسمارك سياسة التحالفات ، وبذلك ضمن سلامة ألمانيا نظريا على الاقل . وعمل بسمارك على عدم معارضة السياسة الروسية في بلغاريا ، وأيد اتحاد دول البحر المتوسط ليضع حدا لمطامع روسيا ، ولكي يمنع تحالفها (أي روسيا) مع فرنسا .

ثانيا - التحالفات الدولية بعد سقوط بسمارك (١٨٩٠-١٩١٤):

في عام ١٨٨٨ توفي الامبراطور الالماني وليم الاول وخلفه حفيده وليم الثاني على العرش، ومنذ ذلك الوقت بدأ الخلاف بين الامبراطور وبسمارك . وكان وليم الثاني رجلا ذكيا ونشيطا ، وعلى الرغم من اعجابه ببسمارك الا أنه لم يرغب ان يقف مكتوف الايدي بينما يحكم بسمارك حكما مطلقا . وكان بسمارك قد بلغ سن الشيخوخة واصبح متمسكا بآرائه الامر الذي أدى الى العداء بين الطرفين . وانتهاز أعداء بسمارك الفرصة لتوسيع الخلاف بينهما ، فعندما حل موعد انتهاء معاهدة الضمان الالماني - الروسي في عام ١٨٩٠ والتي كنان بسمارك قد وعد القيصر الروسي بتجديدها ، رفض وليم الثاني ذلك واقتنع بآراء خصومه بأن مواد معاهدة الضمان تخالف مواد المعاهدة الثنائية بين النمسا والمانيا في عام ١٨٧٩ ، وحينئذ استقال بسمارك ، ولم تجدد المانيا المعاهدة على الرغم من رغبة روسيا في ذلك ولذلك اضطرت روسيا الى البحث عن حليفة أخرى ، وارتفعت في احضان فرنسا .

وترجع أهمية عام ١٨٩٠ في التنازيم الاوروبي الى انها سنة فاصلة في الفترة ما بين ١٨٧٠ و ١٩١٤ . فلقد تخلى بسمارك في تلك السنة ، كما رأينا ، عن ادارة امور السياسة الاوروبية ولقد أعلن سولزبرى ان سقوط بسمارك " معيبة هائلة " . وكانت

برلين مركز السياسة الدولية الاوروبية . وفى الواقع ان بسمارك
دعامة السلام الاوروبى ، ولكن سقوطه كان يعنى تغيير السياسة
الخارجية الالمانية ، فرفضت المانيا تجديد معاهدة الضمان
مع روسيا ، بينما كانت سياسة بسمارك بناء التحالف الثلاثى
وتجديده وحفظ العلاقات الودية مع روسيا ، والعمل على كسب
مداقة انجلترا ، وابقاء فرنسا فى عزلة سياسية حتى لاتفكر
جديدا فى حرب مع المانيا .

التحالف الثلاثى بين فرنسا وروسيا (١٨٩١ - ١٨٩٤) :

كان عدم تجديد معاهدة الضمان ورفض المانيا اعطاء
روسيا وعدا مكتوبا ببقاء المانيا على سياستها القديمة
ازاء روسيا ، أعطى الدولة الاخيرة جرية فى العمل . فلقد شعرت
روسيا بعزلتها ، وعرفت ان المانيا تريد ان تستبدل بالتحالف
الروسى التحالف الانجليزى ، فأخذت روسيا تبحث عن خلفاءها
ولذلك تعاونت مع فرنسا فى المسألة المصرية ، وتأكدت
روسيا نهائيا من موقف المانيا التى حاولت تقوية التحالف
الثلاثى وتأييد النمسا ، بل واطلعت النمسا على معاهدة
الضمان التى عقدها بسمارك معها ، وأيدت نهائيا وجهة
النظر النمساوية فى البلقان .

ومن ناحية أخرى أخذت فرنسا بعد سقوط بسمارك تلعب
دورا ايجابيا فى السياسة الاوروبية فحاولت ابعاد ايطاليا

من التحالف الثلاثي و من تحالف البحر المتوسط، و تدخلت في امور الفاتيكان و ضد مصالح ايطاليا الاستعمارية . و تعاونت فرنسا مع روسيا في خلق المشاكل لانجلترا في مصر ، كما احتجتا على المعاهدة الانجليزية الالمانية التي اعطت الانجليز الحق في فرص الحماية على زنجبار . و شعرت انجلترا بالقلق ازاى موقف روسيا وفرنسا من السياسة الانجليزية في مصر ، و لذلك عمل سولزبرى على توثيق علاقاته مع النمسا وايطاليا ، وفي نفس الوقت دارت محادثات بينه وبين مارشال (Marshall) وزير خارجية المانيا . اظهرت اتفاق آراء الدولتين . وكان لذلك وقع سيىء في كل من فرنسا و روسيا ، لاسيما بعد ان اعلنت الحكومة الانجليزية في البرلمان عن وجود اتفاق بينها وبين ايطاليا منذ عام ١٨٨٧ .

و كان الرد الطبيعى على ذلك هو التقارب بين فرنسا وروسيا ، و اظهرت فرنسا انها لا تستطيع افراض روسيا الا اذا عملت الاخيرة على زيادة التقارب منها . وكانت روسيا في اشد الحاجة الى مساعدة فرنسا المالية لتنظيم مالياتها و لاستكمال بناء خطوطها الحديدية . وكان الراى العام الروسى والصحافة الروسية مؤيدة للتحالف ، وهكذا بدأت المفاوضات بين الدولتين و انتهت بعقد التحالف بينهما عام ١٨٩١ .

وقد نعت الاتفاقية على مايلى :

- (١) تتعهد الدولتان المتعاقدتان التفاوض فى كل مسألة من شأنها تهديد السلام العام .
 - (٢) اذا حدث تهديد السلم فعلا ، وخاصة فى حالة تهديد أحد الطرفين المتعاقدين من قبل الاعداء ، فانهما يتفقان على الخطط التى تتطلبها أهدافهما .
- و هكذا اتفقت الدولتان على ان تساعد كل منهما الاخرى حربيا اذا اعتدت دولة من دول التحالف الثلاثى على احدهما ، و ان يتناقش اركان حرب الدولتين فى وقت السلم ، و ألا تعقد فرنسا أى معاهدة منفردة مع دول التحالف الثلاثى ، وان تكون المعاهدة سرية . غير ان هذا التحالف كان غامضا وكان الوضع الدولى قلقا خلال عام ١٨٩٣ . فطلب الفرنسيون اكمال الحلف بميثاق عسكرى ، وقد تم ذلك فى عام ١٨٩٤ ، وبموجبه تعهدت روسيا بمساعدة فرنسا بمليون ونصف جندي اذا ماهاجمتها المانيا . كما وعدت فرنسا روسيا بنفس العدد اذا ماهاجمتها النمسا تساعد المانيا . وبذلك تكون مايسمى بالتحالف الثنائى . ووطدت دعائم الحلف زيارة القيصر نقولا الثانى لفرنسا عام ١٨٩٤ حيث استقبل بحفاوة بالغة ، ورد مسيو فور رئيس الجمهورية الفرنسية ، له الزيارة فى العام التالى .

(٣) ظلت انجلترا منعزلة عن التحالفات الأوروبية ،وقد شعرت بمنافسة المانيا لها لاسيما فى مجال الاستعمار، ولذلك بدأت تتفاوض مع روسيا والمانيا لاقامة تقارب معهم.

و من العوامل التى شجعت على التقارب الانجليزى الالمانى مضايقات فرنسا المتتالية للاحتلال الانجليزى لمصر، مما جعل انجلترا فى حاجة الى تأييد قنامل دول التحالف الثلاثى لمشروعاتها فى توطيد الاحتلال واستمراره . ولما شعرت انجلترا بخطورة عزلتها ،فاتح جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات ،السفير الالمانى فى لندن فى عام ١٨٩٨ فى موضوع اقامة تحالف انجليزى - المانى . ولكن بيلوف Bulov مستشار المانيا لم يكن متحمسا لذلك التحالف خوفا من ان تستخدمه انجلترا لاغراضها الخاصة دفاعا عن مصالحها . وفى عام ١٨٩٩ ،زار القيصر الالمانى انجلترا وفافوض تشمبرلين بيلوف فى الموضوع . غير ان قيام حرب البوير^(١) (١٨٩٩-١٩٠٩)

(١) قامت هذه الحرب بسبب الخلاف القديم بين الانجليز والهولنديين (البوير) فى جنوب افريقيا . وكان الهولنديون قد استعمروا رأس الرجاء الصالح، واستولت انجلترا على هذا الميناء أثناء الحروب النابليونية ولم يستطع المستعمرون الهولنديون البقاء تحت الحكم الانجليزى ،فهاجرت الغالبية العظمى منهم شمالا وكونت جمهوريتين هما: الترنسفال والاورنج . وعندما اكتشف

التحالف الانجليزى - اليابانى (١٩٠٢) :

تم التوازن بين دول الوفاق الثلاثى (فرنسا -
روسيا) و التحالف الثلاثى (المانيا و النمسا وايطاليا)
بعد عام ١٨٩١ ، واستمر هذا التوازن حتى عام ١٩٠٤ ، اذا انصرفت
الدول الاوروبية الكبرى الى التوسع الاستعمارى خارج القارة
الاوروبية وقد سبقت انجلترا غيرها فى هذا المضمار
واتبعت سياسة الانعزال عن الشؤون الاوروبية ، وقد تميزت
الفترة الواقعة فيما بين عامى ١٨٩٤ و ١٩٠٤ بثلاثة اتجاهات
هامية :

(١) تخلى روسيا عن الشؤون الاوروبية واتجاهها الى الشرق
الاقصى بهدف التوسع وبسط النفوذ . ولم تهتم بالشؤون
الاوروبية مرة اخرى الا بعد هزيمتها أمام اليابان
عام ١٩٠٥ .

(٢) اتسع المجال امام المانيا للتحكم فى الشؤون الاوروبية
و الدولية واستغلت فى معظم الاحيان التنافس الاستعمارى
بين انجلترا وفرنسا وروسيا للحصول على الاراضى ،
وانتهزت الفرص لمنافسة انجلترا بشتى الطرق والاشتراك
فى التنافس الاستعمارى و الاستيلاء على بعض الممتلكات
الافريقية .

وعطف ألمانيا على البوير زاد من حدة الخلاف بين إنجلترا والمانياء. وعندما زار القيصر إنجلترا للمرة الثانية في عام ١٩٠١ استؤنفت المفاوضات، وكانت ألمانيا راغبة في الحلف، ولكنها أرادت ضم إنجلترا إلى التحالف الثلاثي. ولم توافق إنجلترا لأن ذلك قد يخرجها إلى الحرب ضد روسيا بسبب اختلاف المصالح بين روسيا والنمسا. وانتهت المفاوضات بالفشل وبدأت إنجلترا تبحث عن حليف ضد الدول الاستعمارية التي كانت تنافسها في الأسواق الألمانية وفرنسا وروسيا. وكانت أولى هذه الدول هي اليابان .

وشعرت إنجلترا بأهمية هذا الحليف بسبب الدور الذي لعبته روسيا بعد الحرب الصينية اليابانية عام ١٨٩٥. فقد نعت معاهدة شيمونسكي التي وقعت بين اليابان والصين عام ١٨٩٥ على تنازل الصين لليابان عن كوريا و فورموزا وشبه جزيرة لياوتنج بما فيها ميناء بورت آرثر. وقد أغضب روسيا وألمانيا وفرنسا استيلاء اليابان على هذا الميناء، وأرسلت

فيهما الذهب والالماس توافد عليهما عدد كبير من الانجليز للبحث عن الثروة، ونجحوا في وضع الجمهوريتين تحت الحماية البريطانية. ولكن نشأ خلاف بين البوير وحكومة الراس وبالتالي الحكومة الانجليزية حول معاملة المهاجرين البريطانيين في الترنسفال وخاصة فيما يتعلق بمسألة يدفعونه من الضرائب. وتطور الخلاف إلى نزاع عنيف بين الفريقين، وعقد كروجر زعيم الترنسفال حلفاً مع جمهورية

مذكرة شديدة اللهجة تطلب فيها من اليابان ردها. واضطرت
اليابان الى الموافقة على مذكرة الدول وسحبت قواتها
من شبه جزيرة لياوتنج و هي ناقمة لاسيما من روسيا ختمها
المباشر التي احتلت ميناء بورت آرثر . وكان استيلاء
روسيا على هذا الميناء من وجهه النظر الانجليزية - تغييرا
لتوازن القوى ويهدد الامبراطورية البريطانية . ولما كان
الخطر الاكبر الذي يهدد انجلترا يكمن في النشاط الروسي
في الشرق الاقصى ، اتجه الانجليز الى التفاهم مع اليابان
على مواجهة هذا الخطر الروسي المشترك . وكانت اليابان
في حاجة الى كسب انجلترا بالذات حتى تعد نفسها لفنرب
روسيا و هي مطمئنة الى أن أكبر دولة بحرية أوروبية لاتعرقل
مشروعاتها العسكرية والى ان أية دولة اخرى لن تدخل
الحرب الى جانب روسيا . ولذلك لم تكن المفاوضات بين
الطرفين معقدة ، وتوصلا الى ما عرف بالوفاق الودي الذي وقع
في ٣٠ يناير عام ١٩٠٢ ، ويعتبر هذا الوفاق النهاية الفعلية
لعزلة انجلترا .

== الاورنج الحرة ، و أعلن تخليه عن السيادة البريطانية
و كان هذا الاعلان بمثابة اعلان الحرب بين البوير
والانجليز عام ١٨٩٩ .

وقد نص هذا الاتفاق على :-

- (١) اعتراف انجلترا بمصالح اليابان في كوريا
- (٢) اعتراف اليابان بمصالح انجلترا في الهند
- (٣) اتفقت الدولتان على انه اذا حدثت حرب بين احدهما و دولة ثالثة فان الاخرى تلزم جانب الحياد، أما اذا دخلت الحرب ضدها دولة رابعة فان الدولة المتعاقدة الاخرى تبادر الى مساعدة حليفتها.

و معنى هذا التحالف انه اذا وقعت الحرب بين اليابان وروسيا فان انجلترا تلزم جانب الحياد، أما اذا دخلت فرنسا الى جانب حليفتها الروسية ضد اليابان، فان انجلترا تساعد اليابان. واذا نشبت حرب بين انجلترا وروسيا فان اليابان تساعد انجلترا. وعلى هذا الاساس سحبت انجلترا اسطولها في الشرق الاقصى الى بحر الشمال للدفاع عن سواحلها. والواقع ان الحالة الاولى هي التي حدثت عندما اندلعت الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) حيث انحصرت الحرب بين اليابان وروسيا ولزمت انجلترا و فرنسا جانب الحياد ولم تتسلسل الحرب. وكانت مدة هذا التحالف خمس سنوات. وفي الحرب الروسية - اليابانية استولت اليابان على بورت آرثر، وفي معاهدة بورتسموث التي أعقبت الحرب (١٩٠٦) حصلت اليابان على تفوق كبير في الشرق الاقصى، واعترفت روسيا بتفسيق المصالح الاقتصادية والعسكرية اليابانية في كل من كوريا

و منشوريا ، كما وافقت على نقل حقوق روسيا فى شبه جزيرة
لياوتنج وبورت آرثر الى اليابان .

الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا (١٩٠٤) :

رأت انجلترا جليبا خطر سياسة العزلة على مركزها .
وأشار النمو السريع للأسطول الالماني قلقها ومخاوفهم .
فان المانيا لم تكتف بمزاحمتها فى الأسواق الأجنبية ، و فى
تملك المستعمرات فى مختلف أرجاء العالم ، بل ———
الامبراطور وليم الثانى عام ١٨٩٧ بأن مستقبل بلاده مرهون
بسيطرتها على امواج البحار ، وأظهر تصميمه القاطع على خلق
اسطول عظيم لالمانيا يعزز مكانتها الاولى بين الدول العظمى ،
وعاونه فى تحقيق مشروعه وزير بحريته الشهير الاميرال
تيربيتز (Tirpitz) الذى قال عنه المؤرخ لانجر
(Langer) : " ربما كان أكفأ شخص ظهر فى أية دولة من
دول العصر الحديث " . وقام تيربيتز بوضع مشروع هدفه احترام
مركز المانيا التجارى والاقتصادى ، كما عمل على استكمال
أسلحة الحرب البحرية وخامة الطوربيد وأجاز الرايخشتاغ
فى عام ١٨٩٧ قانونا بتعزيز الاسطول الالماني وزيادة وحداته
وبحارته زيادة كبيرة .

ولقد أعلن بيلوف ان المانيا لاتفكر فى الاعتداء على
انجلترا . ولكن تأكيدات المانيا لم تساعد على محو مخاوف

انجلترا ، وذلك لاهتمام الكبير الذى أظهره الامبراطور
بالمسائل البحرية ، ولأن تربيتهم اهتم بالألا يكون لالمانيا بحرية
دفاعية فحسب بل هجومية ايضا . وبدأت انجلترا تزيد من
اهتمامها بالمسائل البحرية وذلك بانشاء قاعدة بحرية
كبيرة وبناء أربع سفن حربية كل عام ، والاهتمام بتركييز
الاسطول فى المياه الانجليزية . وهكذا زاد القلق فى كل
من الدولتين بسبب المشروعات البحرية التى تضعها الدولة
الآخري . وحاولت انجلترا تهدئة خواطر المانيا بأن أعلنت
بأنها ستخفف قليلا الاهتمام بانشاء سفن حربية ، وكانت تنتظر
ان تقوم الحكومة الالمانية بخطوة مماثلة . ولكن المانيا
لم تفعل .

وهكذا قربت العداوة المشتركة لالمانيا بين انجلترا
وفرنسا . فالمانيا أصبحت الدولة الصناعية الفتية التى
تنافس انجلترا فى الاستعمار ، وهى عدوة فرنسا منذ عام ١٨٧٠ .
وأرادت كل من الدولتين (انجلترا وفرنسا) تصفية مصالحهما
الاستعمارية لمواجهة العدو المشترك . ووجد الساسة
البريطانيون فى مليكهم ادوارد السابع وسيلة صالحة للتقرب
الى فرنسا ، فقد كان هذا العاهل يكن حبا شديدا لتلك البلاد
التي قضى فى ربوعها زمنا من أمتع أيام شبابه ، وبأدله
الفرنسيون هذا الحب فاغتنم فرصة زيارته لوحدات الاسطول
الانجليزى فى مياه البحر المتوسط ، وقام فى أثناء عودته

بزيارة رسمية لباريس عام ١٩٠٣، واستقبله الفرنسيون بأعظم مظاهر الترحيب، ورد رئيس الجمهورية الفرنسية لئيه الزيارة بلندن في العام نفسه، واستغل ساسة الدولتين هذا التقارب بين شعبيهما للسعي إلى تسوية الخلافات التي تحول دون حسن تفاهمهما.

و في ٨ ابريل عام ١٩٠٤ تمكنت الدولتان من عقد الاتفاق الودي Entente Cordiale و تضمن هذا الاتفاق مواد علنية وأخرى سرية، و نص على مايلي :

(١) تسوية المشاكل المتعلقة بمعاثد الاسماك في نيوفوندلاند بين انجلترا وفرنسا وتعديل الحدود بين المستعمرات الفرنسية الانجليزية في افريقيا.

(٢) تسوية بعض المشاكل في سيام ومدغشقر وافريقيا الغربية.

(٣) اعتراف انجلترا بمصالح فرنسا في مراکش، واعتراف فرنسا بمصالح انجلترا في مصر.

و أعلنت انجلترا بمقتضى الاتفاق انها لن تعمل على تغيير مركز مصر السياسى، و أعلنت فرنسا من جانبها انها لن تعرقل عمل انجلترا في مصر ولن تطلب تحديد أمد الاحتلال الانجليزى. وبهذا الاتفاق ثبت الاحتلال الانجليزى أقدامه فى مصر من الناحية الفعلية، ولم يعد هناك ما يحول دون فرض السيادة البريطانية العاملة على البلاد سوى ذلك الخيط

الشرعى الرفيع الذى كان يربط مصر بالدولة العثمانية .
ولكن لم تمر عشر سنوات اخرى حتى أعلنت انجلترا حمايتها
على مصر وأصبح مركزها مضمونا من الناحيتين الفعلية
والشرعية . وأنهت هذه التسوية عوامل التنافس بين انجلترا
وفرنسا، ولكنها تختلف عن معاهدات التحالف التى سبقتها
من حيث انها لم تشر الى التعاون فى حالة الحرب، وانما
هى اتفاقية لتسوية المشاكل المعلقة، ولذلك سميت " بالاتفاق"
ولم تسمى " بالتحالف " .

الاتفاق الانجليزى - الروسى (١٩٠٧) :

شعرت روسيا بعد هزيمتها امام اليابان فى عام ١٩٠٥
انها بحاجة الى اصدقاء بدلا من اشارة العداوات . وأدركت
روسيا أيضا ان الدول التى حالت دون توسعها هى انجلترا
والنمسا والمجر والمانيا . و أصبح مجال التوسع الروسى
بعد عام ١٩٠٥ منحصر فى الدولة العثمانية (فى اتجاه
الاناضول و العراق او فى اتجاه البلقان) وفى ايران .
وكانت روسيا تدرك تماما ان انجلترا تعارض فكرة توسعها
على حساب الدولة العثمانية خوفا من سيطرتها على المضائق
(البوسفور و الدردنيل) . كما وقفت النمسا والمجر امام
أى توسع روسى فى البلقان ، وبدأ التنافس يتصاعد بينهما هناك
منذ عام ١٩٠٣ ، وهكذا لم يبق امام روسيا سوى ايران لكسب
تعمل فيها وتثبت للعالم ان روسيا لاتزال دولة كبرى . ولكن
منذ قرن تقريبا وروسيا تواجه مقاومه انجليزية علنية

وسرية لمشروعاتها التوسعية في ايران . ولذلك رأيتان الوسيلة الوحيدة لفتح الطريق امام مشروعاتها هو التوصل الى تفاهم مع دول الحلف الثلاثي أو انجلترا . ولما كان أى تفاهم مع المانيا يهدد التحالف الروسى - الفرنسى ، أصبح التفاهم مع انجلترا أكثر واقعية .

و بعد نكبة روسيا في عام ١٩٠٥ أخذت انجلترا تقلل من تعنتها ضدها . وفي الواقع لعبت فرنسا دورا مهما في فتح الطريق امام التقارب الانجليزى - الروسى لقد كادت الحرب الروسية - اليابانية ان تجر كل من انجلترا وفرنسا الى حرب لا مصلحة لهما فيها ، فكانت فرنسا حليفة لروسيا منذ عام ١٨٩٤ ، وانجلترا حليفة لليابان منذ عام ١٩٠٢ ، ولدفع خطر حرب كهذه حرمت فرنسا على اتمام سلسلة المحالفات بعقد اتفاقية انجليزية - روسية . وبعد هزيمة روسيا في عام ١٩٠٥ كان من السهل التقرب منها لعقد اتفاقية مع انجلترا ، وفعلا وقعت الاتفاقية في ٣٠ اغسطس عام ١٩٠٧ وقد نصت بالاضافة الى التحالف على تسوية المشاكل الاستعمارية خارج القارة الاوروبية ولكن بشكل اوسع من تلك التى عقدت بين فرنسا و انجلترا . كما قسمت ايران الى منطقتى نفوذ روسية في الشمال ، وانجليزية في الجنوب . وبقي قسم مستقل فى الوسط ، واعترفت روسيا بمصالح انجلترا في الخليج العربى وفى التبت و وعدت انجلترا بعد عقد الاتفاقية بتسهيل السبل

لفتح المضائق امام السفن الحربية الروسية . كما أصبحت أفغانستان تحت حماية إنجلترا . ومع ان هذه الاتفاقية قد ضمنت مصالح إنجلترا اكثر مما ضمنت مصالح روسيا، فان الأخيرة علقـت عليها الآمال لبلوغ مآربها في البلقان والدولة العثمانية في المستقبل . وقد تم في الوقت نفسه عقد اتفاقية بين روسيا واليابان اعترفت فيها كل من الدولتين بمصالح الاخرى في الصين و منشوريا . و كذلك عقدت فرنسا و اليابان اتفاقية تعترف فيها بأن الصين وحدة لا تتجزأ وباقرار سياسة الباب المفتوح . وأداعت كل من إنجلترا واسبانيا وفرنسا وروسيا معا تمريحات بالمحافظة على الوضع الراهن في البحر المتوسط . وبهذا تمت سلسلة متواصلة من المحالفات والاتفاقيات السياسية التي ألفت جبهة خطيرة ضد دول التحالف الثلاثي .

وهكذا أحكم الوفاق الثلاثي Triple Entente

بين فرنسا وإنجلترا وروسيا الطوق حول المانيا . وقـد زادت الازمات الدولية التي حدثت بعد عقد هذا الوفاق من توثيق عراه . واهم هذه الازمات ضم البوسنة والهرسك (في يوغوسلافيا الحالية) الى النمسا وحادثة أغادير، و الحروب البلقانية (١٩١٢ - ١٩١٣) . وقد أدت هذه الازمات الى مفاوضات بين أركان حرب إنجلترا وفرنسا عام ١٩٠٦ و التي الاتفاق بينهما في عام ١٩١٢ على ان تسحب إنجلترا اسطولها

من البحر المتوسط . و بذلك يكون قد تم التعاون البحري بأن تحافظ انجلترا على سواحل فرنسا بحرا اذا هوجمت مرسى الشمال ، وان يكون الاسطول الفرنسى مقابل الاسطول النمساوى فى البحر المتوسط . وقد حاولت المانيا فى عام ١٩١٢ الاتفاق مع انجلترا بخصوص القوة البحرية للدولتين ، ولكن المفاوضات لم تؤد الى نتيجة . وهكذا انقسمت اوروبا الى معسكرين كبيرين قبل عام ١٩١٤ ، فبينما كان الهدف الاساسى من التحالفات تجنب الحروب والمحافظة على السلام أصبحت باعثة على التعماد والتنازع و اندرت بوقوع الحرب .

الفصل التاسع

الحرب العالمية الأولى

- (١) أسباب الحرب العالمية الأولى •
- (٢) مراحل الحرب •
- (٣) التسوية ونتائج الحرب •

الفصل التاسع

الحرب العالمية الأولى

(١٩١٤ - ١٩١٨)

كان هدف بسمارك الدائم بعد هزيمة فرنسا في عام ١٨٧٠ هو ابقاء فرنسا معزولة في أوروبا والحيولة دون فرض أى حصار دبلوماسي على ألمانيا . وكانت النتيجة في الواقع ، كما أوضحنا في الفصل السابق ، وهو خلق نظامين متنافسين من المحالفات واقامة توازن هش للقوى أعان على ميانة السلام في أوروبا جيلا من الزمن . وطالما كان وجود تكتل ماديها من تلقاء نفسه الى التعجيل باقامة تكتل منافس له ، بحيث يظل توازن القوى معونا في النهاية ، كان كلا الطرفين يخشى نقض السلام ، ولكن ترادف حالات التوتر والتنافس المتعقدة من هذا النوع أنتج في حد ذاته تسابقا في التسلح و أشاع خوفا متسعا النطاق بحيث جر جميع الدول في النهاية الى حرب عظمى . وبدلا من ان يهدد الشركاء الاقل اهتماما والاكثر اتزاناً حلفاءهم ، أصبح الخوف شائعا في أوروبا ، بحيث كان الشركاء الأشد انفعالا والاكثر ميلا للحرب هم الذين سيطروا على توجيه خطوات حلفائهم . ولم يكن مستطاعا انهاء أى خلاف او حصره في موضعه ، لان كل طرف فيه حر الى جانبه الآخرين جميعا . وهذا هو السبب في ان معيرا الارشيدوق النمساوي بيد فتى مربي متحمس في مدينة سراييفو البلقانية الصغيرة أهاج روسيا فرنسا الى حرب مع النمسا و المجر وألمانيا ، و في ان غزو

المانيا لبلجيكا جر بريطانيا والممتلكات البريطانية الى
 حلبة النزاع العامة . وقد لخص سبندر (J.A. Spender)
 فى كتابه " Fifty Years of Europe " الموقف
 الاوروبى فقال :

" كانت المرحلة التى بلغتها اوربا هى
 شبه الدولية التى قسمت الالم الى كتلتين،
 لكنها لم تنشأ بينهما معبرا . وكان عسيرا
 ان تقوم ظروف سلم او حرب أسوأ من هـــــــــ
 كان التوازن بينهما واعيا لدرجة ان نفثه
 ربح قد تودى به - كما حتم تكافؤ قواهما
 الضخمة ان يكون النضال بينهما طويلا
 مريرا . فكان نجاح توازن القوى لعنة فى
 حد ذاتها . " .

كانت الحرب العالمية الاولى فى نواحى كثيرة ، جديدة
 تماما على التاريخ البشرى . حقيقة ان الحروب السابقة ،
 حروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية ، استمرت زمنا
 أطول وعمت نفس الكثرة من الشعوب . ولكن هذه كانت أول
 حرب للجماهير التى ازداد عددها تكاثرا منذ عام ١٨١٥ ، وكانت
 أول صراع قام بين دول القرن التاسع عشر القومية الرفيعة
 التنظيم ، القديرة على التصرف فى طاقات كل مواطنيها
 أو رعاياها وعلى تعبئة القدرة الانتاجية لمصانعها الثقيلة

و على الافادة من كل مالمديها من علوم فنية حديثة فـى
 ايجاد طرق للتدمير مستحدثه . كانت ايضا اول حرب واسعة
 النطاق بدرجة تكفى لقلقلة اقتصاد العالم الذى اشتد
 تداخله فى خلال القرن السابق . وكان من المحتمل منذ
 البداية ان تبين مثل هذه الحرب انها لن تكون اكثر تدميرا
 للحياة البشرية وللثروة المادية فحسب ، بل ان عواقبها
 ستكون كذلك أبعد مرمى تقديرا وضبطا . وهى الحرب الكبرى
 فى التاريخ التى وجد فيها مثل هذا الفارق الكبير بين
 نتائجها وعواقبها من جهة ، و بين مريح نوايا وأغراض من
 بدأوا باشغالها . و ضرورى لهذا السبب أن نخضع المسائل
 التى كانت مزاحة موضوع النزاع عندما بدأت الحرب وبين
 المشاكل التى أصبحت موضوع النزاع فيها قبل ان تنتهى ،
 و بين النتائج الاخرى التى نعرف الآن انها انبثقت منها
 وتميزت بدرجة متكافئة عن كلا النوعين السابقين .

(١) أسباب الحرب العالمية الاولى :

إذا ألقينا نظرة سريعة على مصالح الدول الاوروبية
 الكبرى ، يمكننا تفهم طبيعة الخلاف الذى وجد فى مطلع القرن
 العشرين . و كان الخلاف ينحصر فى المسائل التالية :

- (أ) التنافس النمساوى - الروسى فى البلقان .
- (ب) التنافس البحرى بين انجلترا والمانيا . كما ان
 التنافس التجارى أشار حفيظة انجلترا وأفسد العلاقات
 بين الدولتين .

(ج) التنافس الفرنسي - الألماني في مراكش منذ عام ١٩٠٤ ،
وقد ساعد على استمراره هذه الفترة الطويلة مسألة
الازناس واللورين .

ومن ذلك يتضح أن الاسباب التي أدت الى قيام الحرب
العالمية الاولى انما ترجع في الواقع الى الفترة الممتدة
من عام ١٩٠٤ الى عام ١٩١٣، وتنقسم هذه الاسباب الى
اسباب مباشرة واسباب غير مباشرة .

الاسباب غير المباشرة للحرب :

نشبت فيما بين عامي ١٩٠٤ و ١٩١٣ عدة أزمات خطيرة
أدت الى التهديد بالحرب ، ويمكن ان نجمل هذه الازمات على
النحو التالي :-

أولا : المشكلة المراكشية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) :

أشار الاتفاق الودي بين إنجلترا و فرنسا عام ١٩٠٤ حتى
ألمانيا (١) و سعت الى اظهاره بمظهر العقم في مجال السياسة

(١) نص الاتفاق الودي على ان تطلق فرنسا يد إنجلترا في
مصر مقابل اطلاق حرية فرنسا في العمل في مراكش ، على
ان تحتفظ الدولتان بالساحل الشمالي الغربي لمراكش
لإسبانيا . وقعت في اكتوبر عام ١٩٠٤ معاهدة بين
إسبانيا وفرنسا بهذا الخصوص ، تعترف فيها إسبانيا بمركز
فرنسا الخاص في مراكش ، في نظير وضع يدها على شمسال
غربي مراكش او ما يسمى بمنطقة الريسيف .

الدولية . فأشارت الحكومة الألمانية على الامبراطور وليسم الشانى ، و كان يقوم بنزهة بحرية فى البحر المتوسط عام ١٩٠٥ ، ان يزور مدينة طنجة ، واستجاب الامبراطور لطلب حكومته و انتهز فرصة زيارته فألقى خطابا سياسيا كان له دوى عظيم فى دوائر اوروبا السياسية . فقد أعلن فيه ان سلطان مراكش عاهل مستقل ذو سيادة ، و أعرب عن أمنيته بأن تظل مراكش مفتوحة فى وجه تجارة جنيع الدول على قدم المساواة ، وصرح بأنه عزم على حماية المصالح الألمانية الكبرى بكل ماملكت بلاده من قوة .

و طالبت الحكومة الألمانية بعقد مؤتمر من الدول التى يهملها الامر لسبحث هذه المسألة ، وأيدتها النمسا فى مطلبها . وأذعنت الحكومة الفرنسية ، وعقد المؤتمر فى الجزيرة (Algeciras) و هى بلدة اسبانية صغيرة على مقربة من جبل طارق فى عام ١٩٠٦ ، وقرر المؤتمر ضمان استقلال بلاد المغرب و المحافظة على سياسة الباب المفتوح بالنسبة لتجاريتها ، و لكن أخضع رجال الشرطة فى بلاد المغرب لأشراف فرنسا . وقد أيدت بريطانيا وروسيا الحكومة الفرنسية تأييدا قويا خلال المفاوضات مما أفضى الى احكام أوامر الاتفاق وتوثيق الصداقة بينهما . ورخصت الحكومتان البريطانية والفرنسية لرياستى أركان جيشيهما بالاتصال احدهما بالآخرى لرسم الخطط الحربية ، على اعتبار ان قيام حرب بين فرنسا

والمانيا أمر محتمل الحدوث . ونتيجة لتلك الازمة ايضا
انضمت روسيا الى الوفاق الثلاثي في عام ١٩٠٧ ، وكونت الدول
الثلاث (انجلترا وفرنسا وروسيا) الوفاق الثلاثي .

ثانيا : أزمة ضم البوسنة (١٩٠٨ - ١٩٠٩) :

ضمت النمسا الى امبراطوريتها نهائيا ولايتي
البوسنة والهرسك ، وهما الولايتان العنقليبتان
اللذان وكل اليها مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ أمر
ادارتهماء وكانتا ذات أهمية خاصة للنمسا، فقد
كانتا حلقة اتصال بين ممتلكاتها في دالماسيا
وموانئها على البحر الادرياتي . وشرعت مسرعة
في طبعهما بالطابع الجرمانى و عملت على قمع الميول
التى قد يبديها أهلها للانضمام الى اقربائهم
المجريين . ولم يكن هذا الضم ضربة موجبة ضد
الدولة العثمانية بقدرها اعتبر ضربة قاسية لمملكه
الصرب الفتية فى حركتها القومية ، وضربة غادرة
لروسيا اذا حملت النمسا على هدفها بينما أصبح
على روسيا المطالبة بتنفيذ فكرة التعويض ولجأت
روسيا الى فرنسا وبريطانيا ، ولكن فرنسا رفضت
ان تقف الى جانب روسيا لانها (أى روسيا) كانت
تدبر مع النمسا من وراء ظهرها أمورا كان يجب
ان يؤخذ رايها فيها . أما بريطانيا فقد تمسكت

بموقفها التقليدي وهو استمرار اغلاق المضائق
 في وجه السفن الروسية الحربية . ورغم ذلك أثبت
 الاجزاء الذي اتخذته النمسا ان دول التحالف
 الثلاثي هي القوة الحقيقية المهددة لروسيا،
 الامر الذي زاد من ارتباط روسيا بحليفاتها فرنسا .

ثالثا : أزمة أغادير (١٩١١) :

حاولت المانيا فصح عري التطويق التي أحكمتها
 دول الوفاق الثلاثي فاتهمت المانيا الحكومة
 الفرنسية بأنها تسعى الى اعلان الحماية على بلاد
 المغرب ، وأرسلت في يوليو عام ١٩١١ طرادا إلى
 أغادير و هي قرية صغيرة على ساحل بلاد المغرب
 على المحيط الاطلسي ، وذلك بحجة حماية مصالح
 الرعايا الالمان . ووقفت انجلترا من وراء فرنسا
 تؤيدها ووافقت فرنسا على عقد مؤتمر دولي في
 أغادير . واتفقت الدولتان (فرنسا و المانيا)
 في ١١ اكتوبر على حماية فرنسية على مراكش
 و تعويض المانيا في الكونغو الفرنسية . وفي
 نوفمبر وقعت للمعاهدة ، وكانت في صالح فرنسا
 الى حد كبير ، اذ حصلت على كل ماتريد في مراكش
 و لكن هذه المعاهدة لم تلق قبولا حسنا في برلين ،

فقد استقال وزير المستعمرات الألماني احتجاجا
 ازاء سخط الرأي العام على الحكومة لجبنها،
 وعلى انجلترا لمساندتها لفرنسا . ورأى ان اساس
 الازمة اتفاق انجلترا وفرنسا في عام ١٩٠٤ دون
 اشتراك المانيا . وهكذا أدت تلك الازمة التي
 نتيجتها هامة ، وهي ان بريطانيا تعدت في علاقتها
 مع فرنسا مجال الوفاق الى مجال التحالف دون النص
 على ذلك في معاهدة او اتفاقية .

رابعاً : الحروب البلقانية (١٩١٢ - ١٩١٣) :

في عام ١٩١٢ أعلن حلف بلقاني مكون من اليونان
 و الصرب وبلغاريا والجبل الاسود الحرب على الدولة
 العثمانية . فقد تمكن فينيزيلوس داهية اليونان
 الاكبر من تكوين هذا الحلف ، وساعده في ذلك روح
 القومية المتطرفة الذي ساد شعوبه . كما شجعت
 الحكومة الانجليزية سرا على تأليفه ، كي تعمس
 على اذلال الدولة العثمانية التي كان ساستها
 قد ارتموا في أحضان المانيا . وقد تمكنت الجيوش
 البلقانية المتحالفة من هزيمة الدولة العثمانية
 واستطاعت العمبة البلقانية في حملة لم تدم أكثر
 من ستة أسابيع انتزاع جميع اراضي الدولة

العثمانية في أوروبا ، ماعدا رقعة صغيرة من الأرض
تضم استانبول وأدرنة . وفي ٣٠ مايو عام ١٩١٣ أكره
ممثلو الباب العالي على ان يوقعوا معاهدة لندن ،
وبمقتضاها لم يبق للدولة العثمانية من أملاكها
الأوروبية سوى عاصمتها استانبول وشبه جزيرة غاليبولي .

ولكن سرعان ما دب الخلاف بين الحلفاء لتقسيم أسلاب
الحرب فأعلنت بلغاريا الحرب في ٣٠ يونيو عام ١٩١٣ على اليونان
والصرب لامتلاك مقدونيا . وانتهزت الدولة العثمانية ورومانيا
الفرصة فأعلنتا الحرب على بلغاريا التي هزمت واضطرت الى
طلب الصلح . واجتمع ممثلو الدول المتحاربة في بوخارست عام
١٩١٣ ، حيث وقعوا على معاهدة قضت باستحواذ اليونان على جزء
من مقدونيا وميناء سالونيك وجزيرة كريت ، واتفق على جعل
البانيا دولة مستقلة واستولت رومانيا على اقليم دوبرججة
الجنوبي ، واستردت الدولة العثمانية أدرنة ، وتضاعفت رقعة
كل من الصرب والجبل الاسود . أما بلغاريا فقد خرجت من الحرب
مفر اليدين .

وقد أدت الحروب البلقانية الى نتائج مهدت لقيام
الحرب العالمية الاولى . فبلغاريا خرجت من الحرب مهيفة الجناح
ولم تسرع روسيا الى انقاذها ، في حين ان النمسا هي التي وقفت
الى جانبها ، ولذلك توترت العلاقات الروسية - البلغارية ، كما

ان التقارب العثماني - الالمانى قد تزايد بعد الحرب ، فطلبت الدولة العثمانية قائدًا المانيا لقيادة الجيش العثماني مما أشار مخاوف روسيا من ان تتحكم المانيا بالتدريج فى المضائق . ومن ناحية أخرى أدت هزيمة الدولة العثمانية وهياج الشعور القومى فى البلقان الى تشتيت قوات النمسا والمجر التى رأت الاحتفاظ بقوات كبيرة ترقب الموقف فى البلقان ، مما حال دون ان تلقى بجيوشها ضد روسيا فى حالة وقوع حـسـرب معها . وقد حدث هذا فى نفس الوقت الذى زاد فيه التقارب بين دول الوفاق الثلاثى .

خامسًا : سياق التسليح : أدت أزمة أغاير والحروب البلقانية الى توتر فى العلاقات بين الدول مما أدى الى التسابق على التسليح . وظهر ذلك واضحا فى القانون العسكرى الالمانى الصادر فى عام ١٩١٣، وفى القانون الفرنسى فى نفس الوقت ايضا . وقد شملت مشاريع التسليح ، خصوصا فى بريطانيا والمانيا ، السلاحين البرى والبحرى . وفيما بين عامى ١٩٠٧ و ١٩٠٩ قامت بريطانيا بمحاولات لاقتناع المانيا بتحديد قوتها البحرية حتى لا تضطر الى مجاراتها ، مما يستلزم زيادة النفقات ، ووقوع عبء ذلك على دافعى الضرائب من الانجليز . ولما فشلت بريطانيا فى اقناع المانيا ، قررت زيادة قوتها البحرية ولكنها قامت بمحاولة اخرى فى عام ١٩١٢ فأرسلت هالـسـدن

(Haldane) وزير الحربية الى برلين ،
 ووافقت المانيا على الابطاء فى مشروعاتها الحربية
 بشرطين ، الاول ان تقف بريطانيا موقف الحياد فى حالة
 حدوث حرب بين المانيا ودولة اخرى ، والثانى ان تعد
 بريطانيا بعدم مهاجمة المانيا ، وقبلت بريطانيا
 الشرط الثانى ورفضت الالتزام بالشرط الاول لما فيه
 من تشجيع لالمانيا على العدوان ، ولذلك فشلت
 المفاوضات .

وفى يوليو عام ١٩١٢ ، أصدرت المانيا القانون العسكرى
 الالمانى الذى زاد من قواتها وقت السلم من ٦٢٣ر٠٠٠ الى
 ٨٨٠ر٠٠٠ جندى . وفى ٧ أغسطس قابلت فرنسا هذا القانون بالمثل
 فعدت الخدمة العسكرية من سنتين الى ثلاث سنوات ، وبذلك توفر
 لها عدد كبير من الجنود تحت السلاح . ولم يحدث شئ مماثل فى
 كل من النمسا وروسيا وايطاليا وحتى بريطانيا (لم تشأ
 بريطانيا قبول الخدمة العسكرية الالزامية) . وعلى العموم
 أدى السباق على التسلح الى حدوث توتر فى العلاقات الدولية ،
 لهما الاذهان لتقبل فكرة الحرب ، وأدى ذلك بالتالى الى محاولة
 كل حكومة ان تستكمل استعداداتها الحربية قبل غيرها ، وان تستفيد
 من هذا السبق فى العدوان على عدوتها قبل ان تتم تسليحها .
 وأيدت التطورات الى حد كبير صحة النظرية القائلة بأن التسابق
 على التسلح يؤدى الى الحرب .

سادسا : التنافس على المعالج الاقتصادية : يعتبر التنافس الاقتصادي بين الدول الصناعية الكبرى من أهم أسباب قيام الحرب . يفسر لنا هذا ، الكثير من الازمات الدولية السابقة . فيوضح لنا هولشتين (Hölsstein) مدير الشؤون السياسية بوزارة الخارجية الألمانية أسباب تدخل ألمانيا في أزمة مراکش عام ١٩٠٤ فيقول: " يجب على ألمانيا ان تتدخل في القضية المراكشية لأسباب اقتصادية وللدفاع عن جاهها ونفوذها . ويجب الا تترك قضية كبرى تسوى خارجا عنها مهما كانت ، وفي أي جزء من العالم " وبهذه النظرة وافقت ألمانيا في عام ١٩٠٩ ان تتفق مع فرنسا بشأن مراکش على ان تقسم معها الارباح الاقتصادية . ومن المؤكد ايضا ان التنافس التجاري بين ألمانيا وبريطانيا ، وقلق بريطانيا من نمو التجارة الخارجية الألمانية في كثير من أسواق العالم (في بلجيكا وهولندا وأمريكا اللاتينية والدولة العثمانية) قد أدى الى زيادة التنافس البحري بين الدولتين ، ويقال بأن السبب الذي دفع ألمانيا الى مغامرتها في عام ١٩١٤ أزمة اقتصادية كانت تجتازها ، بالإضافة الى حاجتها في استغلال مشروع افريقيا الوسطى كسوق جديدة لمنتجاتها ، وكذلك تحقيق مشروع الاتحاد الجمركي الذي يضم دول وسط أوروبا (Mitteleuropa) وجزء من البلقان .

سببها : نمو الروح القومية : أدى نمو الروح القومية بلا شك الى دفع الدول الى اتون الحرب ، فظهر المانيشتا كدولة قومية موحدة في عام ١٨٧٠ كان له أثر في محاولة المانيا تحقيق امانيتها بقوة السلاح لفرض وجودها كدولة قوية يجب ان يكون لها مستعمرات أسوة بالدول الاوروبية الاخرى مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والبرتغال ، كما ان اشتداد الحركة القومية العربية بعد الحروب البلقانية سواء داخل المغرب أو بين الاقلية العربية الكبيرة تحت حكم امبراطورية النمسا والمجر ، كان من أهم العوامل التي أدت في النهاية الى وقوع الحرب العالمية الاولى .

الاسباب المباشرة :

تتمثل الاسباب المباشرة التي أدت الى اندلاع شرارة الحرب العالمية الاولى في التطورات التالية ، ففي ٢٨ يونيو عام ١٩١٤ قام طالب من أبناء البوسنة يدعى جافريلو برنسيينسب (Gavriilo Princip) بإطلاق الرصاص على الارشيدوق فرديناند ، وارث عرش الامبراطورية النمساوية وزوجته في سراجيفو عاصمة النمسا ، بينما كان ولي العهد يقوم بزيارة رسمية فأرداه وزوجته قتيلين . وعرف من التحقيق ان الطالب ينتمي الى جمعية " اليد السوداء " العربية التي ارتكبت من قبل عدة اغتيالات سياسية ، واتهمت النمسا حكومة العرب بأف هذه الجمعية تلقى

تشجيعا من جانب بعض كبار موظفيها ، وان تلك الحكومة متواطئة مع بعض الجمعيات السرية بها للقيام بعمليات ارهابية بغية القضاء على النفوذ النمساوى فى ولايتى البوسنة والهرسك ، وان الجريمة لم تكن لتترتكب الا باغماض كبار حفظة الأمن فى الصرب أعينهم ، ان لم يكن بتواطئهم الخفى مع مدبريها .

وكتب الامبراطور النمساوى خطابا الى امبراطور المانيا أوضح له فيه خطر الجامعة العقلية وخطر حركات الروس فى البلقان . وقد أوضح امبراطور المانيا لسفير النمسا فى برلين ان النمسا يمكنها الاعتماد على تأييد المانيا ، وانه اذا قامت حرب بين النمسا والروسيا فانها (أى المانيا) ستقف بجانب حليفها . وسلمت النمسا حكومة الصرب انذارا طالبتها فيه بحل الجمعيات الصربية التى تنشر الدعاية ضد النمسا والبحث عن المشتركين فى جريمة الاغتيال والقبض عليهم . وردت الصرب بأنها مستعدة للموافقة على اجابة بعض هذه المطالب ، غير انها رفضت رفضا قاطعا المطالب النمساوية التى تمس مظاهر استقلالها وفى ٢٣ يوليو أرسلت النمسا انذارا نهائيا الى حكومة الصرب تطلب منها الموافقة على جميع المطالب خلال ثمان وأربعين ساعة ، ومن أهم هذه المطالب ان تتعهد الصرب بالتحقيق تحقيقا نزيها عاجلا فى الجريمة ، وان تنزل بمقتريفيها والمتواطئين عليهما عقابا رادعا . وان تعمل على كبح الدعاية العنيفة القائمة ضد النمسا فى الصحف ودور العلم ، وحل الجمعيات السرية ، وطرد

الموظفين الصربيين الذين يناصرون تلك الدعاية ، وطلبت النمسا ان يسمح لموظفيها بمساعدة الحكومة الصربية في القضاء على هذه الحركات المعادية لها وللبعض القضاة النمسويين ان يجلسوا مع القضاة الصربيين خلال محاكمات المتواطئين والشركاء في الجريمة .

قبلت حكومة الصرب الانذار باستثناء مطالب اشتراك النمسويين في الاجراءات القضائية بحجة انه يعس مظهرا هاما من مظاهر استقلال الصرب . وردت النمسا في ٢٥ يوليو بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الصرب ، وبعد ثلاثة ايام أعلنت الحرب على الصرب وكان هذا في نظر الصرب عملية سحق لها ، وتطلعت بسرعة الى منقذ لها ، وكانت روسيا مستعدة لتلقيام بهذا الدور لانها كانت لا تقبل بأي حال من الاحوال سحق الصرب على يد النمسا لما سيترتب عن ذلك من تسلط نمسوى على البلقان ، وأعلنت روسيا تحريك جيوشها وحاولت بريطانيا ان تمنح روسيا بالاعتدال ، ولكن الاعتدال لم يكن من سياسة روسيا في ذلك الوقت . واضطرت المانيا الى ارسال انذار حربى الى روسيا ، لاسيما أن حركة تحريك الجنود كانت ضد النمسا والمانيا . ولم تحاول فرنسا الضغط على روسيا ، وكانت ترى انه اذا أعلنت بريطانيا انها ستقف بجانب فرنسا لن تكون هناك حرب ومن ناحية اخرى ، أرسلت بريطانيا تطلب من المانيا وفرنسا ضمانا باحترام حياد بلجيكا ، فأعطت فرنسا ذلك الضمان ورفضت المانيا . ولما طلبت المانيا من بريطانيا اعطاء شروطها للحياد رفضت بريطانيا .

وهكذا اتسع الخلاف وأصبح أوروبا • فلم ترد روسيا على انذار ألمانيا ، واوضحت فرنسا لألمانيا موقفها وهو أنها ستعمل بما تمليه عليها مصالحها ، وحركت جيوشها عندما هاجمت القوات الروسية الحدود الألمانية في أول أغسطس • وفي ٢ أغسطس أعلنت بريطانيا أنها ستؤيد فرنسا بحربا إذا حصل أول الأسطول الألماني دخول القنال الإنجليزي ومهاجمة فرنسا أو الاعتداء على سفنها • وفي ٣ أغسطس أوضح ادوارد جـراي (Grey) وزير خارجية بريطانيا سياسة بلاده بقوله :

" لعدة سنوات كانت تربطنا بفرنسا أواصر الصداقة ، ولكن إذا أردنا ان نعرف مدى ما يترتب على هذه الصداقة من التزامات ، فلينظر كل منا في قرارة نفسه ومشاعره ليتوصل بنفسه الى مدى هذه الالتزامات • ان الأسطول الفرنسي موجود الآن بالبحر المتوسط ، والسواحل الشمالية والغربية لفرنسا بدون حماية على الإطلاق بسبب شعور الثقة والصداقة بين الدولتين • وان شعوري الخاص انه اذا اشتبك أسطول اجنبي مع فرنسا في حرب لم تسع اليها ، ودخل هذا الأسطول القنال الإنجليزي وضرب السواحل الفرنسية غير المحمية فاننا لن نقف مكتوفى اليدين • لقد كان من حق فرنسا ان تعرف بشكل فوري ما اذا كان بإمكانها ان تعتمد على مساعدة بريطانيا لها في حالة ما اذا تعرضت للهجوم سواحلها غير المحمية في الشمال والغرب • ونتيجة لذلك فقد أعطيت

وعدا بالأمس للسفير الفرنسي ولم يكن هذا
اعلان للحرب " .

وعن حياد بلجيكا قال الوزير البريطاني :

" لقد وملتنا أخبار انذار الماني ، اذا
كان هذا حقيقا ، واذا كانت قد قبلت ، فان
استقلالها يكون قد انتهى بصرف النظر
عما تمنحه لها المانيا في مقابل ذلك
فاذا هزمت فرنسا ، واذا وقعت بلجيكتنا
تحت نفس السيطرة ، ثم بعد ذلك هولندا
وبعدها الدانمرك ، فلنا ان نتصور مقدار
الخطر الذي تتعرض له المصالح الانجليزية .
فاذا تنزلنا من التزاماتنا التي يفرضها
الشرف والمصلحة في أزمة كهذه فيما يخص
المعاهدة البلجيكية ، فاني أشك في قيمة
أية قوة مادية وقد تكون لدينا في النهاية
اذا ما قورنت بما تكون قد فقدناه من
احترام ، رغم ان الاسطول على استعداد الآن
وان الجيش في سبيل استكمال استعداداته
فاننا لم نعد حتى الآن بارسال حملة خارج
البلاد . ولكن اذا اضطررنا ان نتخذ موقفا
محددا في هذه القضايا ، فاعتقادي هو ان
البلاد حين تدرك انه الخطر الذي تتعرض له ،
فاننا سنعمل ، لا على مساعدة مجلس العموم
فحسب ، ولكن سيدعمنا في موقفنا كذلك
تصميم الأمة بأكملها وشجاعتها واحتمالها " .

وفي نفس اليوم (٣ أغسطس) أعلنت المانيا الحرب على
فرنسا لانها ردت عليها ردا لم تطعن الى جانبه وقالت بأنها

ستعمل بما تمليه عليها مصالحها . وفى اليوم التالى زحفت
المانيا على بلجيكا واحتلت دوقية لكسمبرج المحايدة . وفى
نفس اليوم ارسلت الحكومة الالمانية اذارا نهائيا الى
بلجيكا أمهلتها فيه اثنتى عشرة ساعة ، وطلبت منها السماح
للجيوش الالمانية بعبور اراضيها فى طريقها الى فرنسا .
فرفضت الحكومة البلجيكية هذا المطلب ، واستمرخ مليكها جورج
الخامس البريطانى فطلبت الحكومة البريطانية مشددة من
المانيا احترام حياد بلجيكا بمقتضى معاهدة لندن عام ١٨٣٩م
التي وقعت عليها بروسيا نفسها ، والتي ضمنت فيها حياد تلك
المملكة الصغيرة . ولكن القوات الالمانية شرعت تشق طريقها
فى اراضى بلجيكا على اثر انتهاء موعد الانذار النهائى .
فأعلنت الحكومة البريطانية فى ٤ اغسطس الحرب على المانيا .
أما إيطاليا فى عام ١٩١٤ فكانت مقيدة باتفاقات مع دول الاتفاق
الودى ، ولو ان علاقاتها مع المانيا كانت جيدة الا ان مطامعها
فى الترننتينو وجزء ١٦ من ساحل دالماشيا لا يمكن تحقيقها الا على
حساب النمسا . ثم ان ايطاليا لن تستطيع ان تساعد المطامع
النمساوية فى البلقان . ولذلك رفضت فى عام ١٩١٤ دخول الحرب
فى جانب حليفتيها ، غير انها ما لبثت ان اعلنت عليهما الحرب
فى مايو عام ١٩١٥ بمقتضى معاهدة سرية أبرمت بلندن فى ٢٨
ابريل ١٩١٥ وتعهدت فيها بريطانيا وفرنسا باعطائها عسك
انتهاء الحرب نهاية مظفرة ، تريستا والترننتينو وجزء ١٦ من
ساحل دالماشيا ، علاوة على قسم مناسب من المستعمرات الالمانية .

وفى نفس اليوم الذى أعلنت فيه المانيا الحرب على روسيا (اول اغسطس ١٩١٤) عقدت الحكومة العثمانية معاهدة سرية مع المانيا تعهدت فيها بمساعدتها ضد روسيا وتظاهرت الدولة العثمانية بالحييدة فترة من الزمن . ولكن عندما بدا لها ان استعداداتها الحربية قد اكتملت بدرجة كافية أرسلت اسطولها فحرب فى ٢٩ اكتوبر عام ١٩١٤ الموانئ الروسية على البحر الاسود ، فردت روسيا على هذا الاعتداء باعلان الحرب عليها . وفى ٥ نوفمبر أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، وقطعت علاقاتها بها . وفى ٨ ديسمبر أعلنت بريطانيا الحماية على مصر وقطعت بذلك أى ارتباط بينها وبين الدولة العثمانية .

وبذلك غدا القتال عالميا فى فترة لم تزد على ثلاثة اشهر من ٢٨ يوليو الى اكتوبر ، وشمل خمسا من قسارات العالم الست . ووقفت الامبراطوريات الالمانية والنمساوية والعثمانية فى جانب ، وروسيا وفرنسا وبريطانيا ومستعمراتها واليابان وبلجيكا والصرب ، والجبل الاسود فى الجانب الآخر . ودامت الحرب اثنين وخمسين شهرا ، طويلة اذا قورنت بالغارات البسماركية الخاطفة لكنها قصيرة اذا قورنت بغيرها من الحروب الاوروبية العامة . ولم يكن الجديد فيها هو طول المدة بل الشدة العنيفة المركزة : أى السرعة التى أثبتت بها الدول الصناعية الكبرى قدرتها

على تحريك جيوش ومؤون ونقلها مئات الاميال ، وقذف كل دولة الاخرى بها فى انتحار مريض . كما اضطرت كل حكومة الى ان تعتصر جهد قومها بشدة ثم تزيد اعتماده طلبا للمزيد ، لا من القوات المسلحة فحسب ، بل من الجبهة المدنية وفى الانتاج الصناعى كذلك . لم تطبق بريطانيا نظام التجنيد الاجبارى حتى عام ١٩١٦ ولم تفرض فرنسا حتى عام ١٩١٧ ضريبة الدخل لتمويل الحرب ، لكن كليهما اضطرت فى النهاية الى الالتجاء الى هذه الاجراءات الضرورية للحرب الشاملة .

و هكذا كان دخول كل من الدول المتحاربة الى الحرب مقرا باعتبارات الأمن والقوة القومية . وكان للمشاكل والمنازعات صلة كبيرة بتبادل المخاوف وفقدان الثقة فى قارة اوروبا . فحينما دخلت امبراطورية النمسا والمجر فى حرب مع الصرب فى عام ١٩١٤ ، وحينما انحازت روسيا الى جانب الصرب ، بلغت المسألة الشرقية للقرن التاسع عشر ذروتها . ولم يكن بوسع امبراطورية النمسا والمجر الوراثية والعديدة القوميات ان تتسامح فى نمو دولة الصرب دون المجازفة بزيادة تفككها هى التى اقسامها القومية . ولم يكن بوسع امبراطورية روسيا القيصرية الوراثية ان تتسامح فى التوسع النمساوى فى البلقان دون ان تضيع دعوتها لشعوب شرق اوروبا

المناسبة وحين تعبأت ألمانيا بجانب النمسا والمجر،
 وفرنسا بجانب روسيا والصرب فلما لم يكن بوسع أيهما أن
 تفيع عند حسابها لمقتضيات سلامتها وأمنها معونة حليفاتها
 لها فد الأخرى . وحين أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا،
 كان السبب هو أن ألمانيا قد انتهكت تعهدا مشتركا باحترام
 الحياد البلجيكي من جهة ولأن الاتفاقات البحرية المعقودة
 مع فرنسا والخوف من القوة البحرية الألمانية أوجبا على
 بريطانيا أن تقف فرنسا في جه هذا الهجوم . ولما أعلنت
 اليابان فيما بعد الحرب على ألمانيا كانت تقود الاستيلاء
 على ما للأخيرة من امتيازات في الصين ومن جزر في المحيط
 الهادى . ولما انضمت الدولة العثمانية وبلغاريا إلى
 ألمانيا بعد تمهل قليل كان ذلك لأن أحدهما كانت خصما
 لروسيا ولأن الأخرى كانت تكن بعض الشكاوى ضد الصرب .
 ولما انضمت إيطاليا في عام ١٩١٥ إلى بريطانيا وفرنسا
 والروسيا، كان ذلك لأنها كانت قد نالت بموجب معاهدة لندن
 السرية المعقودة في ذلك العام وعدا بمغانم اقليمية على
 حساب الدولة العثمانية والنمسا ، كما منيت بمغانم
 استعمارية .

(٢) مراحل الحرب :

كانت خطة الألمان ترمى إلى انقراض جحافلهم على فرنسا،
 فتحطم جيوشها في الغرب في مدى اسبوعين أو ثلاثة، ثم

ينقضون على روسيا بعد ذلك فى الشرق . وتنفيذا لهذه الخطة
 جرد الالمان اكثر قواتهم على فرنسا، فاخترق أحد جيوشهم
 بلجيكا وسار آخر الى لكسمبرج ، وهاجم جيش ثالث فرنسا
 من متر الى نانسى . وفى ٢٠ أغسطس احتل الالمان بروكسل
 وسقط فى ايديهم حصن لياج ونامور المنيعان ، وشق الجيش
 الالماني الزاحف على فرنسا طريقه دون ان يستطيع الفرنسيون
 والبريطانيون وقفه ، حتى صار فى اول سبتمبر على بعد
 أربعين كيلو مترا من باريس ، واضطرت الحكومة الفرنسية
 الى الانتقال الى بوردو ، واستعدت العاصمة الفرنسية
 لحصار مريير ، ولكن الجيش الفرنسي بقيادة المارشال جوزيف
 أحرز نصرا فاصلا على الالمان فى معركة المارون التاريخية
 (٦ - ٩ سبتمبر) فاضطر الجيش الالماني الى التقهقر سريعا
 الى نهر الاين L'Aisne وبذلك طاش أمل قواده فى
 احراز الانتصارات فى حرب خاطفة . ومالبث القتال ان تحول
 الى حرب خنادق ، تحصن فى داخلها المقاتلون من كلا الفريقين ،
 وامتدت المتاريس والخنادق من بحر الشمال الى سويسرا
 جنوبا ، وحصنت بالاسلاك الشائكة .

و فى بداية الحرب قامت روسيا بهجوم كبير على ولاية
 بروسيا الشرقية الالمانية وتقدم جيشها الكبير سريعا ،
 غير ان القائد الالماني الكبير هزمهم هزيمة فادحة عند
 تاننبرج فى ٢٧ أغسطس ، وتمكن من القضاء على الجيش الروسى

وقائده سامسونوف فى معركة تشبه موقعة سيدان ، ولذا اطلق عليها اسم سيدان الروسية . وبذلك لم يكن للروس خطر كبير على المانيا بعد ذلك ، ولو ان الروس تمكنوا بعد ذلك من غزو بعض أجزاء بروسيا الشرقية . ومن ناحية اخرى ، كانت مقاومة النمسا ضعيفة ، وتمكن الروس من غزو غاليسيا ، وهددوا سيليزيا . كما انهزمت النمسا أمام الصرب الى طردت جنودها من بلجراد ، وقامت الصرب بغزو البوسنة .

وكان لانضمام اليابان الى فرنسا وانجلترا وروسيا ان قامت الحرب ضد المانيا فى الشرق الاقصى ، ففى ٥ اغسطس جهت اليابان انذارا الى المانيا تطالبها بتسليم كياوشاو ، كما أمدت روسيا بالذخائر والمؤن وحمت سفن الحلفاء فى الشرق الاقصى . ومن ناحية أخرى ، سرت روسيا بدخول الدولة العثمانية الحرب بجانب المانيا حتى تتمكن من تنفيذ مخطمتها ، كما أعلنت انجلترا ان استانبول و المضائق ستكون من نصيب روسيا . وبدأت روسيا تتعمل بحلفائها بخمس تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية . وعلى العموم وازن انضمام الدولة العثمانية الى المانيا انضمام ايطاليا الى الحلفاء بعد ذلك بستة أشهر ، ولكن ايطاليا لم تسهم بشئ يذكر فى حملة الدردنيل او فى القتال فى البلقان . ولقد زاد من حرج الموقف العسكرى العام لدول الوفاق ، وخاصة روسيا فشل الحملة الانجليزية الى الدردنيل فى

سبتمبر عام ١٩١٥ ، واضطرت الحملة الانجليزية الى الانسحاب
 وضاع أمل روسيا فى فتح الطريق لتوصيل المواد العسكرية
 اللازمة لها . وفى ٢٤ أكتوبر عام ١٩١٧ أنزلت حملة
 نمسوية - المانية هزيمة قاسية بالجيش الايطالى فى موقعه
 كابوريتو (Caporetto) .

و على أية حال انتهت الحرب فى عام ١٩١٥ فى صالح
 الدول الوسطى ، فلم ينجح الحلفاء فى الغرب وانهمزمت
 روسيا فى الشرق ، ولم تغلح ايطاليا فى هجماتها ودخلت
 بلغاريا الحرب فى صالح الدول الوسطى ، وسقطت الحرب
 وفشلت حملة الدردنيل . ولكن فى عام ١٩١٦ ، بدأت كفـ
 الحلفاء ترجح ، فقد انكسرت حدة الهجوم الالمانى نتيجة
 موقعتين فاصلتين فى تاريخ الحرب العالمية الاولى . ففي
 معركة فردان Verdun استطاع الفرنسيون بعد تضحيات
 جسيمة ان يوقفوا الزحف الالمانى وان يستعيدوا الاراضى
 التى فقدوها فى الهجوم الالمانى الاول ، وبذلك استطاع
 الفرنسيون ان يوقفوا الغزو الالمانى لأول مرة منذ بدايه
 الحرب . وخسر الجيش الفرنسى فى هذه المعركة نحو نصف
 مليون مقاتل ، وبلغت خسائر الالمان نحو ستمائة ألف رجل .

وقبل ان تنتهى معركة فردان ، رد الفرنسيون والبريطانيون
 فى اول يوليو على هجوم الالمان بخوض غمار معركة السوم
 الكبرى (La Somme) . ولقد بلغ من شدة التضاحـ

ان فقد البريطانيون فى اليوم الاول من هذا الهجوم نحو
ستين ألفا بين قتل وجريح . وظل هذا الصراع الهائل
محتدما الى نوفمبر . وظهر فى ١٥ سبتمبر خلال هذه الموقعة
سلاح حربى اخترعه البريطانيون : هو سلاح الدبابات الذى
أدى استخدامه بالتدريج الى انتهاء حرب الخنادق فى الميدان
الغربى . ولم يتفكر الالمان سوى أميال قلائل . وبينما
كانت معركتا فردان والسوم دائرتين ، انقض جيش روسي
بقيادة الجنرال بروسيلوف على قوات النمسا والمجر، واستحوذ
على رقعة كبيرة من الارض على حدود المجر . وشجع هذا
الانتصار الباهر رومانيا على الانضمام الى جانب الحلفاء
فأعلنت الحرب فى ٢٧ أغسطس عام ١٩١٦ على النمسا والمجر،
فرددت المانيا فى اليوم التالى باعلان الحرب عليها . وكان
انضمام رومانيا الى جانب الحلفاء قد أتاح للالمان فرصة
الهجوم عليها واكتساح اراضيها ، اذ استطاعت القسوات
الالمانية تحت قيادة المارشالين فلكنهاين وماكنزن من
اكتساح الاراضى الرومانية والاستيلاء على العاصمة بوخارست
فى ٦ ديسمبر عام ١٩١٦ ، وبذلك استطاع الالمان أن يستولوا
على دولة غنية بثروتها الطبيعية ولاسيما البترول عـسب
الحرب .

و مما ضاعف من متاعب الالمان الحصار البحرى الشديد
الذى فرضه الانجليز على الالمان مما أدى الى قلة المواد

الغداشية لدى الشعب الالمانى . ونظرا لتفوق بريطانيا
البحرى تمكنت من القيام بعمليات بحرية فى البحر المتوسط
دون ان تخشى شيئا من قوة المانيا البحرية ، فتمكنت من
انزال قواتها فى الدردنيل ، وكذلك فى سالونيك ، كما انها
قطعت كل صلة تربط المانيا بمستعمراتها ، بحيث أصبحت تلك
المستعمرات مهددة بالسقوط فى ايدى الحلفاء دون ان تستطيع
المانيا أن تفعل شيئا من اجل انقاذها . كما ان قوة
البحرية الانجليزية قد قلت الى حد كبير خطر الحصار
الالمانى الذى فرض على الجزر البريطانية عن طريق الغواصات
التي قامت بحرب لاهوادة فيها فى اغراق السفن المتجهة الى
بريطانيا مهما كانت جنسيتها . ورغم تفوق بريطانيا البحرى
الا ان الاسطول الانجليزى قد أصيب بخسائر كبيرة نتيجة لحرب
الالغام والغواصات والطوربيدات . وفى ٢١ مايو عام ١٩١٦
دارت معركة جوتلند (Jutland) بين الاسطولين
البريطانى والالمانى ولكن بريطانيا لم تحرز نصرا حاسما
على العدو .

و بعد مرور حوالى عامين على اندلاع الحرب ، لم يحقق
الجانبان المتحاربان نصرا حاسما يرجح كفة احدهما على
الآخر ، ويرجع ذلك فى الواقع الى عدة عوامل هى :

أولا : ظهر خلاف بين رغبات الشعوب ومشیئة الحكومات، فبينما أرادت الشعوب الوصول بالحرب إلى نهايتها عن طريق حل وسط يرضاه الطرفان بسبب الخسائر الكبيرة التي نزلت بتلك الشعوب، لم توافق الحكومات على هذا الحل وفضلت الاستمرار في الحرب حتى نهايتها الفاصلة . ولقد تكبدت الشعوب في عام ١٩١٦ بالذات تفجیحات جسيمة ففى كلا المعسكرين المتحاربين، هذا بالإضافة إلى تدهور الأحوال الاقتصادية بسبب موجه الغلاء وقلة الأجور ففى فرنسا شار الرأى العام ضد وزارة بريان Briand لأنها لم تتخذ خطوة ايجابية لانتهاء الحرب . وفى نفس الوقت سقطت حكومة اسكويث Asquith فى انجلترا وحلت محلها وزارة لويد جورج . بل ان مستشار المانيا واجه صعوبات داخلية كثيرة، وقامت أيضا صعوبات فى النمسا ضد الحكومة وخموسا من القوميات غير الالمانية الخاضعة لحكمها، وقتل رئيس الوزارة فى ٢١ اكتوبر عام ١٩١٦ .

ثانيا : نمت الحركة الاشتراكية الدولية فى اوربا ففى ذلك الوقت فى مختلف الدول الاوروبية . والتفت آراء الاشتراكيين الحیادیين فى سويسرا بزعامة

جريم (Grimm) وحاولوا منذ عام ١٩١٤ احياء
 مذهب " الدولية " من جديد مع الاشتراكيين
 الايطاليين والروس البلاشفة تحت زعامة لينين،
 الذى كان لاجئاً فى سويسرا . ونتيجة لذلك عقد
 أول مؤتمر اشتراكي دولي فى سبتمبر عام ١٩١٥ فى
 زيمرفالد (Zimmerwald) بالقرب
 من برن ، وضم أعضاء من جميع الدول المحايدة
 و الاشتراكية فى الحرب على السواء . وقد ناشد
 المؤتمر فى قراراته الشعوب الكادحة فى أوروبا
 بأن يطلبوا من حكوماتهم ابرام الملع . وفى
 العام التالى تجدد هذا اللقاء فى كنتنهال
 (kienthal) وكان هذا النداء الذى
 تجدد مرة أخرى يعبر عن رأى كثير من الشعوب
 فى انتهاء الحرب و اقرار السلام .

و على الرغم من كل المعوقات ، حاولت الحكومات ان تدفع
 بالحرب حتى النصر ، وفى ٢٠ ديسمبر عام ١٩١٦ وجه الرئيس
 ولسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية مذكرة الى الدول
 المتحاربة طلب فيها ان يوضحوا وجهات نظرهم فى شروط
 الملع ولكن دول الوفاق اظهرت اصرارها على الاستمرار فى
 الحرب ، وصرحت بأن غايتها من الحرب هى تحرير الالـ
 واللورين و تحرير الايطاليين والسلافيين والرومانيين

والتشيكوسلوفاكيين الخاضعين للنفوذ الاجنبى . بل ان هذه الدول قد ارتبطت فيما بينها باتفاقات سرية توضح أهدافها من الحرب . ففى مارس عام ١٩١٥ عقدت بريطانيا وفرنسا وروسيا اتفاقا سريا يمنح روسيا الاستانة ومضيق البوسفور والدردنيل بعد الانتصار فى الحرب ، وكذلك عقد اتفاق سرى آخر فى مارس عام ١٩١٦ بين نفس الدول المذكورة وهى اتفاقية سايكس- بيكو لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينها . وفى فبراير عام ١٩١٧ ، عقد اتفاق سرى ثالث بين فرنسا وروسيا تعد فيه الاخيرة بمساعدة الاولى فى استرجاع الالزاس واللورين والاستيلاء على اراضى السار . ومن ناحية اخرى لم تكن المانيا اقل رغبة فى كسب الحرب من دول الوفاق ، ففى يناير عام ١٩١٧ اوضحت فى ردها على المذكرة الامريكية قبولها استقلال بلجيكا بشروط خاصة وضمانات معينة تتلخص فى تجريد بلجيكا من قواتها الحربية ، ومنح المانيا حق الاشراف على الخطوط الحديدية البلجيكية وتسليم حصون لياج ونامور لاحتلالها بقوات المانية . وأشار الرد كذلك الى رغبة المانيا فى توسيع رقعة اراضيها من جهة الشرق . وهكذا كانت الاطراف المتحاربة معمة على المضى فى الحرب حتى النعـس .

ولكن عام ١٩١٧ يعتبر أهم أعوام الحرب ، بسبب حدثين هامين وقعوا فيه وغيرا التوازن فى القوى العالمية المتصارعة وهما : دخول الولايات المتحدة الامريكية

الحرب فى ٢ ابريل عام ١٩١٧ ، وقيام الثورة الروسية .

أما بالنسبة للتطور الاول ، وهو تدخل الولايات المتحدة فى الحرب ، فلقد ظلت الولايات المتحدة تعتنق مبدأ الحياد المشوب بالغطف على قضية الحلفاء ، ونصح الرئيس ولسون شعبه باتتباع سياسة الحياد بكل دقة وقال : " يجب الانتحيز لاحد من الفريقين تفكيراً وعملاً " . ولكن ولسون أعلن الحرب على المانيا فى رسالته المشهورة بتاريخ ٣ ابريل عام ١٩١٧ ، وأعلن أن غرض الولايات المتحدة من الحرب جعل العالم مكاناً آمناً للديمقراطية بالقضاء على الشرى الحربى الالمانى ، وانشاء نظام لاقرار السلام فى العالم . ولذلك لم تطلق الولايات المتحدة على بريطانيا وفرنسا وروسيا اسم الحلفاء وإنما كانت تذكر اسم " الامدقلاء " أو " الشركاء " للدلالة عليهم . وعلى العموم أعطى دخول الولايات المتحدة الحرب قوة لها ، فهى لم تتورط فى الاتفاقات السرية التى عقدت بين الحلفاء من قبل ، كما انها لم تشأ ان تكون طرفاً فيها ، وقد منحها ذلك حرية العمل غير المقيد ، فمن حقها ان تخرج من الحرب فى أى وقت تشاء بعد ان تطمئن الى القضاء على الروح العسكرية الالمانية .

وقد يبدو من الغريب ان تقدم الولايات المتحدة على هذه الخطوة ، خصوصاً ان مبدأ منرو قد رسم لها سياسة

واضحة المعالم فيما يتعلق بالمشكلات الأوروبية - فقيسد
نص على ابتعاد الولايات المتحدة عن المنازعات الأوروبية
وعن شؤون أوروبا ، فسياسة الحياد هي خير وسيلة لضمان
سلامة الولايات المتحدة . ولكن ماهي الدوافع التي دفعت
الولايات المتحدة الى اتخاذ قرار الدخول في الحرب ؟
يمكننا ان نلخص هذه الدوافع في النقاط الرئيسية التالية :

أولا : أشار اطلاق حرب الغواصات الألمانية غضب الولايات
المتحدة . فتكرر اعتداء الغواصات الألمانية على
سفنها التجارية عبر البحار ، ورغم الانذارات
المتتالية من جانب الولايات المتحدة ، لم تهتم
ألمانيا بتلك الانذارات لانها كانت تؤمن بأن كسب
الحرب يتطلب فرض حصار بحري على الجزر البريطانية
لاماتتها جوعا . وفي عام ١٩١٥ نسفت الغواصات
الألمانية عابرة المحيطات الانجليزية لوزيتانيا
(Lusitania) وكانت تقل ١١٨ راكبا امريكي
واحتجت الولايات المتحدة ، الا ان ألمانيا استمرت
في سياستها . وقد استاء الرأي العام الامريكي
من حرب الغواصات ومهاجمة السفن التجارية ،
وقامت الولايات المتحدة بتسليح بواخرها التجارية
لمقاومة حرب الغواصات الألمانية ، وكان ذلك
بطبيعة الحال مقدمة منطقية لدخول الولايات المتحدة

الحرب بسبب الخسائر المادية التي لحقت بهـا
والشلل الذي أصاب تجارتها عبر المحيط .

ثانيا : اما الدافع الثاني فهو " قضية برقية زيمرمان "
ويتلخص هذا الحادث في ان زيمرمان (Zimmer
mann) مساعد وزير الخارجية الالمانية ،
أرسل الى ممثل المانيا في المكسيك برقية يقترح
فيها على الحكومة المكسيكية الدخول في حلف
مع المانيا في حالة دخول الاخيرة الحرب ضد
الولايات المتحدة في مقابل استرجاع المكسيك
للأراضي التي استولت عليها الولايات المتحدة في
عام ١٨٤٨ ، وهي كاليفورنيا ونيو مكسيكو . وقد
تمكنت مخبرات بريطانية الاستيلاء على تلك البرقية ،
و ان تعرف مضمونها وتبلغها الى الولايات المتحدة
التي بدورها أعلنتها على الراى العام الأمريكى
الذى أشاره هذا العمل أيما اشارة .

ثالثا : أقرضت المصارف الأمريكية بريطانية وفرنسا قروضا
كبيرة لتمويل عملياتها الحربية ، وقد دفع ذلك
الولايات المتحدة الى دخول الحرب الى جانب
هاتين الدولتين ضمانا لاموالها وحفاظا على
مصالحتها .

لقد أفاد دخول الولايات المتحدة الحرب قضية الحلفاء،
 انه ساعد في ترجيح كفة الحلفاء على كفة دول وسط اوروبا
 ومن الناحية العسكرية انقلب ميزان القوى الى صالح
 الحلفاء وظهرت نتائج ذلك في ربيع عام ١٩١٨، لان الولايات
 المتحدة ألقت في اوروبا بمئات الآلاف من الجنود المزودين
 بأحدث الأسلحة . كما ان دخول الولايات المتحدة الحرب
 أحكم الحصار حول المانيا ، وأنقذ بريطانيا من التسليم
 بعد ان خسرت عددا كبيرا من سفنها وأصبحت عاجزة عن نقل
 المواد الضرورية اللازمة للحرب . وعلاوة على ذلك شجع
 دخول الولايات المتحدة الحرب اشتراك بعض دول امريكا
 اللاتينية مثل البرازيل وبيرو وأورجواي وجمهوريات امريكا
 الوسطى في الحرب بجانب الحلفاء . ومن ناحية اخرى استطاعت
 بريطانيا وفرنسا الحصول على ماتحتاجانه من أموال مباشرة
 من الحكومة الامريكية بعد ان كانت كل منهما تلجأ الى
 المعارف الامريكية .

أما التطور الثانى وهو القيام الثورة الروسية
 فى مارس عام ١٩١٧، فسان الاحوال السائدة فى روسيا
 القيصرية كانت تنذر بالخطر منذ الهزيمة التى تلقتها
 روسيا على يد اليابان فى عام ١٩٠٥ . فقد قامت فى تلك
 السنة ثورة تهدف الى القضاء على الحكم القيصرى الفاسد،
 ولم تكن الحكومة الروسية على وفاق مع الدوما (البرلمان

الروسى) منذ انشائه فى عام ١٩٠٦، واستمرت الازمات بين
الحكومة و الدوما منذ عام ١٩٠٦ حتى عام ١٩١٤ . وفى الوقت
الذى وقع فيه وزير الداخلية الروسى قرار اعلان التعبئة
العامة فى يوليو عام ١٩١٤ قال : " ان الشعب الروسى
أنضج للقيام بالثورة اكثر من قيامه بالحرب ضد الماشيا
ولكن لا مفر من القضاء " . ولقد تحقق هذا التنبؤ ، وفيما
يلى أسباب ذلك :-

أولا : سوء الادارة وانتشار الرشوة واسناد الوظائف
الى اشخاص ليسوا فوق مستوى الشبهات . وقــد
انعكس ذلك بشكل واضح على ادارة الجيش ، وعلى
تموين المدن الكبرى نظرا لسوء اجراءات النقل .
ثانيا : ضعف القيصر نيقولا الثانى وبعده عن الحياة العامة
فى بلاده ، لم يشعر بما يدور فى نفوس الشعب من
الثورة على الاوضاع الفاسدة فى الدولة وعلى
رأسها القيصر وأفراد حاشيته ، وخصوصا راسبوتين
الذى كان يتستر خلف مسوح رجال الكنيسة لتنفيذ
أغراضه الشريرة . واستطاع راسبوتين عن طريق
ملكته بالامبراطورة التى كان له عليها تأثير
لايقاوم من التدخل فى كل شؤون الدولة مغيرها
و كبيرها حتى المسائل العسكرية . وقد أدت هذه
الفشائع الى احتقار الشعب للقيصر و الى تطلعه
للاطاحة بأسرة رومانوف .

شالشا: ظهرت قوة المعارضة فى روسيا داخل الدوما —
 و خارجة ، وفى داخله تكونت كتلة تقدمية طالبت
 بتشكيل وزارة يرضى عنها الدوما ، وتحكم وفق
 مصالح الشعب . أما فى خارج الدوما فقد تمثلت
 المعارضة فى ثلاث كتل اشتراكية هى : الاشتراكية
 الثورية والمانشفيك^(١) و البولشفيك^(٢) . وكان
 اكثرها تطرفا كتلة البولشفيك بزعماء لينين ،
 و كانت تؤمن بالقوة كوسيلة للوصول الى الحكم .
 و تلتها كتلة المانشفيك و هى ماركسية أيضا ،
 شأنها فى ذلك شأن الكتلة البلشفية ، ولكنها
 أقل منها تطرفا . أما الكتلة الثالثة و هى
 " الاشتراكية الثورية " فكانت اكثر الكتل
 الثلاث اعتدالا .

وقامت الثورة فى ٨ مارس عام ١٩١٨ بمظاهرة قام بها
 العمال فى مدينة بتروجراد لعدم توفر المواد التموينية .
 وتكونت منظمة تضم العمال والجنود أطلق عليها اسم
 " سوفيت بتروجراد " وأسفرت الاحداث عن قيام حكومة مؤقتة
 من الاحرار البورجوازيين والاشتراكيين فى ١٤ مارس ١٩١٧ ،

(١) حزب الاقلية .

(٢) حزب الاغلبية .

ورفض الجيش تنفيذ أوامر القيصر باخماد الثورة ، ولذلك أشر
التنازل عن العرش في ١٥ مارس عام ١٩١٥ لـ أخيه السـودوق
ميخائيل الذي لم يلبث ان تنازل بدوره عن العرش بعد ذلك
بيومين بعد ان أدرك ان بقاء الاسرة الحاكمة الروسية أمرا
مستحيلا . فتولت الحكومة المؤقتة كل الملاحظات في البلاد
برئاسة كيرنسكى حتى يتم تشكيل " الجمعية التأسيسية "
التي ستقوم بوضع نظام الحكم الجديد .

أرادت الحكومة المؤقتة برئاسة كيرنسكى الاستمرار
في الحرب ، ولكن الانقلاب الذي قاده لينين زعيم البلشفيك ،
في ٦ نوفمبر عام ١٩١٧ وضع الحكم في يد هؤلاء وتشكلت حكومة
جديدة برئاسة لينين ، وتولى تروتسكى منصب وزير الخارجية ،
و جوزيف ستالين شؤون القوميات . ولقد أشر هذا الانقلاب
البلشفي على روسيا تأثيرا خطيرا داخليا و خارجيا .
ففي الداخل استطاع هذا الانقلاب ان يغير نظام المجتمع
الروسي تغييرا جذريا ، وان يقيم الدولة الاشتراكية عن
طريق تأميم كل الاراضى الزراعية ، وحق العمال في الاشراف
على مصانعهم ثم تأميمها بعد ذلك . و أقام لينين اشتراكيه
روسيا على اساس توطيد دكتاتورية الطبقة الكادحة فحل
الجمعية التأسيسية في يناير عام ١٩١٨ ، ودعم دستور يوليو
من نفس العام سلطة الطبقة الكادحة عندما حدد مؤتمر
السوفييت من له حق الانتخاب من المواطنين بالذين يشتغلون

بأنفسهم ،وبذلك حرمت الطبقة البورجوازية من هذا الحق .
 وفى الخارج أعلن لينين عزمه على عقد صلح مباشر مع
 المانيا ،وأبلغ هذا القرار الى حلفاء روسيا ،وفى ٣ مارس
 عام ١٩١٨ وقع مع المانيا معاهدة برست ليتوفسك
 (Brest - Litovsk) وقد نمت على مايلسى .

(١) تنازل البلاشفة عن دويلات البلطيق (استونيا وليفونيا
 وكورلند ولتوانيا) وفنلندا وبولندا ،على ان تعطى
 شعوبها حق اختيار الحكومات التى تروق لها .

(٢) تنازلت روسيا للدولة العثمانية عن باطون وقسارص
 وأردهسان .

(٣) الجلاء عن اوكرانيا والاعتراف بمعاهدتها مع المانيا .
 وهكذا خرجت روسيا من الحرب بعد ان خسرت مساحات
 شاسعة من اراضيها ومن الاراضى التى تسيطر عليها .

و كان لتوقيع هذه المعاهدة أثر سيىء على الحلفاء ،
 ففى الوقت الذى لاحت فيه بوادر النصر بدخول الولايات
 المتحدة الحرب بجانبهم ، أعاد خروج الروسيا من مفوفهم
 التوازن الذى اختل لغير صالح المانيا . فقد خفف خروج
 روسيا من الحرب عبثا ثقيلا عن كاهل المانيا ،مما يتيح لها
 فرصة توجيه ضرباتها القوية الى الميدان الاوروبى الغربى .

وأخذت ألمانيا تعد العدة للقضاء على أعدائها قبل وصول القوات الأمريكية . وإذا كانت ألمانيا مصممة على النصر بأي ثمن مهما كانت التضحيات ، فإن بريطانيا وفرنسا كانتا لاتقلان عنها تعميما ، فقد ساعدت الظروف هاتين الدولتين على ان يتولى الحكومة فيهما رجال وصفوا بقوة الاحتمس على النضال ففي فرنسا وصل كليمنصو الى الحكم في ١٣ نوفمبر عام ١٩١٧ ، وأمر على ان يجمع في يديه كل السلطة لمواصلة الحرب . وفي انجلترا لم يأت له لويد جورج بمسحة المعارضة داخل البرلمان ، وكان يؤمن بأن من حقه ان يتخذ ما يشاء من الاجراءات في سبيل كسب الحرب . وفي ايطاليا - رغم موقعه كابوريتو - جعل اورلاندو رئيس الوزراء على تأييد العناصر المنادية بالحرب . أما الرئيس ولسن فقد عمل على انقاذ الحلفاء وتسخير جهود الولايات المتحدة لنصرة الديمقراطية في العالم .

ورأت دول الوفاق والولايات المتحدة ضرورة توضيح أهداف الحرب لتعرقل بها أهداف ألمانيا التي بدأت يتحقق برنامج الضم في صلح برست - ليتوفسك . وفي ١٨ يناير عام ١٩١٨ حدد الرئيس ولسن في رسالته الى مجلس الشيوخ الأمريكي اهداف الولايات المتحدة لاقرار السلام في المستقبل - وهسي ما أطلق عليها اسم " المبادئ الاربعة عشر " . وقد تضمنت هذه المبادئ أسساعامة أهمها : حرية الملاحة في البحار ،

و تخفيض السلاح على ان يحل محل ذلك اقامة عصبة الأمم
 لتأمين السلم العالمى ، وكذلك القضاء او التخفيف من
 القيود الاقتصادية ، وكذلك القضاء على المعاهدات السرية بين
 الدول ، وهناك مبادئ خاصة تتعلق بتسوية المشاكل التى
 سببتها الحرب وهى : اعادة اللزاس واللورين الى فرنسا ،
 وتسوية قضايا دول البلقان بالطرق الودية مع مراعاة
 المصالح القومية كأساس لتلك التسوية ، وكذلك الاعتراف باستقلال
 بلجيكا ، وتكوين الدولة البولونية المستقلة على ان يراعى
 فى تشكيلها ايجاد منفذ لها على بحر البلطيق . وكذلك
 الاعتراف بالقوميات التى كانت تتكون منها الامبراطورية
 النمساوية المجرية ككيانات لها حق النمو . ومعنى هذا ان
 المبادئ الاربعة عشر قد تضمنت حق تقرير المصير كأساس
 عادل لمصلح دائم .

و فى ١٠ مارس عام ١٩١٨ قام الالمان بهجوم هائل
 كانوا قد أعدوا له العدة فى غضون الاشهر الاربعة الماضية ،
 فجمعوا خمسين فرقة من خيرة جنودهم وأربعة آلاف مدفع
 وأطلقوا كمية هائلة من النيران امتدت على جبهة طولها
 سبعون كيلو مترا . وأمل لودندورف من وراء هذه المغامرة
 الكبرى ان يحرز نصرا حاسما يكره الحلفاء على طلب المصلح ،
 فقد شعر الالمان ان الوقت قد اصبغ فى جانب الحلفاء بعد
 ان أخفقت حرب الغواصات المطلقة ، وتدفق الجنود الأمريكيون
 على فرنسا ، وتناقضت المواد الغذائية فى دولتى الوسط

تدافعا كبيرا ينذر بأشد المخاطر . وأحرز الألمان انتصارات أولية ، فحطم الجيش البريطاني الخامس و أرغم البريطانيين على التراجع حتى أميان تقريبا ، وكانت مركزا هاما لمواصلات الحلفاء ، وبدأ كآن لودندورف يوشك ان يدرك هدفه في فصل جيوش الحلفاء ، ولكن الفرنسيون جاءوا لغوث حليفاتهم ، وصد التقدم وأنقذت أميان .

ورأى الحلفاء لتنسيق جهودهم وعملياتهم الحربية ان يوحّدوا قيادتهم العليا . فعين في ٢٨ مارس المارشال فوش (Foch) الفرنسي قائدا . أعلى لجميع قوات الحلفاء البرية ، وأمكن ان يمد في براعة كبيرة هجوما ثانيا قام به الألمان في ٢٩ ابريل بين آراس و يبيرس (Ypres) ضد الخطوط البريطانية التي اضطرت الى الارتداد اثني عشر ميلا . وهجم الألمان هجمة ثالثة في ٢٧ مايو في ساحة شمان دي دام في اتجاه باريس ، وقاموا في ١٥ يوليو بجهد عظيم آخر للاستيلاء على ريمس ، وشق طريقهم الى باريس ، ولكن تمكنت جيوش الحلفاء من صدّهم . وفي ٨ أغسطس قام البريطانيون بهجوم كبير مفاجئ بالقرب من أميان فانهارت خطوط الألمان ، وارتدوا تدريجيا خلال شهر سبتمبر الى خط سيغريد (أطلق عليه الحلفاء خط هندنبرج) وهو الخط الذي بدأ منه الألمان هجومهم الكبير في مارس . ولقد أطلق لودندورف على هجوم يوم ٨ أغسطس " اليوم الأسود "

و منذ تلك المعركة أحس لودندورف ان أمل المانيا فى الانتصار قد ضاع الى الابد . وقد صرح بذلك الى الامبراطور الالمانى الذى أبدى رغبته فى انتهاء الحرب والمانى ما زالت تقف على أقدامها ، قبل ان تخر سريعة .

وفى سبتمبر عام ١٩١٨ شن فوش هجومه العام فى الوقت الذى تحركت فيه الجيوش المتحالفة على طول الجبهات الأخرى فى اليونان وبلغاريا والشام والعراق وتهنسات المقاومة فى الجبهات البلغارية والعثمانية والنمساوية والالمانية واتجهت دول الوسط الى طلب الهدنة . وفى ٢٩ سبتمبر عام ١٩١٨ طلب فرديناند ملك بلغاريا عقد هدنة نعت على الشروط التالية :

- (١) تسريح الجيش البلغارى فى الحال وتسليم أسلحته وعتاده .
- (٢) تحتل قوات الحلفاء مراكز استراتيجية معينة داخل بلغاريا فيما عدا العاصمة .
- (٣) طرد جميع الالمان من أراضيها .

و فى ١٣ اكتوبر قبلت الدولة العثمانية الشروط التى فرضها عليها الحلفاء لوقت القتال بعد الضربات القاسية التى كالتها لها الحلفاء فى سورية والعراق ، وبعد احتلال دمشق وبغروت وحلب . وانهارت قوى امبراطورية النمسا و المجر قبل خوض المعركة الفاصلة وذلك بسبب تهريجاته

الرئيسي وليس التي أبدى فيها عطف الولايات المتحدة. فلسنى
تحتقيق الامانى القومية للاقليات الخاضعة لحكمها . وبنسباء
على ذلك لم تجد العناصر السلافية واليوغوسلافية والتشيكية
التي كانت ممثلة فى الجيش النمساوى معاضة فى الدفاع عن
كيان الامبراطورية . وامام هذا الموقف الخطير لم تجدد
النمسا مفرا من طلب الهدنة والتوقيع عليها فى فيلاجويستين
Villa Guisti فى ٣ نوفمبر عام ١٩١٨ .

واقتنعت المانيا الآن ان مواصلة القتال أمر بعيب
الاحتمال . فاقدر أسر الحلفاء من الجيش الالمانى ما يقرب
من ربع مليون جندي ، وخشى القواد الالمان وعلى رأسهم
لودندورف ان يهز قلب تقمهمهم المستمر الى غزو الحلفاء
لالمانيا ذاتها . ولذلك تقدمت الحكومة الالمانية فى اول
اكتوبر عام ١٩١٨ الى الرئيس وليس تطلب اليه السعى لعقد
مؤتمر للمصالح على اساس النقاط الاربع عشرة التي سبق لـ
ان اعلنها فى خطابه لمجلس الشيوخ فى يناير من العام نفسه
ورأت الحكومة الالمانية فيها منفذا للخلاص من مأزقهم
الحرج ، واظهر الرئيس ترددا فى التفاوض لعقد
الهدنة مع حكومة المانيا طالما ظل القيصر ولويم الثانى
جالسا على العرش . فبايدى الالمان استعدادهم لعزله ، وانتشرت
الثورة فى مختلف المدن الالمانية وقام الشعب الذى أضناه
الجوع واسقمه الشقاء وأفرغته هزيمة جيوشه وكثرة أسراه ،
وانسحاب اضفاره ، مطالبين بـ المصالحة فورا . فأنكره القيصر

وولى عهده على ان يلوذا بالفرار الى هولندا فى ٩ نوفمبر عام ١٩١٨ • ونودى بالجمهورية فى اليوم نفسه فى برلين واختير زعيم الاشتراكيين فردريك ايبرت وكان يعمل فى بادىء حياته سروجيا ، رئيسا للحكومة الجديدة •

و فى الساعة الحادية عشرة من صباح ١١ نوفمبر عام ١٩١٨ وقعت المانيا الهدنة مع ممثلى الحلفاء بغابة كومبيين (Compiègne Forest) ومن أهم شروطها جلاء الجنود الالمان خلال خمسة عشر يوما عن جميع الاراضى التى يحتلونها فى بلجيكا وفرنسا ولكسمبرج و كذلك من الالزاس ، والانسحاب الى ما وراء الضفة الشرقية لنهر الراين ، على ان يحتل جنود الحلفاء تلك الرقعة من الاراضى الالمانية كما اشترط الحلفاء ان تسلمهم المانيا الجانب الاكبر من أسطولها الحربى و جميع غواماتها ، والقدر الاكبر من أسلحتها ومهماتها الحربية ، وأن تطلق سراح جميع الاسرى من جنود الحلفاء الذين وقعوا فى قبضتها ، وان توضع جميع خطوط سككها الحديدية الواقعة على الضفة اليسرى للراين تحت تعرف الحلفاء ، والغاء معاهدتى برستليت ليتوفسك وبوخارست اللتين عقدتهما المانيا مع روسيا ورومانيا •

(٣) التسوية ونتائج الحرب :

اختار الحلفاء المنتصرون باريس و ضاحتها فرساي

مكاننا لعقد مؤتمر الصلح بهدف الوصول الى تسوية تسرأب
 السدوع المتداعية ،وتفمد الجروح الدامية وتوطد دعائهم
 الرخاء والاستقرار فى ربوع العالم ،واجتمع ممثلو السدول
 فى ١٨ يناير عام ١٩١٩ لوضع شروط الصلح وكان بينهم متحدثون
 رسميون لا للحلفاء والكبار وللدول التى انضمت اليهم
 فيما بعد فحسب ،بل لتلك الدول التى قطعت فى السراجل
 المتأخرة علاقاتها الدبلوماسية مع دول الاعداء كذلك ،وهى
 بوليفيا وأكوادور وبيرو وأورجواى • اما الصين وسيام
 فقد دخلتا ضمن دول الحلفاء المحاربة نظرا لاعلانهما الحرب
 فى آخر لحظة • واستبعدت دول الاعداء التى خرجت من
 النزاع ،ولذلك أمليت كل المعاهدات عدا معاهدة لوزان مع
 تركيا فى عام ١٩٢٣ ،ولم يتفاوض فيها •

واختار المؤتمر رئيسا له وهو كليمنمو رئيس وزراء
 فرنسا ،وكان من المتعذر على المؤتمرين جميعا الوصول الى
 قرارات سريعة لكثرة عددهم وتضارب مصالح دولهم • ولذلك
 سرعان ما انتهى الامر الى تركيز العمل فى أيدي " الثلاثة
 الكبار" وهكذا كان توجيه التسوية وخطوطها الرئيسية
 من وضع الثلاثة الكبار : ولسن رئيس الولايات المتحدة ،
 وجورج كليمنمو ،ودافيد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا •
 وكانت اليابان وايطاليا فى البداية ضمن الدائرة الداخلية
 للدول الرئيسية ،ولكن سرعان ماتغيبتا عن الاجتماعات

أولا : خسرت ألمانيا جزءاً من سكانها ومساحة واسعة من الأرض كانت من نصيب أعدائها أو لخلق دول أوروبية جديدة . وانتزعت فرنسا منها الألزاس و اللورين ، وبلجيكا ، اوبن ومالميدى ، وأخذت بولونيا بوسنانيا وبوميرانيا لتظل على بحر البلطيق ، ومنحت كذلك مدينة دانتزج على هذا البحر لتكون منفذا لها ، واعتبرت مدينة حرة . وأخذت الدانمرك أيضاً شمال شلزيج . وخسرت ألمانيا جزءاً من سيليزيا بناء على استفتاء سكانها .

ثانياً : فرض على ألمانيا دفع تعويضات عن الخسائر التي منى بها الحلفاء ولكن معاهدة الصلح لم تحدد مقدارها بسبب اختلاف وجهات نظر الدول المتحالفة بشأنها . ولما لم تعمل الأطراف المعنية بالامر الى حل لهذا الموضوع لم تحدد قيمة التعويضات في معاهدة فرساي وتركزت هذه المسألة الى مفاوضات مقبلة ، وانعقدت مؤتمرات متعددة للوصول الى مبلغ معين تستطيع ألمانيا دفعه دون ارهاق ويتفق في نفس الوقت مع مصالح الحلفاء وفي ١٦ يونية عام ١٩٢٣ قرر مؤتمر عقد في لوزان ان تدفع ألمانيا مبلغ ألف مليون جنيه دفعة أولى ،

وان سبى ، نحلفا * سفنا بدل سفنها التمس
 أغرقت زمن الحرب ، وان تسلم لفرنسا مقاديس
 كبيرة من الفحم لتعويضها عن التخریب السبى
 لحق بمناجم فحمها .

ثالثا : تولى الحلفاء احتلال منطقة الراين لمدة ١٥ سنة ،
 ضمانا لتنفيذ المانيا ما فرض عليها من شروط ،
 مثل دفع التعويضات ونزع السلاح ، على ان تنسحب
 قوات الحلفاء تدريجيا ، وبمودة جزئية كل خمسة
 أعوام .

رابعا : تحديد قوة المانيا بما لا يزيد عن ١٠٠.٠٠٠ جندي
 يتم جمعهم عن طريق التطوع بعد الغاء التجنيد
 الاجبارى ، على ألا يزود هذا الجيش بأسلحة
 ثقيلة او بسلاح للطيران .

خامسا : نزع سلاح الضفة اليسرى لنهر الراين ، وكذلك
 منطقة اخرى تمتد على الضفة اليمنى لهذا النهر
 بطول ٥٠ كيلو مترا ، تأمينا لسلامة فرنسا
 و بلجيكا .

هذا بالنسبة لالمانيا ، أما بالنسبة لامراتورييـة
 النمسا والمجر فقد خسرنا اجزاء واسعة من أراضيها ، فانسحبت
 عنها بولونيا النمساوية وضمت الى الدولة البولونية
 الجديدة . كما انتزعت منها بولوسيا اقلسيم ترانسلفانيا

وكانت اهداف ولسن الرئيسية هي ضمان تطبيق المبادئ العامة التي أعلن ضرورتها لاقامة صلح عادل وإنشاء عصبة الأمم . وإسبلوغ اتفاق عام بشأن العصبة اضطر ولسن الى قبول انصاف الحلول في تطبيق المبادئ العامة بشأن التسوية الاقليمية ، وعزى نفسه بفكرة ان الاجزاء التي لم يرضى عنها في التسوية الاقليمية و السياسية كان من الممكن تحسينها في الوقت المناسب على غير عجلة ، بواسطة عمل العصبة كأداة للتوفيق و التعديل السلمى . فكانت التسوية الفعلية نتيجة سلسلة من المساومات والتوفيقات بين رغبات ولسن الخيالية الغايات وان تكن عميقة الفكرة في كثير من الاحيان وبيّن مطالب كايمنصو الوطنية العنيفة الواقعية ، وبين اهداف لويد جورج غير المستقرة والنهازة للفرص نوعاً .

وقدم في ٥ مايو ١٩١٩ في اجتماع عام حضره ممثلو الدول المتحالفة مشروع تحفيزي لمعاهدة الصلح قبله المؤتمر في جملته بعد مناقشات كثيرة . وفي اليوم التالي قدم هذا المشروع للوفد الألماني . ولكن لم يسمح له بالمناقشة وانما أذن له بأن يقدم مذكرة واحدة مكتوبة يدلى فيها برأية في ذلك المشروع . وحينما اطلع الالمان على المهددة ارتفعت اصواتهم الى عنان السماء استنكساراً لقسوتها البالغة واحتجوا بأنها ستقضى على كل امل لهم في مستقبل كريم ، وانها تنطوى على استعبادهم ردحا طويلاً

من الدهر . بيد انهم اضطروا فى النهاية الى قبولها
 صاغرين . ففى الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩١٩ ذكرى
 مرور خمس سنوات على حادث سراجيفو ، وقع مندوباهم معاهدة
 الصلح فى بهو المرايا التاريخى بقصر فرساي و هو نفس
 البهو الذى شهد فى ١٨ يناير عام ١٨٧١ مولد الامبراطورية
 الالمانية . وشرب الالمان كأس الذل والهوان حتى الثمالة
 " فلم يسمح لمندوبيهم حتى بالجلوس على ماشدة الصلح ، بسـل
 دخلا القاعة وخرجوا منها محروسين كما يحرس المجرمون المقدمون
 للمحاكمة . وقد ولدت هذه المعاملة غير الكريمة مرارة فى
 نفوس الالمان بعيدة الغور شديدة الاخطار ، واعتقدوا بأن هذا
 " الصلح المفروض " الذى آكره مندوباهم على مهـره
 بتوقيعهما ليس بملزم لالمانيا من الوجهه الادبية .

و لقد تمت تسوية مشكلات الحرب فى معاهدات عدة هـى:
 معاهدة فرساي (٢٨ يونيو ١٩١٩) مع السمانيا ، ومعاهدة
 سان جرمان (١٠ سبتمبر ١٩١٩) مع النمسا ، ومعاهدة
 نوبى (٢٧ نوفمبر ١٩١٩) مع بلغاريا ، ومعاهدة تريانون
 (٤ يونيو ١٩٢٠) مع المجر ، ومعاهدة سفر (اغسطس ١٩٢٠)
 مع تركيا . ووقعت معاهدة الصلح الاخيرة مع تركيا فى
 ٢٣ يوليو عام ١٩٢٣ فى لوزان . وببدء تنفيذه هذه المعاهدة
 فى ٦ اغسطس عام ١٩٢٤ تقرر السلام من الوجهه الرسمية فى
 مشارق الارض ومغاربها . وينتفى علينا فى هذا المجال ان
 سبين أثر تلك المعاهدات وأهم ما نصت عليه على النحو التالى:

والهوكوفيين • وكذلك ضمت بوغوسلافيا أجزاء أخرى • وبذلك تضاعف حجم النمسا وقل عدد سكانها بحيث أصبح لايزيد عن ستة ملايين نسمة • وفقد المجرليون ثلثي أراضيهم • وكان اختفاء الامبراطورية النمساوية من أبرز نتائج الحرب العالمية الاولى • وهكذا عجلت الدعوة باستقلال القوميات الى تفكك امبراطورية النمسا والمجر • فظهرت دولة يوغوسلافيا التي تتكونت من الصرب والبوسنة والهرسك ودالماسيا والجبل الاسود وكرواتيا • وظهرت كذلك تشيكوسلوفاكيا عن طريق سليخ بوهيميا ومورافيا وسيليزيا النمساوية وجزاء من النمسا السفلى، ولكنها لم تكن دولة متجانسة العنصر • وعلاوة على ذلك تنازلت النمسا لاطاليا عن تريستا واستريا والتيرول وممر برنار الاستراتيجى •

أما بالنسبة للدولة العثمانية فقد حددت معاهدة سفر معبرها وجعلتها دولة آسيوية فحسب، وليس لها فنى الشاطئ الاوروبى سوى القسطنطينية ومايحيط بها من اراضى. أما شبه جزيرة الاناضول فلم تصبح خالصة للاتراك، فأعلن الحلفاء استقلال أرمينيا دون بيان لحدودها، وكذلك وضعت ايطاليا يدها على منطقة فى جنوب شبه جزيرة الاناضول فى اضماليا. كما وضعت سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسى والعراق وفلسطين وشرق الاردن تحت الانتداب البريطانى وذلك بمقتضى اتفاقية سان ريمو، ووقع معاهدة سفر السلطان العثمانى، ولكن الحكومة القومية بزعمامة مصطفى كمال

أتاتورك رفضت التفريط فى أى جزء من الاراضى التركىية،
وأعاد بناء الجيش التركى وهزم اليونان، واتجه الجيش
التركى بعد هذا النصر تجاه القسطنطينية التى كان الجنود
الانجليز يحتلونها . ولكن مصطفى كمال أصدر أوامره
بوقف الزحف ثم أبرمت هدنة بين الدولتين مهدت الطريق
لعقد مؤتمر صلح عام فى لوزان . وفى يوليو عام ١٩٢٣ وقعت
معاهدة الصلح فى لوزان بين دول الحلفاء وتركيا، وبمقتضاها
مدت حدود تركيا الاوروبية الى ما بعد ادرنة بقليل. واعترف
الحلفاء بملكية الاتراك للقسطنطينية و تراقيا الشرقية،
والغيت احكام معاهدة سفر المتعلقة بفرض غرامة حربىية
ونزع سلاح الجيش التركى . ولكن قبلت الحكومة التركىية
تجريد المضايق من أية تحصينات، وجعلها مفتوحة فى وجه
جميع السفن . وكانت الحركة الكمالية قد تخلت عن فكرة
الامبراطورية الاسلامية، و أخذت بالمبدأ الحديث الذى ينادى
بحق كل شعب فى تقرير مصيره، واقامة نظام الحكم الذى
يراه صالحا . فقبلت تركيا التنازل عن كل دعوى لها فى
السيطرة على الاراضى التى تقطنها الشعوب العربىية.
ومعاهدة لوزان هذه، هى الاتفاقية الوحيدة - من بين جميع
معاهدات الصلح - التى قبلها جميع الاطراف معاهدة صحيحة
ملزمة لهم، والتى لم تعدل الا بعد ثلاث عشرة عاما، وبعد
ان وافقت الدول المبرمة لها عن رضا واختيار على
تعديلها.

أما بلغاريا ، فلم تفقد الكثير من أراضيها حيث أمهدت
 الى حدودها التي كانت عليها في عام ١٩١٤ ، على أساس أنها
 خسرت الكثير من الأراضي في الحرب البلقانية الثانية مما
 ١٩١٣ . وكانت الخسارة الوحيدة التي نزلت بها هي تنازلها
 من تراقيا الغربية لليونان . وقد أصبح توسع اليونان حائلا
 بينها وبين الوصول الى بحر ايجه ، لايجاد منفذ لها على
 البحر .

ولقد انتقدت هذه التسوية ، خصوصا ذلك الجزء منها
 المتضمن في معاهدة فرساي ، المعقودة مع ألمانيا لكونها
 مجمعة موقعة من الأغراض المتضاربة ، ولكن لم يكن هذا
 بالضرورة هو أسوأ ما فيها . لاي عرض آخر كان عقد مثل هذا
 المؤتمر الدولي العظيم ان لم يكن لايجاد أعلى قدر مشترك
 من الاتفاق بين الدول التي تضاربت أهدافها ومصالحها من
 نواح كثيرة ؟ لو ان مبادئ ولسن العامة طبقت دائما لكان
 لها نتائج مهلكة وسخيفة في كثير من الحالات ، ولكن مكانته
 الشخصية العظيمة وشأبرته أفاحتنا في بث نظرة أوسع
 وأكثر دواما في التدابير ، ولو لم تعتدل المطالب المتطرفة
 لكليمينمو ولويد جورج لانتجت صلحا مؤديا الى حرب أخرى
 بعد فترة قصيرة ، لكنها أغلحت في تذكير ولسن بحقائق
 السياسية الأوروبية المتضاربة .

ومن ناحية أخرى كانت محاولات اجبار المانيا على قبول ماسمى " مادة مجرمى الحرب " هى محاولات غير واقعية بالمرة . فلا يمكن خلق الشعور بالمسؤولية الادبية بمجرد تضمين نص عنها فى وثيقة كان ممثلو المانيا مرغمين على توقيعها . واما طلب تعويضات عن خسائر الحرب التى ألحقتها الجيوش الالمانية ، وهو الطلب الذى ارتكز على ذلك النص ، فقد حدد بأرقام من محض الخيال دون اعتبار جدى لطرق تمكين المانيا اقتصاديا من سداد هذا المال ، وتمكين الحلفاء من استلامه لم يحدد فى المعاهدة رقم للتعويضات رغم ان فرنسا وبلجيكا وبريطانيا تقدمت بمطالب ضخمة وتكونت لجنة للتعويضات لتحديد المبلغ المطلوب ولترتيب وسائل الدفع ومواعيده ، وبهذه الطريقة أرجئ النظر فى المساعب التى لم يمكن تجنبها ، فأصبحت فى العقد الثانى منبعاً متجدداً للكراهية الراسخة . وأيا كان الامر فإن مورا أخرى من التعويضات انتزعت فى الحال ، فحرمت المانيا من كل ممتلكاتها الاستعمارية ومن معظم أسطولها ، ومن الجزء الأكبر من بحريتها التجارية ، ومن ممتلكات المواطنين الألمان فى الخارج . فشعب الملاحون الألمان معظم سفن الأسطول الراسية فى سكابا فلو لاغراقها . وحرم التجنىد الإجبارى فى المانيا ، وحدد جيشها بماشة ألف جندي ، وحرم عليها تملك مدفعية ثقيلة ، أو طائرات ، أو غواصات . ولم يكن بوسعها لعدة سنوات بعد الحرب ان تبني مثل هــــــ

الأسلحة بأى كيفية ، ولما جاء الوقت الذى استطاعت فيه ذلك ، كانت هناك طرق كثيرة لتفادى رقابة لجان نزع السلاح . وفى الوقت ذاته ، لما كان قد فرض عليها أن يكون جيشها الممشير مكونا بالتطوع ، وان يكون جيشا محترفا ، ظلت طائفة الضباط ذات قوة مصونة وأبيع لها ان تفع الخطط لتحقيق النمو السريع للقوة الألمانية المحاربة بأسرع ما يمكن . فكانت هذه المجموعة الكاملة من الاجراءات التأديبية والتهويلية سيئة الوضع و غير ممكنة التنفيذ . ففقد أفرادها فى تكتل السخط الألماني القومي دون اتخاذ ضمانات محكمة ضد قدرته على التعبير العملى عن السخط .

ومن بين الانتقادات الأخرى ان التسوية التى اتخذت المبادئ الأربعة عشر أساسا لحلول عادلة ، والتى اعترفت بحق تقرير المصير لكل الشعوب ، والتى نجحت فى تخليص عدد كبير منها من نير الحكم الأجنبي ، مثل البولونيين الذين تحرروا من سيطرة روسيا وبروسيا والنمسا ، والتشيكيين واليوغوسلافيين من النمسا ، والالزاسيين واللواريخيين والدانمركيين من ألمانيا ، وقد وضعت شعوبا أخرى كأقليات قومية جديدة . أى أنها قد تخلعت من مشكلة قديمة بخلق مشكلة جديدة . من نفس النوع . ومثال ذلك تشيكوسلوفاكيا التى ضمت أقليات ألمانية بلغ عددها ثلاثة ملايين نمسا ، وأقلية مجرية وصل تعدادها الى ٧٠٠.٠٠٠ مجرى . وكذلك

الحال في بولندا التي اشتملت على مليونين من الالمان
و ثلاثة ملايين من الروتينييين . كما ضمت ايطاليا عناصر
من السلوفيين . ونلاحظ في يوغوسلافيا كذلك اقلية مجرية
واقلية بلغارية . وهكذا نجد ان تسوية عام ١٩١٩ كانت
بعيدة عن الكمال ، ولكننا نرى انه كان للضرورات السياسية
أهمية في بعض الاحيان تفوق حقوق القوميات ، فاذا سمح ،
مثلا ، للالمان الذين يعيشون في السوفييت ، والالمان
الموجودين في النمسا بالانضمام الى المانيا لاصبحت بعد
الحرب أقوى منها قبلها .

و لكن اذا كانت هناك ضرورات دعت الى تجاهل حقوق
بعض القوميات في أوروبا تدعيها للسلام والامن في أوروبا
فما هي الضرورات التي حتمت على هذه الدول تجاهل القومية
العربية تجاهلا يكاد يكون تاما . فلم يكن تجاهلها بطبيعة
الحال راجع الى دوافع تتعلق بالسلام والامن أو أي شيء
آخر سوى تحقيق المظامع الاستعمارية على حساب العرب
الذين كانوا بالامس القريب حلفاء بريطانيا لقد حملت كسل
الدول المنتصرة الكبرى ومن يدور في فلكها من الدول
المغرى على ما أسسته حقوقا ، فيما عدا العرب ، فقد مزقوا
شر ممزق . فلقد ابتدع ميشاق عمدة الأمم نظاما أطلقوا
عليه نظام الانتداب ويقضى بأن الاقطار التي سادت
المانيا وتركيا ، والتي لا تستطيع شعوبها حكم نفسها ، يجب
ان توضع تحت ادارة بعض الدول العريقة في الحضارة "

والحقيقة ان دول الحلفاء اتخذت من هذا النظام الجديد ستارا لتخفى وراءه مظامعها الاستعمارية القديمة ،وقسمت الانتدابات الى ثلاثة انواع رتبت تبعا لمرحلة رقى السكان درجة حضارتهم فى البلاد التى أخضعت للانتداب ،فوضعت فى القسم الاول البلاد العربية التى كانت تكون جزءا من الدولة العثمانية . وحددت وظيفة الدولة المنتدبة لادارة كل منطقة من هذه المناطق " بأن تقدم له المشورة والمساعدات الادارية ... الى ان يحين الوقت الذى يمكن فيه ذلك القطر ادارة شؤونه بنفسه ،بحيث ينبغى ان يكون لرغبات الشعب لاعتبار الاول فى اختيار الدولة المنتدبة . ولم تكن بريطانيا وفرنسا أمينتين فى تنفيذهما لهذا النظام على البلاد العربية ،واندلعت ثورات عديدة فى فلسطين وفى سورية وفى العراق أبانت عن كراهية العرب العميقة لهذا النظام الاستعماري الجديد ،وللدولتين المنتدبتين .

و لكن أفضل ما اشتملت عليه تسويات مابعد الحرب هو ميثاق عصبة الامم الذى بذل الرئيس ولسن جهدا كبيرا لاجراجه الى حيز الوجود . لقد بذل ولسن كل نشاطه لانشاء سلم جديد ،وقرر الذهاب الى مؤتمر السلام بنفسه كعديسق للانسانية كبير الامل فى اقناع اوروبا بصلح عادل قائم على اساس عصبة من الشعوب الديمقراطية المحبة للسلام . وفى الواقع كانت فكرة عصبة الامم ممتلكة زمام الرئيس الأمريكى ،وكلف مساعده هاوس بوضع ميثاق أو عهد لها ،

ولقد تجلت في الميثاق الذي وضعه هاوس المثل العليا
الاخلاقية . وتوضع مقدمة المشروع الذي وضعه هاوس " ان
الحضارة الحالية قد فشلت لعدم وجود نظام تخضع له الشعوب
جميعها . ولان الرأي العام في العالم قد وافق على كشيـر
من المسائل غير الاخلاقية ولذا فغاية الشعوب التي توافـق
على هذا الميثاق تكوين عمة امة في العالم مرمها السلام
والطمأنينة والتقدم والحكومة المنظمة ، وعلى ممثلى الدول
من رجال السياسة ، ألا يقوموا بعمل سياسى يخالف المـصدق
و الشرف ، وألا يؤيدوا من أعمال الماضى ما خلا من الاخلاق
الفاضلة " .

ولقد أصدر لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا على الاتضاح دستور عصبة الأمم الا لجنة عالمية ، وبذا استبعد مشروع العصبة من مؤتمر السلام الذى يضم الدول الكبرى ، و أصدر لويد جورج و كليمنمو على ضرورة اشراك الدول الصغرى فى وضع ذلك المشروع ، هذا فى الوقت الذى رفضا فيه بقوة اشراك الدول الصغرى فى مؤتمر السلام . واضطر ولسن فسنى النهاية الى ان يوافق على ان تتكون اللجنة التى تضع المشروع من ممثلين اثنين لكل من الدول الكبرى ، وممثل واحد لكل من خمس دول صغرى زيدوا فيما بعد الى تسعة ، وطلب ولسن ان ينضم هو ومساعداه هاوس الى هذه اللجنة كممثلين للولايات المتحدة . وراس ولسن هذه اللجنة ، ولكن

رئيسى حكومتى بريطانيا وفرنسا لم يشتركا فيها اشتراكا
فعليا . وأوضحت المناقشات التى دارت بين أعضاء اللجنة
على اختلاف الدول فى فهمها للعصبة ، وما يجب ان تكون
وظائفها ، وكيف يكون تشكيلها ، ومدى صلتها بضمان السلام
الذى سينشئه مؤتمر فرساي .

و نظرا لحرص ولسن الشديد على الحصول على موافقة
الدول الاعضاء فى مؤتمر السلام على ضم ميثاق العصبة
الى معاهدة فرساي ، بينما كانت تلك الدول تمر على فصل
الاثنين من بعضهما ، اكثر من استرضاء المنتصرين الى درجة
تنافست مع بعض المبادئ والنقط التى نادى بها من قبل .
ولذا لم يرض اوروبا ولا امريكا بل أصبح مكروها فى كثير
من دول اوروبا . ولكن بالرغم من ذلك نجح ولسن فى انشاء
عصبة الامم ، وفى اقناع دول اوروبا الكبرى بالاعتراض
بمبدأ منرو ، وكان هذا المبدأ قبل ذلك الوقت مجرد تعبير
عن سياسة أعلنتها الولايات المتحدة من جانبها وحدها .
وكان ولسن يرى ان العصبة ماهى النظرية منرو مكبرة
فالعصبة ستؤدى الى العالم كله خدمات كبيرة مثلما تؤدى
نظرية منرو للولايات المتحدة . وخص القسم الاول من معاهدة
فرساي لميثاق عصبة الامم .

ورغم الآمال الكبيرة التى علق على قيام عصبة الامم
فانها بحكم تكوينها لم تكن قادرة على حفظ السلام .

فالولايات المتحدة صاحبة فكرة إنشاء العصبة لم تشترك
في عضويتها . وفيما يلي بعض الاسباب التي منعت الولايات
المتحدة من الاشتراك في العصبة وهي :

- (١) ان العصبة كانت تمثل مجموعة الدول المنتصرة ومن
يدور في فلكها ، كما أنها كانت اوروبية الميغفة ،
ولم تكن تمثل دول العالم تمثيلا حقيقيا .
- (٢) اعترض الشيوخ الامريكيون الذين ينتسبون الى أمـسـل
ايرلندى او الماني على نص المادة العاشرة من
الميثاق و كانت تتضمن سلامة أراضي أعضاء العصبة
ورفضوا الابقاء على مادة تضمن تفوق بريطانيا ،
فالامبراطورية البريطانية لها خمسة أصوات ، وللولايات
المتحدة صوت واحد ، وما كان هذا يرضى شيوخ الولايات
المتحدة ، لانه مهما قيل عن استقلال كندا و جنوب
افريقيا و استراليا و نيوزيلندا فهي جميعها أعضاء في
الامبراطورية البريطانية لاجدال في ذلك . وعلاوة على
ذلك كان الامريكيون يميلون الى اتباع سياسة العزلة
من جديد والاهتمام بشؤونهم الخاصة .
- (٣) لم تمثل العصبة سوى أربع وأربعين دولة معظمها
اوروبية وظلت روسيا بعيدة عنها رغم أنها لم تكن
من الدول الاعداء . كذلك أبعدت المانيا وتركيا
و حلفائهما بحجة أنهم لم يبلغوا بعد مرتبة النضوج
السياسي من الناحية الدولية .

و هكذا نفذت المعاهدة والعصبة دون اشتراك الولايات المتحدة . ولقد اتعمل اسم عصبة الامم باسم الرئيس ولسن، فجاء امتناع الولايات المتحدة عن الانضمام اليها ضربة كبيرة لنفوذ العصبة ومستقبلها . والمسؤول عن قتل العصبة ولسن نفسه الى حد ما ،لانه لم يتعرف التعرف المناسب لانجاح المشروع ،ولعدم اعتداله ولعدم مرونته في قبول بعض التعديلات التي أشير بها عليه . و جانب من المسئولية يقع على مجلس الشيوخ الذى طالب بادخال تعديلات كبيرة أفقدت مشروع العصبة قيمته . وربما كان من أسباب فشل ولسن انه لم يبين للشعب الأمريكى حقيقة الدوافع التى جعلت الولايات المتحدة تدخل الحرب ،وهى ان للولايات المتحدة مصالح حيوية فى منع المانيا من قهر اوروبا والسيطرة على الاطلنطى و الاتحاد مع اليابان فى المحيط الهادى،ولكن ولسن جعل لاسباب دخول الولايات المتحدة مفة شرعية أخلاقية، وقال ان امريكا دخلت الحرب لجعل العالم مكانا آمنا للديمقراطية . وهكذا اصبحت العصبة لاتضم كل الدول الكبرى، فلم تنعم بنفوذ سياسى كبير ،وفقدت مظهر العالمية أهم مظهر لها . واذا كانت الولايات المتحدة لم توافق على العصبة ،فانها لم تقبل ايضا معاهدة فرساي ،واضطرت الى عقد معاهدة منفردة مع المانيا فى ٢٥ اغسطس عام ١٩٢١ .

وقد تضمن ميثاق عصبة الأمم بعض الاهداف التالية :-

- (١) الامتناع عن اللجوء الى استخدام القوة لتسوية المشاكل
القائمة بين الدول .
- (٢) عدم عقد اتفاقات سرية .
- (٣) تأمين حرية النقل والتجارة بين الدول .
- (٤) تعمل الدول الكبرى المنتدبة (طبقا لنظام الانتداب)
على رقى مجتمعات الدول المتخلفة
- (٥) الدعوة الى رفع مستوى العامل ورفع الاستبداد عنه
و اعطائه حدا أدنى من الاجور يجعله قادرا على
الحياة الكريمة .

كما نص الميثاق على ان تتألف العصبة من السدول
المستقلة استقلالاً تاماً ، والتي تستطيع ان تقدم ضمانات
وافية على نواياها السلمية وقدرتها على الوفاء
بالتزاماتها . وكذلك قرر الايسمح لروسيا والمكسيك بدخول
العصبة الا بعد اقامتهما نظم حكم مستقرة . وقرر الميثاق
تشكيل العصبة من هيئتين رئيسيتين الى جانب السكرتارية
هما : الجمعية العمومية ومجلس العصبة (١) . وأقام الميثاق
أيضا المحكمة الدائمة للعدل الدولى "، ويطلق عليها عادة
" محكمة العدل الدولية " للنظر والفصل فى أى نزاع ذى صبغة

(١) انظر الملحق الخاص ببعض نصوص ميثاق عصبة الأمم .

دولية يروم طرفاه عرضه عليها ، ولتقديم آراء استشارية
 فى الشؤون التى يحيلها اليها مجلس العصبة او الجمعية
 العمومية . وكانت هذه المحكمة الدولية تتألف من خمسة
 عشر قاضيا تختارهم عصبة الامم من بين قائمة مرشحين
 تقدم الدول الاعضاء اسماءهم ، وأنشأت معاهدة فرساي أيضا
 منظمة دولية للعمل ألحقت بالعصبة واستهدفت هذه المنظمة
 العمل على تحسين احوال العمال فى جميع أنحاء العالم
 والظفر لهم بشروط عادلة .

وعقدت عصبة الامم اجتماعها الاول بجنيف فى نوفمبر ١٩٢٠ ،
 وحضر هذا الاجتماع ممثلو اثنين وأربعين دولة . ولكن اطرده
 عدد الدول الاعضاء ازديادا حتى بلغ ستين دولة عام ١٩٣٤ ،
 وسمح لمانيا وحليفاتها السابقات بالانضمام الى العصبة ،
 وأعطيت المانيا عند انضمامها عام ١٩٢٦ كرسيا دائما فى
 مجلس العصبة ، وهو الكرسى الذى ظل شاغرا لعدم انضمام
 الولايات المتحدة للعصبة . وفى عام ١٩٢٢ زيد عدد الكراسى
 غير الدائمة من أربعة الى ستة نتيجة لضغط الدول الاعضاء
 الصغرى ، ثم زيد هذا العدد الى تسعة كراسى دائمة فى
 عام ١٩٢٦ . ولقد تمكنت العصبة فى بدء حياتها من حل
 بعض المشكلات التى هددت السلام بين بعض الدول الصغرى ،
 ولكن لوحظ ان نفوذ العصبة كان مشيلا فى الخلافات التى
 نشبت بين بعض الدول الكبرى . وفى حقيقة الامر ان ضعف
 العصبة لم يكن ناجما عن نقص تنظيمها ، أو خلل فى مبرمجها ،

وانما رجع الى حد كبير الى عدم ولاء الدول الكبرى لتعهداتها
ورغبتها في اتخاذ عصبة الامم وسيلة لتحقيق مراميها
السياسية .

و بعد ان استعرضنا جوانب التسوية وماوجه اليها
من نقد ،ننتقل الى مناقشة النتائج والتغيرات الهامة التي
نتجت عن الحرب العالمية الاولى . ومما لا شك فيه ان الحرب
قد غيرت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في اوروبا
بصفة خاصة وفي العالم بصفة عامة . فبالنسبة للتغييرات
الاجتماعية ،كانت اهم نتيجة للحرب على المجتمع هي قوة
العاطفة والانفعالات الوطنية التي لم تكن مبادئ تقرير
المعير القومي المطبقة في التسوية سوى مدى لها . تكاثفت
التعبثات والخسائر الضخمة والانفعالات الشديدة ،والضغط
المتواصل للمجهود الحربي الثقيل الحمل ،ومشاطرة أحزان
المهزيمة و أفراح النصر ،على حصر أذهان البشر في مسائل
العزة القومية والحمية الوطنية . كان العدو في كل بلد
يوصف بالوحشية والاستهتار واستحقاق الكراهية التامة .
وثبت منذ البداية ان الحركة القومية كانت عاملا أقوى
بكثير من الحركة الاشتراكية ،ولقد آزرت الاحزاب الاشتراكية
حكوماتها البرلمانية في كل بلد في عام ١٩١٤ . وصوتت مؤيدة
التعبشة واعتمادات الحرب . أما حركات الاضطراب والتخريب
طلبها للسلم فلم تشل الحرب الا في روسيا مؤخرًا . فانحصرت
مقاومة مجهود الحرب في أفراد قلائل من الاشتراكيين

أو أنصار السلام ، ولكن أصبحت الاشتراكية اشتراكية وطنية
 أساسا وبقي دائما طوال السنوات التالية بأشكال أخرى
 عدة تحالف أقوى حركتين في العالم الحديث . فان انتصار
 الجماعة المتطرفة في روسيا عام ١٩١٧ وسع الانفصال في
 صفوف الاشتراكيين وأدامه ، ولم يكن الاشتراكيون البرلمانيون
 أكثر قدرة على قبول أساليب البلشفية منهم على قبول
 دماوى الماركسية عن حرب الطبقات ، والحفاظ عليها . ومن
 هنا افترقت الشيوعية والاشتراكية ، ولو ان توضيح هذا
 الخلاف وزينادته استغرقا أحداث العقد التالى .

واقترن تعزيز الوطنية واللون الوطنى من الاشتراكية
 بما يمكن تسميته " تأميم رأس المال " . فقد أصبح من
 واجب كل حكومة ان تمارس قدرا عظيما من التوجيه والرقابة
 على مجموع الحياة الاقتصادية في بلدها . فأصبح من الواجب
 مراقبة التجارة الخارجية والاستثمار الاجنبى ، وتخطيط
 الانتاج الزراعى و الصناعى أو توجيههما لسد مطالب التعبئة
 والامداد الحربى . وكان لابد من ضغط انتاج السلع المدنية
 والكمالية ، ومن توفير الخامات ، وتوجيه القوى العاملة
 في كل أمة من الرجال (من النساء كذلك بدرجة متزايدة)
 وأصبح الراسماليون الذين أثروا من أزمت قلّة المواد
 و الذين كسبوا الكثير من الحرب مكروهين كراهية مرة
 لكونهم " مستغلين " ، و عملت الزيادة المستمرة في الأعباء
 الضرائب على تقريب مستويات الدخل وعلى وضع سلطة ضخمة

جديدة فى أيدي الحكومات . لتحقيق هذه الاغراض جميعاً
ولتوزيع المواد الغذائية بالبطاقات ومراقبة الاسعار أقامت
كل حكومة أجهزة جلبت عليها مزيداً من المشاكل الادارية
والسلطات المكتبية وادارة الاعمال . ونظراً لان الولايات
المتحدة دخلت الحرب فى وقت متأخر ، ولان اقتصادها المتوسع
قلل من ضرورة الاخذ بهذه الاجراءات ، كانت هذه العملية
أقصر مدى مما كانت عليه فى البلاد الاوروبية ، ولو أنها
سارت هناك بدرجة ما . وأحدثت الحرب ثورة فى ملتتها
بأوروبا . كذلك كان لمواطنيين ولشركات بريطانية وفرنسية
كما كان لغيرهم من الاوروبيين استثمارات ضخمة فى الولايات
المتحدة بلغت فى عام ١٩١٤ حوالى ٨٠٠ مليون جنينيه
استرلينى . وقد استولت حكوماتهم على هذه الاستثمارات أثناء
الحرب وباعتها فى امريكا لتشتري مهمات ، معوضة أصحابها
بالجنيهات او بالفرنكات . وفضلاً عن هذا أصدرت الحكومات
الاوروبية قروض حرب كبيرة الى امريكا . لهذا خرجت الولايات
المتحدة من الحرب أعظم دولة دائنة فى العالم ، و كانت
البلاد الاوروبية مدينة لها بحوالى ألف مليون جنينيه
استرلينى ، وظل سداد قروض الحرب هذه مشكلة شائكة
فى العقد التالى .

كذلك كانت التغيرات الاجتماعية التى سببتها الحرب
عظيمة ، فقد اختل التوازن العادى بين الجنسين من جهة

وبين مجموعات الاعمار من السكان من جهة أخرى بسبب تفكك الحياة العائلية أثناء التعبئة ، وقتل ملايين من الشبان ، وهبوط نسبة المواليد هبوطا حادا ثم ارتفاعها ارتفاعا شديدا مماثلا بعد انتهاء الحرب . ودخلت النساء العاملات حبا للوطن في المعانع والخدمات الحربية سوق العمل على نطاق لم يعرف من قبل . فلما وجدت الكثيرات بذلك أساسا اقتصاديا لمزيد من الاستقلال ظلن فيه ، وجعل الدور الذي قمن به في مجهود الحرب خموصا في بريطانيا ، مطالبتهن بحق الانتخاب أمرا لايقاوم بعد الحرب . ومن ثورات العصر الحديث الاخفض موتا والاكل ملاحظة تغيير وضع النساء في المجتمع في العالم . فقد تحررن من وضع فيه الخضوع القانوني والاجتماعي للرجال على الأسوأ وفيه التبعية الاقتصادية والسياسية ، وكسبن في بلد بعد الآخر مركزا فيه قدر أعظم من المساواة مع الرجال . وامتدت هذه الثورة حتى الى آسيا ، كما أثرت أخيرا في افريقيا . لعبت الحرب دورا هاما في كل هذه العمليات في بريطانيا وغرب أوروبا ، وحدثت هزات اجتماعية أخرى نتيجة لتضخم الاسعار بعد الحرب ولثقل عبء الضرائب اذ عانى من هبوط مستوى المعيشة كل الذين اعتمدت معيشتهم على دخول ثابتة من الاستثمارات او المدخرات و كل الذين لم تتيسر زيادة اجورهم النقدية . فتركت الحرب بأثقالها ومشقاتها وجنونها وانهاكها ، شعوبا شائرة عديمة الاتزان تعارع عواقبها .

ومن ناحية أخرى كان للدمار الشامل الذى تعرضت لــــه
دول أوروبا خلال الحرب (١٩١٤ - ١٩١٨) أثره الواضح فى
اضمحلال أوروبا اقتصاديا . فتدمير معظم المصانع الأوروبية
قد أفقدت أوروبا قدرتها على الانتاج ، كذلك أفقدها تجنييد
الأيدي العاملة فى الحرب خيرة شبابها من العمال المهرة
الذين يقدرون بنحو ثمانية ملايين ونصف ، بالإضافة الى ذلك
فان قيام أوروبا من كبوتها كان يتطلب وقتا غير قصير كى
تستعيد كامل نشاطها وانتاجها . كما ان تحول المصانع من
الانتاج الحربى الى الانتاج المدنى كان يستلزم بعض الوقت
زد على ذلك ان مشروعات التنمية الاقتصادية واعادة بناء
اقتصاديات تلك البلاد كان يتطلب أموالا وفيرة ، ولم تكن
بحكم استدانتها فى الحرب بقيادة على انفاق المزيد من
الأموال . هذا بالإضافة الى ان انخفاض قيمة العملة و نقص
الاحتياطى من الذهب قد أعجز تلك الدول عن شراء حاجياتها
من المواد اللازمة لمصانعها من الخارج . وهكذا اضطرت
الحياة الاقتصادية فى معظم دول أوروبا ، ولكن بنسب متفاوتة
بقدر ما أسهمت تلك الدول فى الحرب ، وبقدر ما قدمت من
تضحيات . وكانت أكثر الدول استفادة من الحرب الولايات
المتحدة واليابان .

وكان من أهم نتائج الحرب تغير العلاقة الاقتصادية
بين أوروبا والقارات الأخرى تغييرا ثوريا . ففي عالم

ماقبل الحرب كان كل بلد اوروبى متقدم يستورد اكثر مما
يصدر ، مؤديا الفرق من فوائد استثمارات الخارجية ومن
اجور النقل والخدمات الاخرى . أما الآن فكان على البلاد
الاوروبية ان تجتهد فى تعدير بضائع اكثر مما تستورد
لتسديد ديون الحرب ولتستعيد فى فترة ارتفاع الاسعار
أسواق تجارتها الخارجية ، فتأثرت مستويات حياتها تبعاً
لذلك . وفى عالم ما قبل الحرب ، كان الانتاج الصناعى قد
تركز فى اوروبا و كان قوام وارداتها من القارات الاخرى
هو الخامات والاعذية . و كانت البلاد غير الاوروبية تعتمد
أساساً على مصادرات اوروبا فى الحصول على السلع التامة
الصنع ، كما كانت تعتمد على المستعمرات الاوروبية فى
الحصول على راس المال وعلى المهاجرين الاوروبيين فى
الزود بالخبرة الفنية . و لم يحل عام ١٩١٤ الا وكانت
هذه التبعية العضوية المتداخلة ، المتضمنة تمييز البلاد
الاوروبية ازاء بقية البلاد قد ضاعت جزئياً بسبب عوامل
غير منظورة ، لكن التوسع الصناعى السريع للولايات المتحدة
واليابان وبعض دول امريكا الجنوبية لمواجهة مطالب فترة
الحرب الشرهة ذهب الى الابد بمركز اوروبا الصناعى
المتميز . والآن انضمت بلاد ما وراء البحار الى صف
المصدرين الدوليين أو أصبحت قادرة على سد نسبة عالية
من حاجاتها المحلية . وأقيمت علاقات تجارية جديدة لم
يقم فيها وزن للبلاد الاوروبية ، اذ ازدادت التجارة المباشرة

بين الولايات المتحدة من ناحية وأمريكا الجنوبية والشرق
الاقصى من ناحية أخرى ، وبين اليابان من جانب وأمريكا
الجنوبية والهند من جانب آخر . ومع هذا ظلت أحد المراكز
الصناعية العظمى فى العالم . ولكنها لم تعد بؤرة الانتاج
الصناعى و أتيج لها الى درجة ما خلال العقدين التاليين
ان تعيد بناء مركزها العالمى ، ولكنها لم تستطع مطلقا
معاودة بلوغ مستويات ١٩١٤ العالمية المتميزة . وكما تحول
ميزان الميزان الاقتصادية قبل ١٩١٤ من دولة اوروبية الى دولة
اوروبية اخرى تحول هذا الميزان الآن بين القارات ، وعانت
كل الدول الاوروبية هبوطا نسبيا فى أهميتها العالمية .

أما بالنسبة للتغييرات السياسية ، فقد تهاوت الأسر
الحاكمة القديمة فى انكسار وانهايار ، بينما همدت السدول
الغربية الديمقراطية فى ظفر . ففي روسيا والمانيا
والمجر وتركيا تغيرت النظم السياسية نتيجة للتخرب
تغييرات جوهرية ، فقامت فى روسيا حرب اهلية عنيفة بين
الحكومة البلشفية والثائرين ضدها من أنصار تروتسكى
واستمرت الحرب فترة غير قصيرة تغيرت خلالها النظم .
وفى المانيا قامت ثورة الاشتراكيين فى برلين فى ٧ نوفمبر
عام ١٩١٨ منادية بالنظام الجمهورى و نحت فى تشكيل
حكومة اشتراكية على رأسها ابرت (Ebert) الذى
وجه بمعارضة شديدة من قبل العناصر البلشفية التى

اطلق عليها اسم سبارتكوس Spartakos وبعد
مقاومة عنيفة تمكنت الحكومة من اخمادها . ولكنها لم
تكن الثورة الاولى او الاخيرة ، فقامت ثورات متعددة فى
اجزاء مختلفة من المانيا . وكان اخطرها محاولة الحكومة
الساكسونية الاشتراكية التى تشكلت بصفة مؤقتة فى اعلان
الاستقلال عن المانيا ، ولكن بفضل جيش الاحرار الذى جندته
حكومة ابرت تمكنت من السيطرة على الموقف والقضاء على
كل تلك الحركات . و فى المجر قامت ثورة فى ١١ نوفمبر
عام ١٩١٨ أجبرت الامبراطور شارل ملك المجر على التنازل
عن العرش و تم المناداة بالجمهورية ، وتكونت حكومة
مؤقتة برئاسة ميشيل كارولبي (Karolyi) الذى
حاول القيام باصلاحات اجتماعية معتمدا فى ذلك على تأييد
الاشتراكيين . ولكن البؤس والبطالة ونقص التموين فى
المدن الكبرى بسبب توقف السكك الحديدية وفقدان الفحم ،
أدى الى نمو حركة شيوعية برئاسة صحفى اسرايلى يدعى
بيلاكون (Bela Kun ١٨٨٥ - ١٩٣٧) وتمكن
بيلاكون بمساعدة الشيوعيين من اسقاط حكومة كارولبي فى
مارس عام ١٩١٩ و اعلان قيام دكتاتورية الطبقة الكادحة ،
ولن تستطع حكومة بيلاكون الشيوعية الاستمرار وسقطت بسبب
عدم اعتراف الحلفاء بها وقبض على زمام الامور فى المجر
الاميرال هورتى (horthy) بعد عودة الوسى على
العرش الارشيدوق جوزيف .

وهذه الحروب الاهلية التى سادت قسما كبيرا من اوروبا
كان يناقضاها الاستقرار السياسى فى الدول الديموقراطية :
بريطانيا وفرنسا ، فلقد خرجتا من الحرب وهما محتفظتين بنظمها
الدستورية دون ان تتعرضا للهزات العنيفة التى واجهت الدول
الآخري كما سبق الاشارة الى ذلك . حقيقة ان حكومتى بريطانيا
وفرنسا قد اضطرتا الى الحصول على سلطات استثنائية شبه
دكتاتورية خلال الحرب لمواجهة المشاكل الخاصة بتعبئة الجيوش
واعداد التموين العسكرى والمواد الغذائية ولكن كل هذه
التطورات التى حدثت اثناء الحرب لم تستمر عندما توطد السلام ،
فعادت النظم السياسية والادارية فى عام ١٩١٩ الى ما كانت
عليه فى عام ١٩١٤ . وهكذا خرج النظام الديمقراطى سليما بعد
الحرب ، ولكنه لم يكن آمنا فى حقيقة الامر ، فالمناخ السياسى
فى الدول الديمقراطية أعيد كما كان فى عام ١٩١٤ . ففى خلال
الحرب اضطرت الحكومات فى العالم الى تدريب شعبها على تطبيق
ما يسمى " تدويل الفكر " ، بمعنى آخر انها منعت كل تعبير
عن الرأى قد يودى الى خفض المعنويات القومية والاصرار على
الكفاح . وعلى هذا فلم تحترم خلال الحرب حرية الفكر التى هى
اساس النظام الحر والنظام الديموقراطى ، وبالتالي أدت الحرب
الى انحطاط الفكر الحر .

وفى المجال الفكرى المذهبى ، أسفرت الحرب عن قيام النظام
الشيوعى الى جانب النظام الرأسمالى ، وظهر التباين واضحا
بين النظامين أو المذهبين وذلك بانعقاد المؤتمر الذى دعاه

البلاشفة الى عقده فى عام ١٩١٨ بهدف ايجاد دولية جديدة
وهى الدولية الشيوعية ، وعقب ذلك دعا الاشتراكيون "الغربيون"
فى برن الى مؤتمر اشتراكى دولى فى عام ١٩١٩ ، وقد شجب هذا
المؤتمر الذى سيطر فيه الاشتراكيون الفرنسيون والانجليز
بالاغلبية ، المذهب البلاشفى ، وأكد اخلاصه وولائه للمبادئ
الديمقراطية ، وجاء فى بيان برن : " ان النمو الاشتراكى
الحقيقى لا يمكن ان يكون الا فى ظل قانون الديمقراطية .
وهكذا حدث الانفصال فى فبراير عام ١٩١٩ بين الاشتراكيين
"الديمقراطيين" من جهة ، والشيوعيين من جهة اخرى .

وهكذا يتضح ان الحرب العالمية الاولى قد احدثت تغييرات
جوهرية فى ميادين متعددة داخل اوربا وخارجها ، وما كان
من الممكن حدوثها بتلك السرعة لولا قيامها . وبالإضافة الى
ذلك كانت اهم ظاهرة لعالم ما بعد الحرب هى الاضطراب السياسى
الذى أعقب التطبيق العملى لمعاهدات الصلح .

ملحق

بعض نصوص عهد عصبة الأمم

الديباجة

مراعاة للتنمية التعاون بين الأمم وضمان سلامها أمنها وما يفرضه ذلك من قبول بعض التزامات تقضى بعدم الالتجاء الى الحرب ووجوب الارتباط علانية بعلاقات دولية اساسها العدل والشرف، والسهر على تطبيق أحكام القانون الدولي المعترف بها من الحكومات كقواعد للتعامل بين الدول واجبة الاحترام، وحرصا على سيادة العدالة واحترام كافة الالتزامات الناجمة عن المعاهدات التي تبرمها الشعوب المنظمة في علاقاتها المتبادلة .

قبلت الاطراف السامية المتعاقدة هذا الميثاق الذي يؤسس عصبة الأمم .

المادة الاولى

(١) أعضاء عصبة الأمم الاصليون هم الدول الموقعة على هذا الميثاق والمبينه أسماؤها في الملحق المرفق بهذا الميثاق وكذلك الدول التي تنضم للميثاق بلا قيد ولا شرط خلال شهرين من بدء سريانه وتدون أسماؤها في الملحق المذكور بعد تقديم طلب الانضمام الى السكرتارية التي تخطر به الدول الاخرى أعضاء العصبة .

(٢) كل دولة مستعمرة كانت او من الممتلكات ، تحكم نفسها ولم يدرج اسمها فى ملحق الميثاق ، من حقها ان تصبح عضوا فى العصبة متى وافق ثلثا أعضاء الجمعية على انضمامها بشرط تقديم الضمانات الكفيلة بالافصاح عن نواياها الحميدة نحو مراعاة التزاماتها الدولية وقبولها نظام العصبة الخاص بقواتها وأسلحتها العسكرية والبحرية والجوية .

(٣) يحق لكل عضو فى العصبة الانسحاب منها على ان يعلن رغبته هذا قبل انسحابه بسنتين وبشرط ان يكون قد وفى حتى هذا التاريخ بجميع التزاماته الدولية بما فيها الالتزامات الناشئة عن هذا الميثاق .

المادة الثانية

تمارس عصبة الأمم - بأوضاعها المبينة فى هذا الميثاق - أعمالها عن طريق جمعية ومجلس يعاونهما أمانة دائمة .

المادة الثالثة

- (١) تتكون الجمعية من ممثلى أعضاء عصبة الأمم .
- (٢) وهى تنعقد فى فترات محددة وفى أى وقت آخر حسبما تستدعى الظروف ويكون انعقادها فى مقر العصبة أو فى مكان آخر يحدد للاجتماع فيه .

(٣) تختص الجمعية بالنظر فى كل مسألة تدخل ضمن اختصاص

العصبة أو يكون من شأنها التأثير على السلام العالمى .

(٤) لا يحق لى عضو فى العصبة أن يمثل فى الجمعية بأكثر

من ثلاثة مندوبين ولا أن يمنح أكثر من صوت واحد .

المادة الرابعة

(١) يشكل المجلس من ممثلى الدول العظمى المتحالفة

وأنصارها من ممثلى أربع دول أخرى من أعضاء العصبة .

وللجمعية أن تختار هؤلاء الأعضاء الأربعة بكل حرية

كما لها مواعيد هذا الاختيار حسب رغبتها . ولحين

اتمام التعيين الأول بواسطة الجمعية يعين ممثلين

بلجيكا والبرازيل واسبانيا واليونان أعضاء فى

المجلس .

(٢) للمجلس أن يختار أعضاء آخرين من العصبة ليمثلوا أمامه

تمثيلا مستديما بعد موافقة أغلبية أعضاء الجمعية كما

يحق له أيضا بموافقة نفس الأغلبية أن يزيد من عدد أعضاء

العصبة الذين تختارهم الجمعية ليمثلوا فى المجلس .

— مكرر — تحدد الجمعية بأغلبية ثلثى الأصوات القواعد

الواجب اتباعها فى انتخاب الأعضاء غير الدائمين فى

المجلس وعلى وجه خاص تلك التى تحدد مدة تمثيلهم وشروط

إعادة انتخابهم .

(٣) ينعقد المجلس كلما استدعت الظروف ذلك على ان ينعقد مرة على الأقل كل سنة بمقر العصبة أو في أى مكان آخر يقع عليه الاختيار.

(٤) يختص المجلس بالنظر في كل مسألة تدخل ضمن اختصاص العصبة أو من شأنها التأثير على السلام العالمى .

(٥) يدعى كل عضو فى العصبة يكون غير ممثل فى المجلس الى بعث مندوب لممثله داخل المجلس كلما أشيرت فيه مسألة تهم هذا العضو بنوع خاص .

(٦) كل عضو من أعضاء العصبة الممثلين فى المجلس يمنح صوتا واحدا ولا يمثله سوى مندوب واحد .

المادة الخامسة

(١) تصدر قرارات الجمعية أو المجلس باجتماع اصوات الاعضاء الممثلين فى الاجتماع ما لم ينص صراحة على خلاف ذلك فى ميثاق العصبة ، او فى نصوص المعاهدة الحالية .

(٢) جميع مسائل الاجراءات الواجب اتباعها أثناء اجتماعات الجمعية أو المجلس بما فى ذلك تعيين لجان للتحقيق فى موضوعات معينة تقررها الجمعية أو المجلس بأغلبية الاعضاء الممثلين فى الاجتماع .

- (٣) تعقد الجمعية وكذلك المجلس جلستهما الاولى بناء على دعوة رئيس الولايات المتحدة الامريكية .

المادة السادسة

- (١) السكرتارية الدائمة مقرها مبنى العصبة وهي مكونة من السكرتير العام ومن السكرتاريين المساعدين ومن عدد كاف من الموظفين .
- (٢) السكرتير العام الاول مبين اسمه فى ملحق هذا الميثاق أما فيما بعد فانه يعين بواسطة المجلس بعد موافقة أغلبية الجمعية .
- (٣) السكرتاريون المساعدون وموظفو السكرتارية يعينهم السكرتير العام بعد موافقة المجلس .
- (٤) يشغل السكرتير العام للعصبة بحكم وظيفته منصبى سكرتير عام الجمعية وسكرتير عام المجلس .
- (٥) يتحمل أعضاء العصبة جميع نفقاتها وبالنسبة التى تقرها الجمعية .

المادة السابعة

- (١) تكون مدينة جنيف مقرا للعصبة .
- (٢) للمجلس ان يقرر فى أى وقت يشاء اتخاذ مكان آخر ليكون مقرا للعصبة .

- (٣) جميع وظائف العصبة والادارات التابعة لها بما فى ذلك وظائف السكرتارية مباحة للرجال والنساء على حد سواء .
- (٤) ممثلو أعضاء العصبة وموظفوها يتمتعون أثناء قيامهم بمهام منصبهم بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية .
- (٥) المباني والاراضى التى تشغلها العصبة ، سواء بواسطة موظفيها أو لعقد اجتماعات أعضائها لايجوز انتهاك حرمتها .

المادة الرابعة عشرة

يكلف المجلس بوضع مشروع لمحكمة عدل دولية دائمة ويعرض هذا المشروع على الاعضاء . وتختص هذه المحكمة بفحص جميع المنازعات التى يعرضها عليها أطراف النزاع وتكون ذات طابع دولى ، كما أنها تختص أيضا بأبداء آراء استشارية فى كل نزاع أو موضوع يعرض عليها بواسطة المجلس أو الجمعية .

المادة الثالثة والعشرون

اتباعا ووفقا لنصوص الاتفاقات الدولية القائمة حاليا أو التى ستبرم فيما بعد اتفقت الدول أعضاء العصبة على أن :
 ٢ - تسعى لتقرير وضمان بقاء شروط انسانية عادلة لصالح العمال من رجال ونساء وأطفال فوق أراضيها وفى سائر البلاد الاخرى التى ترتبط معها بعلاقات تجارية وصناعية ، كما لها انشاء وتدعيم المنظمات الدولية الكفيلة بتحقيق هذا الغرض .

- ب - تتعهد بضمن معاملتة عادلة للاهلين الاصليين فسى
الاقاليم الخافعة لادارة دولة العصبة .
- ج - تكلف العصبة بفرض رقابة عامة على تنفيذ الاتفاقات
الخاصة بتجارة الرقيق من نساء واطفال وعلى الاتجار
بالافيون وباقى المواد السامة .
- د - تعهد للعصبة بفرض رقابة عامة على الاتجار بالاسلحة
والذخائر على البلاد التى يحتم الصالح العام مراقبة
هذه التجارة فيها .
- ه - تتخذ ما يلزم من اجراءات لتأمين وضمن بقاء حرية
المواصلات والتراتزيت ومساواة جميع اعضاء العصبة
فيما يتعلق بشؤون التجارة مع مراعاة الاحتياجات
الخاصة بالاقاليم التى دمرت خلال الحرب بين عامسى
١٩١٤ و ١٩١٨ .
- و - تبذل جهودها فى المحيط الدولى لاتخاذ الاحتياطات التى
تؤدى الى الوقاية من الامراض والعلاج منها .

المادة الرابعة والعشرون

- (١) جميع المكاتبات الدولية السابق تأسيسها بموجب
معاهدات جماعية توضع تحت ادارة العصبة بشرط موافقة
الدول المشتركة فيها على ذلك كما توضع ايضا تحت
ادارة العصبة جميع المكاتب الدولية الاخرى وسائر

اللجان التي تنشأ فيما بعد والتي تستهدف تسوية المسائل المتعلقة بالصالح الدولي .

(٢) تلتزم سكرتارية العصبة - في جميع المسائل المتعلقة بالصالح الدولي والتي نظمت بواسطة اتفاقات عامة ولكنها غير خاضعة لإشراف مكاتب أو لجان دولية - بجمع ونشر كافة البيانات المطلوبة ، والقيام بأية مساعدة أخرى ضرورية كانت أو مرغوبة فيها متى طلبتها الدول المشتركة في الاتفاقات وبعد موافقة المجلس .

(٣) للمجلس ان يقرر ادراج نفقات أى مكتب أو لجنة وفعت تحت ادارة العصبة ضمن مصروفات السكرتارية .

المادة الخامسة والعشرون

يتعهد أعضاء العصبة بتشجيع انشاء تنظيمات وطنية مرخص بها للصليب الاحمر وتعزيد التطوع فيها والتعاون فيما بينها لما تهدف اليه من تحسين الصحة والوقاية من الامراض وتخفيف الالام في العالم .

المادة السادسة والعشرون

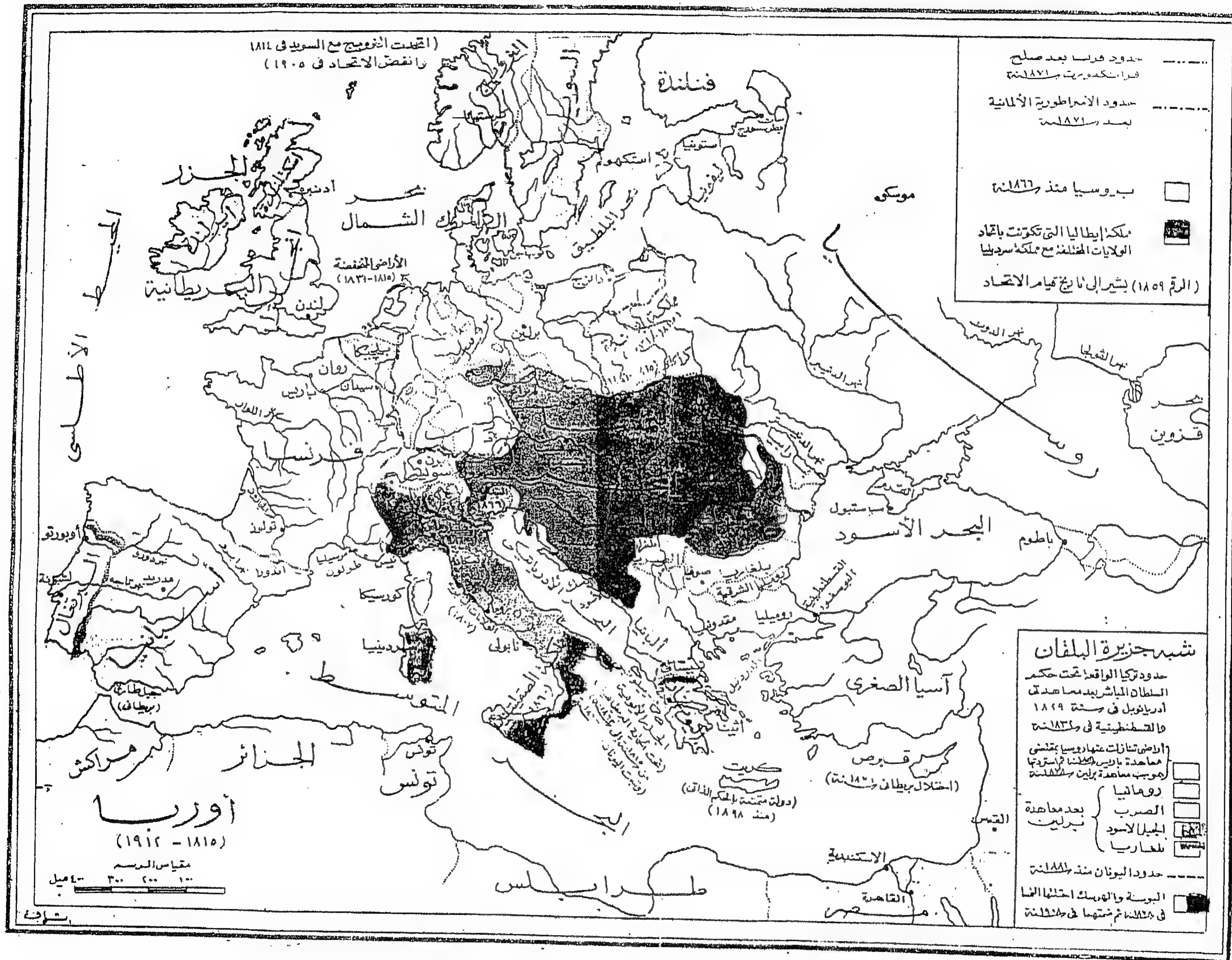
(١) التعديلات التي تدخل على هذا الميثاق يعمل بها بمجرد التصديق عليها من جميع أعضاء العصبة الممثلين في

المجلس ومن أغلبية الاعضاء الممثلين في الجمعية .

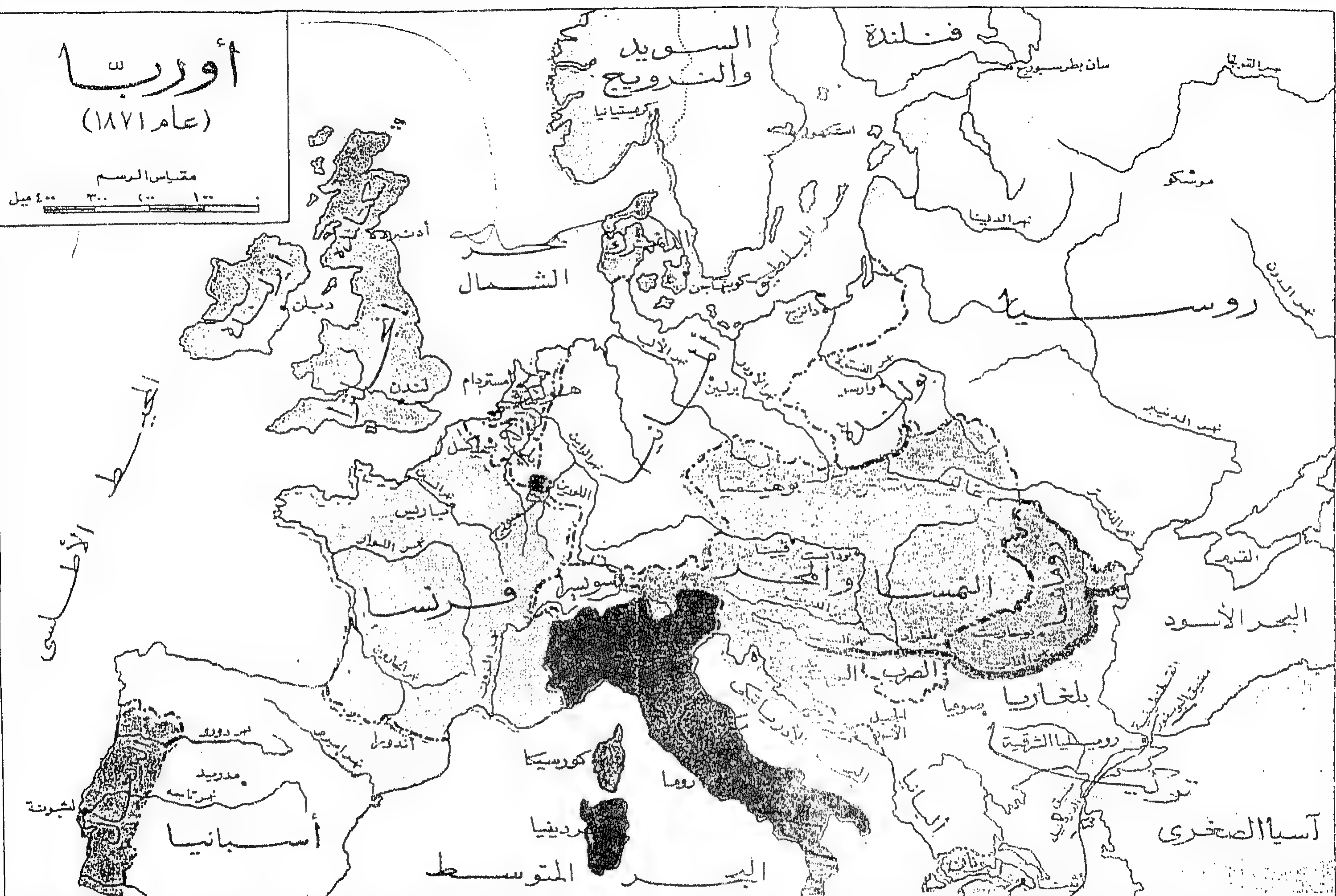
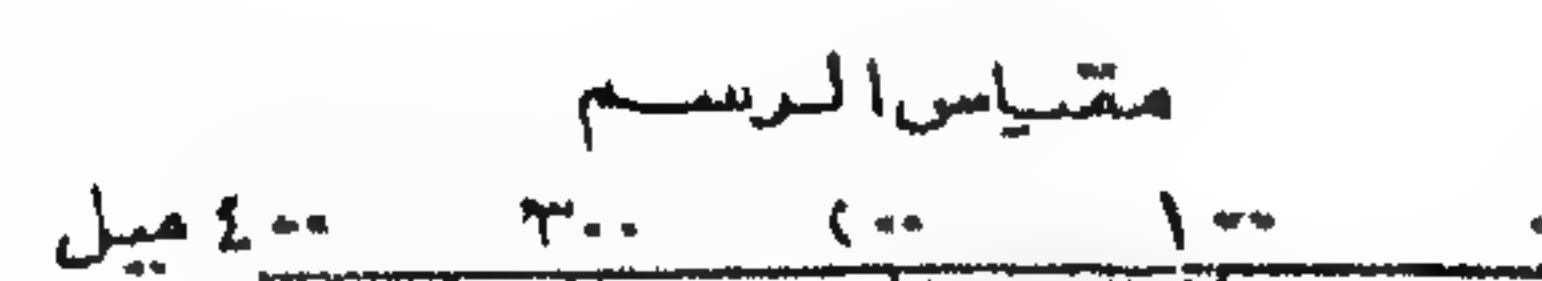
(٢) لكل عفو في العصبة مطلق الحق في عدم قبـول

التعديلات التي تدخل على الميثاق ، وفي هذه الحالة

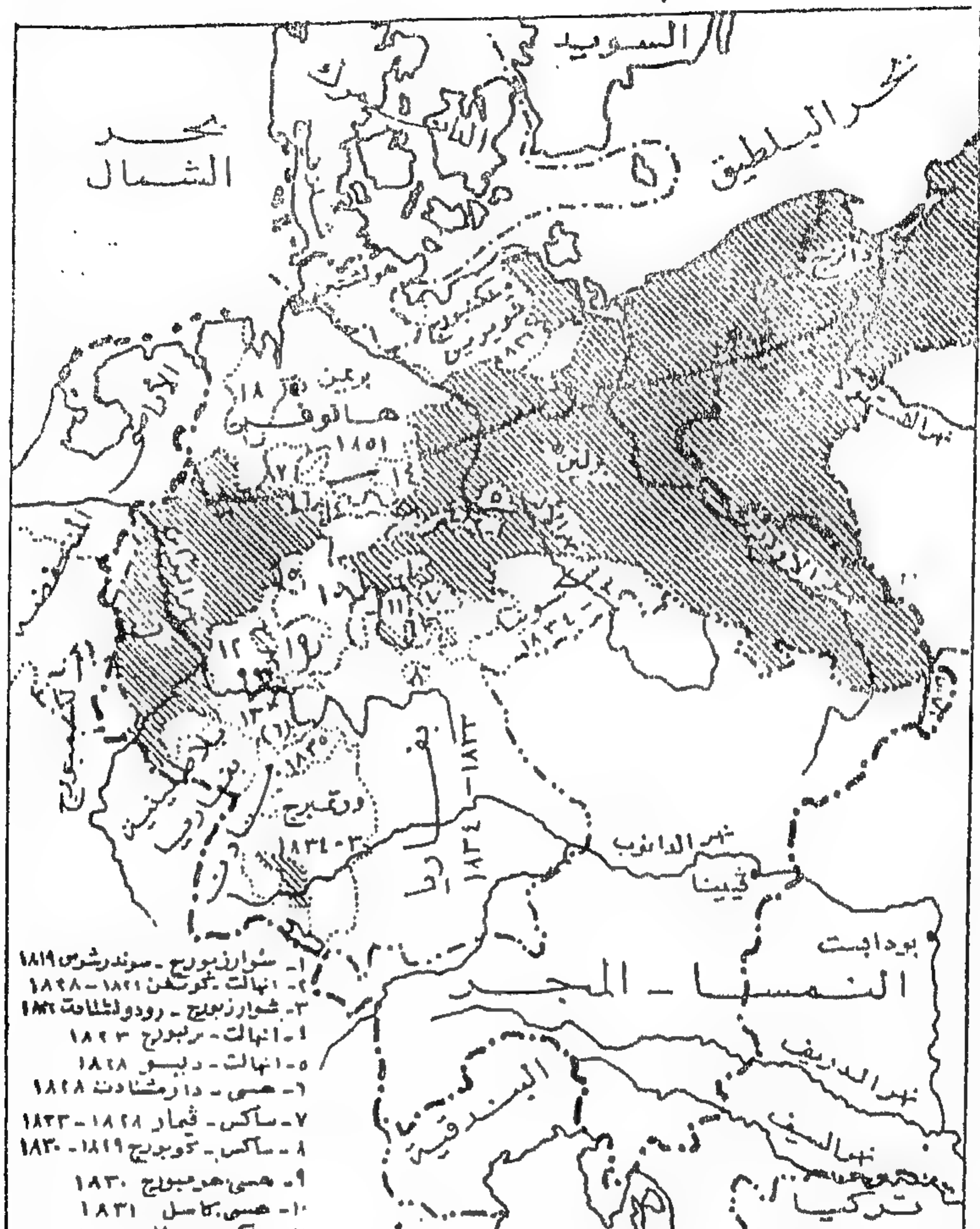
تنتهي عضويته من العصبة .



مقياس الرسم



المسجد



- ١- شوارزبورج - سوندرشويش ١٨١٩
- ٢- انهالت - كورسغن ١٨٢١ - ١٨٢٨
- ٣- شوارزبورج - رودولفستات ١٨٢٢
- ٤- انهالت - ميريورج ١٨٢٣
- ٥- انهالت - ديس ١٨٢٨
- ٦- هسي - دارمشتات ١٨٢٨
- ٧- ساكس - فيمار ١٨٢٨ - ١٨٢٣
- ٨- ساكس - كوبورج ١٨١٩ - ١٨٣٠
- ٩- هسي - هيمبورج ١٨٣٠
- ١٠- هسي - كاسل ١٨٣١
- ١١- ساكس - جوتا ١٨٣٣
- ١٢- هسي - ناسو ١٨٣٥
- ١٣- فرانكفورت ١٨٣٦
- ١٤- برنزيك ١٨٨١ - ١٨٨٤
- ١٥- فالديك ١٨٨١
- ١٦- ليبس - ديتمولت ١٨٤١
- ١٧- هومبورج - ليبس ١٨٥١
- ١٨- أولدنبورج ١٨٥٢
- ١٩- هسي ١٨٦٧
- أ- جزء من لوكسمبورج استند من الاتحاد ١٨٣٩
- ب- جزء من ليمبورج ادخل في الاتحاد ١٨٣٩

الاتحاد الألماني

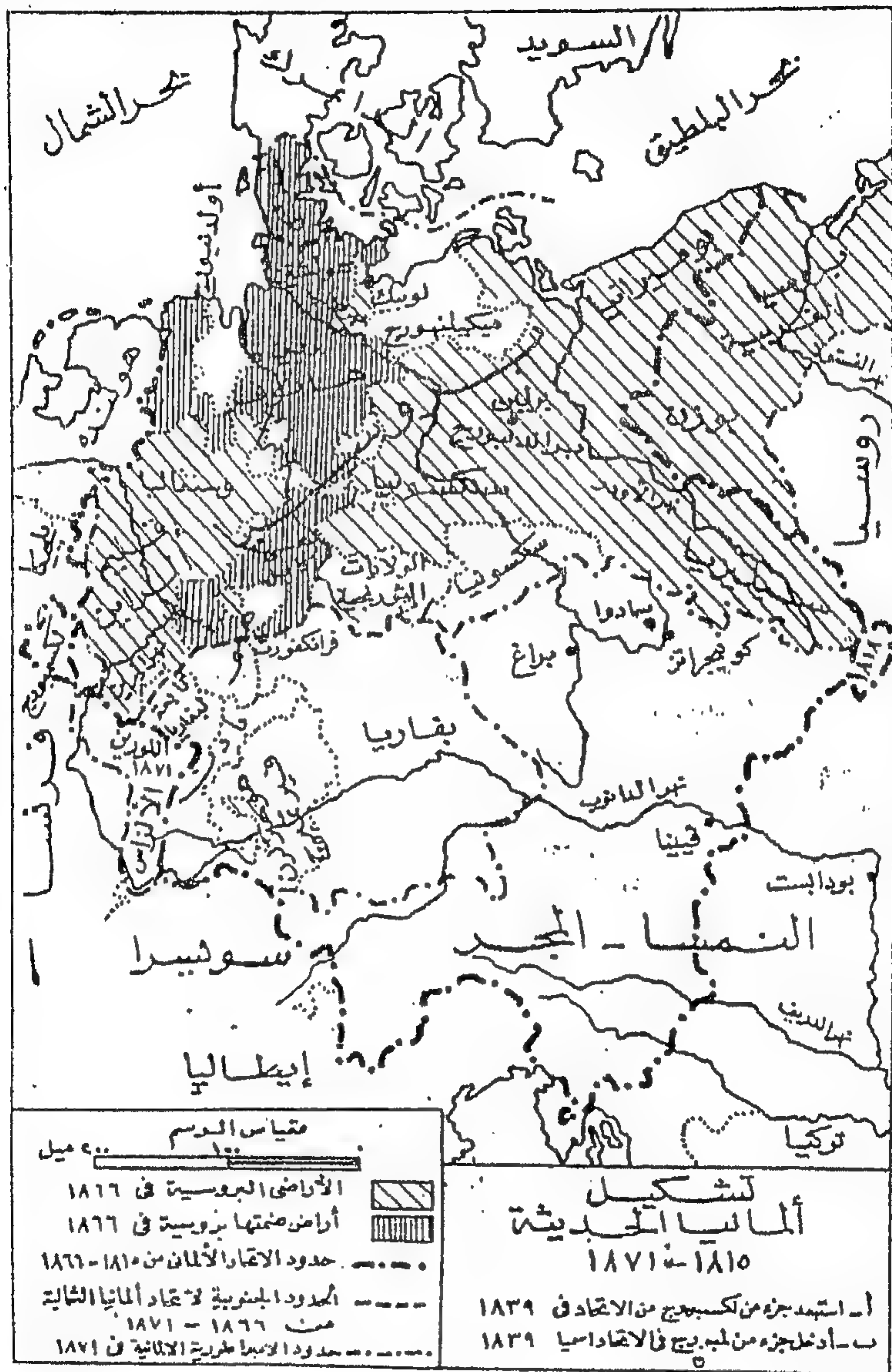
(١٨١٥ - ١٨٦٦)

توضيح الخريطة تشكيل الزولفدين البروسي - والتاريخ
تشير إلى دخول كل دولة في الزولفدين البروسي

حدود الاتحاد الألماني من ١٨١٥ - ١٨٦٦

الأراضي البروسية في ١٨١٥

حدود الأراضي النمساوية في ١٨٦٦

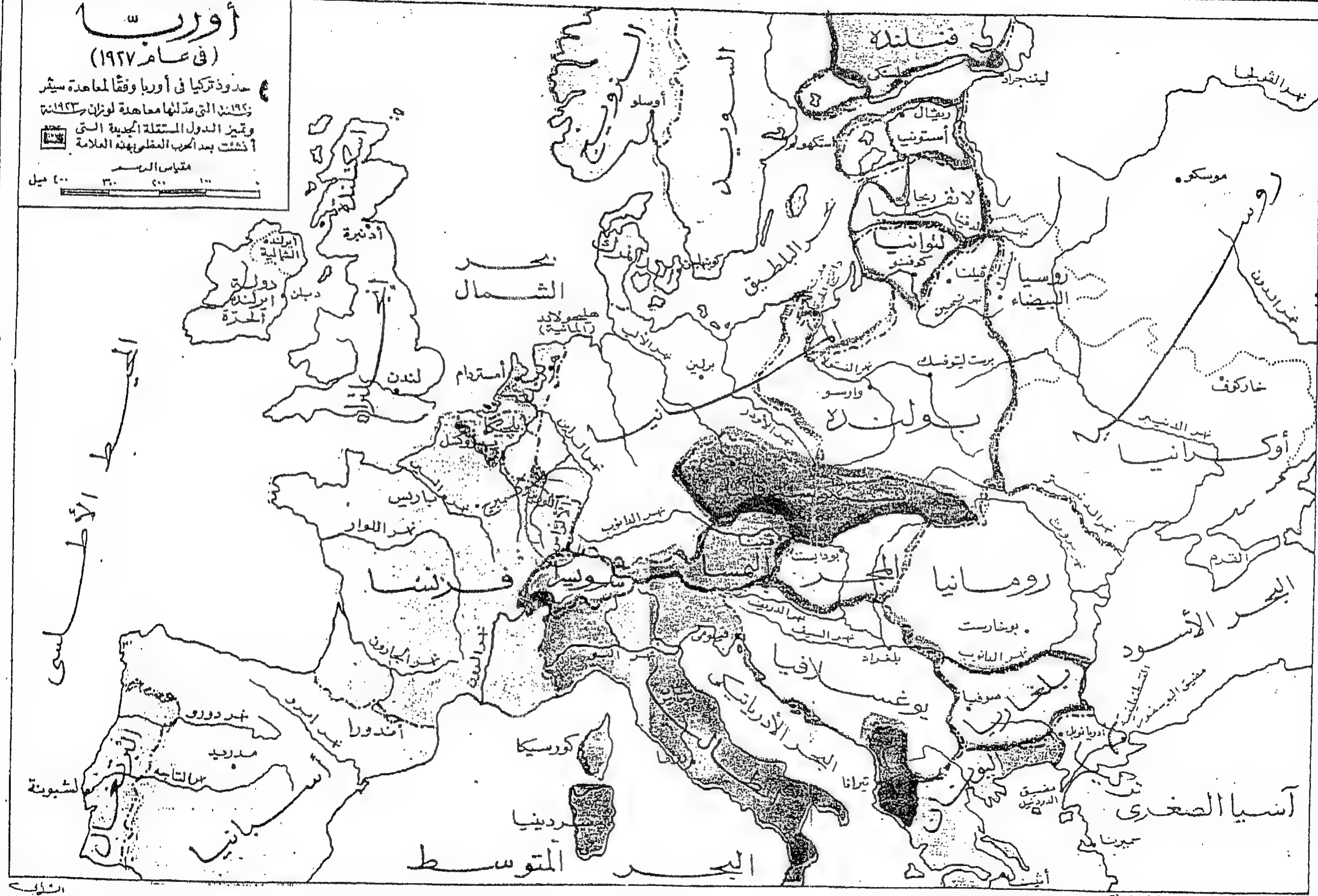


أوروبا

(في عام ١٩٢٧)

حدود تركيا في أوروبا وفقاً لمعاهدة سيفر
١٩٢٠م التي عدلتها معاهدة لوزان ١٩٢٣م
وتميز الدول المستقلة الجديدة التي
أُنشئت بعد الحرب العالمية الأولى

مقياس الرسم
١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ميل



الفصل الاول : فكرة التنظيم الدولى قبل القرن التاسع عشر ٢٨ = ٩
الفصل الثانى : الاتحاد الاوروبى فى القرن التاسع عشر ٢٩ - ٦٠

- معاهدة باريس الاولى (١٨١٤)
- مؤتمر فيينا (١٨١٤ - ١٨١٥)
- معاهدة باريس الثانية (١٨١٥)
- التحالف الرباعي (١٨١٥)
- الحلف المقدس (١٨١٥)

الفصل الثالث :نظام المؤتمرات

- مؤتمر اكس - لاشابيل
- مؤتمر تروبيكاو
- مؤتمر ليبسناخ
- مؤتمر فيرونا

الفصل الرابع : فرنسا من ١٨١٥ الى ١٨٥٢

- فرنسا وحكم البربون الجديد
- لويس فيليب وملكية الاورليان
- فرنسا من الجمهورية الثانية الى قيام
الامبراطورية

المفحمة

- ١٦٦ - ١٣٣ الفصل الخامس : المسألة الشرقية وحرب القرم
(١٨٥٦ - ١٨٥٣)
- ٢٢٣ - ١٦٩ الفصل السادس : الوحدة الايطالية
- ٢٦٨ - ٢٢٥ الفصل السابع : الوحدة الالمانية
- مشكلة شلر فيج وهولشتين والحرب البروسية
- النمساوية
- الحرب البروسية - الفرنسية
- ٣٤٣ - ٢٨١ الفصل الثامن : التحالفات الدولية في أوروبا
(١٩١٤ - ١٨٧١)

أولا : بسمارك ونظام التحالفات

- (١) الموقف الدولي في أوروبا بعد حرب السبعين
- (٢) المسألة الشرقية (١٨٧٦-١٨٧٨) وسياسة الاستصلاح
والتعويض .

(٣) التحالفات الاوروبية ومعاهدات الضمان

- * التحالف الثلاثي بين المانيا والنمسا
- * اتحاد القياصرة الثلاثة .
- * التحالف الثلاثي .
- * تجديد التحالف الثلاثي .
- * معاهدة الضمان الالمانى - الروسى

شانيا: التحالفات الدولية بعد سقوط بسمارك (١٨٩٠-١٩١٤)

- * التحالف الثنائي بين فرنسا وروسيا
- * التحالف الانجليزي - الياباني
- * الاتفاق الودي بين انجلترا وفرنسا
- * الاتفاق الانجليزي - الروسي

٣٤٥ - ٤١٧

الفصل التاسع : الحرب العالمية الاولى

(١) أسباب الحرب العالمية الاولى

(٢) مراحل الحرب

(٣) التسوية ونتائج الحرب ✓

٤١٨ - ٤٣١

الملاحق والخرائط :

٤٣٢ - ٤٣٤

المحتوى :

